تأليف
ناتسومي سوسكي

ترجمة
عبدالواحد محمد

こころ

كوكورو

دار المأمون

كوكورو

رواية يابانية

دار المأمون

كوكورو

رواية يابانية

تأليف

ناتسومي سوسكي

ترجمة

عبدالواحد محمد

دار المأمون للترجمة والنشر

بغداد ـ ١٩٨٨

كوكورو
ناتسومي سوسكي

Kokoro
Natsume Soseki

دار المامون للترجمة والنشر
وزارة الثقافة والاعلام
حقوق الطبع والنشر محفوظة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ([illegible]) لسنة ١٩٨٨
توجه المراسلات الى:
دار المأمون للترجمة والنشر
وزارة الثقافة والاعلام
بغداد ـ الجمهورية العراقية
ص . ب: ٨٠١٨
تلكس: ٢١٢٩٨٤
طبع بمطابع دار الحرية للطباعة ـ بغداد
مترجم عن الانكليزية

مقدمة مترجم الرواية الى الانكليزية

لقد برزت اليابان أمةً عصرية في أثناء المرحلة الميجية التي دامت من ١٨٦٨ الى ١٩١٢ . وعنـد الحقبـة الاخيرة من تلك المرحلة كانت الـروايـة اليابانية الحديثة قد بلغت نضجها وبدأ يبرز في مجالها اساتذة حقيقيـون فيمـا كان اسـاسـاً شكلاً ادبياً غريباً. ومن اولئك الروائيين، ربما كان ناتسومي سوسكي من اكثرهم عمقاً وتعدد براعات.

ولـد سوسكي في طوكيـو في ١٨٦٧ عنـدمـا كانت المـدينـة ماتزال تُعـرف باسمهـا القـديم وهـو: (يـدو). لقـد تعلم في (الجـامعـة الامبـراطـوريـة)، اذ درس فيهـا الادب الانكليـزي. في عام ١٨٩٦ التحق بالهيئـة التـدريسيـة لـ(الكلية الوطنية الخامسة) في (كوماموتو)، وفي عام ١٩٠٠ أرسل الى انكلترا في زمالة حكومية. وعاد الى اليابان في عام ١٩٠٣، وفي نيسـان من العـام نفسه، خَلَف (لافكاديو هيرن) محـاضـراً في الادب الانكليـزي في (الجـامعة الامبراطورية) لم يكن راضيـاً بالحيـاة الاكـاديميـة، وفي عام ١٩٠٧ قرر ان يكـرس جلّ وقته لكتابة الروايات والمقالات.

كتب سوسكي روايــة (كــوكــورو) في عام ١٩١٤، اي بعـد موت الامبـراطـور ميجي بعـامين، وقبل موته هو نفسه بعامين. لقد كتبها وهو في ذروة عمله، عنـدمـا كانت قد ترسخت سمعتـه روائيـاً. في هذه الرواية، مثلما في رواياته المهمة الاخرى، يهتم سوسكي بوطأة وحشة الانسـان في العـالم الحـديث. ففي احـدى روايـاتـه الاخرى يصرخ البطـل: «كيف استطيع ان اهـرب الا من طريق الايمـان او الجنون او الموت؟» وبالنسبة الى (المعلم) بطل رواية (كوكورو) يكون الموت هو الوسيلة الوحيدة للهروب من وحشته.

واعتقـد ان انتحـار الجنـرال (نـوغي) الـذي جاءت الاشارة اليه في القسمين الثاني والثالث من رواية (كوكورو)، ذو اهمية بالنسبة الينا في فهمنـا للروايـة ولـ(سـوسكي). فالحـادث هذا سبب ضجـة كبرى في حينــه. فقـد كان الجنـرال نوغي والادميـرال توغـو من اشهـر الابطـال المعـروفين في الحـرب الـروسيـة ـ اليـابانية. وعندما كان ضابطاً شاباً انتكست رايتـه امـام العـدو في (تمـرد ساتسـومـا). بعـد ذلك بخمسة وثـلاثين عامـاً وبعـد وفـاة الامبـراطـور ميجي مباشرة، قتل نفسه. لقد انتظر، لاسترداد شرفه، حتى الوقت الذي لم يعد بوسعه ان يخدم فيه امبـراطـوره. كان سوسكي عصرياً في نظرته الى حد التعاطف الكامل مع الجنرال، وكذلك كان (المعلم). وبالرغم من موقف سوسكي من الرأي القديم بمسألة الشرف، فلم يكن بمقدوره الا ان يشعر بأنه كان، على نحو ما، جزءاً من العالم الذي انجب الجنرال (نوغي). وهذا هو السبب الذي جعل (المعلم) في هذه الرواية يتفجع على مرحلة ميجي

الـراحلة. «وفي ليلة العظـة الجنائزية الامبراطورية جلست في مكتبتي وأصغيت الى دوي المـدفـع. بالنسبـة لي، بدا لي الـدوي هو الندب الاخير لعصر راحل.»

سُردت (كـوكـورو) على لسـان الشخص الاول من البـدايـة حتى النهاية. لهذا السبب كان الاسلوب بسيطاً بصورة مقصودة. في النص الاصلي توجد جمالية وراء البساطة الظاهرية لاسيما في القسم الثالث من الـروايـة. وانني لآمـل، في الاقـل، ان يبقى في الترجمة قليل من تلك الجمالية. على اية حال، لقد حاولت الحفاظ على هذه البساطة.

ان افضـل ترجمـة للكلمـة اليـابـانيـة (كـوكـورو) هي مارأيتها عند (لافكاديو هيرن)، اي «جوهر الاشياء».

ولـولا العطف الكبيـر من لدن اعضـاء (لجنة الفكر الاجتماعي) في جامعـة شيكـاغو، لما كان بوسعي ابداً انجاز هذه الترجمة. وارغب ان اشكر زوجتي ايضاً لمساعدتها لي.

ادوين ماكليلان

Edwin Mc Clellan

مقدمة المترجم ناتسومي سوسكي
(١٨٦٧ ـ ١٩١٦)

في زمانه برزت على الساحة الادبية شخصيتان هما: موري اوغاي وناتسومي سوسكي نفسه. وكلاهما اولعا بالادب الغربي وقُيض لهما السفر الى اوربا، اذ سافر موري اوغاي الى المانيا لاستكمال دراسته الطبية، في حين سافر ناتسومي سوسكي الى انكلترا لاستكمال دراسته الادبية. وقد بذلا جهداً كبيراً في ترجمة وتقديم أحسن ما في النثر والشعر الالماني والانكليزي في القرن التاسع عشر الى معاصريهم.

في البداية قام بالتعليم في مدارس طوكيو والمقاطعات، وفي عام ١٩٠٠ ارسلته وزارة التربية في بعثة الى انكلترا مدة ثلاثة اعوام. لكنه لاقى مصاعب نفسية كثيرة هناك. وبمبلغ لايزيد عن ١٥ باونا ـ اي ما يعادل ١٥٠ يناً يابانياً ـ شهرياً، عاش حياة ضنك. كان يقتر على نفسه ليشتري الكتب ويتلقى محاضرات خصوصية، لاسيما انه وجد المحاضرات الجامعية ذات مستوى اولي بالنسبة له. ومن الاساتذة الذين درس على ايديهم (دبليو. جي. گريك) الذي كان محرراً لسلسلة «آردن» لمؤلفات وليم شكسبير.

لم يستطـع سوسكي ان يكـوّن علاقـات مع الانكليـز وان يتبـادل الاحاديث معهم، مما حزَّ في نفسه كثيراً وادى به الى التقوقع والانطواء لابل الى الشعور بالنقص والصَغار. وهذا واضح في مفكرته التي تبين انه لم يشعر بالحنين للوطن بقدر ما عانى من شعور بالمرارة نحو انكلترا.

وبمضي الـوقت صار سوسكي اكثـر انعـزالاً واكتئاباً. وبغية التغلب على قنوطه، انكب على المطالعة. ثم كتب ثلاث دراسات ادبية هي: نظرية الشكل في الادب الانكليزي، ونظرية الادب، والنقد الادبي. لكنـه لم يفلح في تقـديم شيء جدير بالاهتمام في دراستيه الاوليتين، اما الدراسة الثالثة فهي مسح للادب الانكليزي في القرن الثامن عشر. وتعكس هذه الـدراسـة براعتـه وسعـة اطـلاعـه، وكـان تناوله لـ(پوپ) و(سوفت) رائعاً.

من الجلي ان الاسـاس النظـري في استيعـاب سوسكي للادب الانكليـزي كان ذا اثـر بارز في كتـابتـه للرواية اليابانية من حيث المادة والشكل، واحياناً من حيث اللغة ايضاً، اذ غالباً ما اسعفته في حالات حرجة في خلق لغة جديدة للرواية اليابانية في مراحل التطور الاولى.

بعد عودته من لندن، وفي عام ١٩٠٣ شغل سوسكي منصب استاذ الادب الانكليـزي في جامعـة طوكيـو ودرّس طلابـه روايـة (سـايلاس مارنـر)، لكنـه لاقى صعـوبـة في اجتـذاب الطلاب اليه، لاسيما وانه شغـل هذا المنصب بعـد استقـالة الاستاذ (لافكاديو هيرن) الذي كان الطـلاب يحبـون الاصغـاء اليه عندما كان يتحدث عن شعر (تنيسون)

باسلوبه السلس والرشيق. لكن من حسن حظ سوسكي ان روايتين له قد حققتا نجاحاً عظيماً في تلك الفترة، لذلك عزم على ترك التعليم واستقال في عام ١٩٠٧ وانقطع الى التأليف. وبناءً على شهرته حينذاك احدثت استقالته - وكذلك رفضه درجة الدكتوراه الممنوحة له من وزارة التربية - ضجة بين الناس. وقبل استقالته من الجامعة نشر روايتين هما: (انا قطة) في ١٩٠٥ - ١٩٠٦ و(السيد الصغير) في ١٩٠٦، وعدداً من الكتابات القصيرة من ضمنها مقالات عن زياراته لبرج لندن ومتحف كارلايل. ورواية (انا قطة) من النوع الهجائي وهي تصور قطة سائبة تبناها معلم مدرسة وهي أقرب ماتكون الى الصورة الكاريكاتيرية. اما رواية (السيد الصغير) فانها تحكي قصة معلم رياضيات شاب في مدرسة اقليمية وهو يواجه معلمين اكبر منه عمراً واكثر احترافاً وخبرة.

كما صدرت له رواية جديدة في عام ١٩٠٦ عنوانها (وسادة العشب) التي ترجمها (الن تيرني) الى الانكليزية بعنوان (العالم ذو الاركان الثلاثة). لقد كتبها بطاقة هائلة فاستطاع ان ينجزها في بحر اسبوع واحد. والرواية فيها رسام شاعر من طوكيو له المام بالادب والفنون الشرقية والغربية وقد فرَّ من ضجة الحياة في المدينة الواسعة الى منتجع ذي ينابيع ساخنة. وحبكة الرواية صغيرة وهي اقرب ما تكون الى ادب المذكرات. وتقع معظم احداثها في ذهن الراوي وهي عبارة عن عرض لأمزجة الفنان وتأملاته. وفي عام ١٩٠٧ اصدر رواية (الجرو الوحشي) وهي تشبه رواية الروائي (بيلوير) الميلو درامية. وفي عام ١٩٠٨ اصدر

رواية (عامل المنجم) وفيها مسحة كافكاوية. وجميع هذه الروايات من النمط التجريبي، لكنه بعد ذلك رسخ اسلوبه الروائي الذي ابتدأ بكتابته الثلاثية المؤلفة من (سانشيرو) في ١٩٠٨ و(بعد ذلك) في ١٩٠٩ و(البوابة) في ١٩١٠. وتروي هذه الثلاثية على لسان الشخص الثالث والمغامرة الاسلوبية فيها اقل مما هي في سابقاتها من الروايات. وتلت الثلاثية ثلاث روايات هي: (حتى اعتدال الليل والنهار) في ١٩١٢ و(المتجول) في ١٩١٣ و(كوكورو) في ١٩١٤. وهذه الاخيرة تعكس نضجه المتألق. ويكمن نجاح الرواية الاولى في الغموض المشحون على ألسن عدة رواة، اذ يبلغ هذا الغموض عند البطل حد الشعور الايحائي والوامض. غير ان مثل هذا السرد المركب الذي يسرده راويان يوظفه سوسكي على أحسن مايرام في رواية (كوكورو) التي تُعد واحدة من اروع اعماله ويعبر سوسكي عن نظرته السوداء للعالم في روايته (عشب على جانب الطريق) في ١٩١٥ وهي روايته الكاملة الاخيرة على لسان الشخص الاول، اذ تستند جميع وقائعها الى التاريخ الحقيقي لحياته الخاصة. وهذا لايعني خلوها من عنصر الخيال القصصي. ويزعم كثير من اليابانيين بأنها روايتهم المفضلة من دون جميع اعماله الأخرى.

وبعد موته بخمسة ايام ظهرت رواية مسلسلة يومية في مجلة (آشي) بـ ١٨٨ حلقة ما بين ٢٦ مايس و١٤ كانون الاول من عام ١٩١٦ بعنوان (النور والظلام)، وهي من اطول رواياته لكنها غير كاملة. لقد ظهرت في تلك الحقبة التي كثرت فيها الروايات اليابانية الحديثة المتأثرة

بـ(الطبيعية) الغربية وبالروايات الغربية المترجمة الى اليابانية.

وعمـومـاً، ان معظم اعمـاله رصينة وذات هدف اخلاقي واجتماعي عال اسبغ عليها، ولاسيما على الاخيرة منها، مسحة فلسفية واضحة. وسـوسكي معـروف عنـد الغـربيين بمـواصفـاتـه الفنية الخاصة بسبب التـرجمـات الممتازة لرواياته والتعليقات عليها. لقد نشأ سوسكي مثل موراي اوغـاي في الـوقت الـذي مازال فيـه ممكنـاً ان ينـال المرء ثقافة مشتملة على دراسـة النصـوص الادبيـة التقليـديـة، صينيـة أكـانت او يابانية، وكذلك دراسة القيم الادبية والفلسفية التقليدية،فقد تعلم كتابة الشعر الصقيل بالصينية الكلاسية التي كانت مؤشراً على الثقافة الرفيعة في المـرحلة (التـوكـوغاوية)، ناهيك عن رحلاته الاوربية التي وضعته في موقـع يسمـح له بالنظـر الى هذه التقـاليـد بمنظار دقيق يساعده في فحصهـا بحمـاسـة ووضـوح، كمـا يلاحـظ ذلـك في روايتـه (وسـادة العشب) التي ارتقى فيها الى مكانة الكاتب العصري القريب من قرائه بمـا بثّه فيهم من استجـابـات فنيـة خالصـة. لقد اعاد سوسكي طرح الاسـاليب الادبيـة التقليدية في ضوء الحس العصري الخاص به، بما فيها من مواقف وسِمات جمالية.

عبدالواحد محمد

محتويات

ـ اناوالمعلم ١٩
ـ اناووالدي ١١١
ـ المعلم ووصيته ١٦٣

انا والمعلم

على الـدوام اطلقت عليـه لقب «المعلم» . لذلـك سوف أشيـر اليه بلقب «المعلم» وليس باسمـه الحقيقي . ولم يكن ذلـك لأن اللقب دليل على الحكمة بل لانني اجد ان من الطبيعي ان افعل ذلك . وكلما رجعت بذاكـرتي اليـه ، اجدني افكر بلقب «المعلم» . والآن ، اذ القلم بيدي ، لااستطيع الكتابة عنه بطريقة اخرى .

لقـد التقيت بالمعلم لاول مرة في (كـامـاكـورا) في غضون العطلة الصيفيـة . وحينـذاك كنت طالبـاً في ريعـان الشباب . وكان ذهابي الى هذا المكان بناء على الحاح صديق لي ، كان يروم السباحة . ولغرض تغطيـة المصـاريف الضـروريـة ، قضيت ايـامـاً قليلة في جمع المبلغ الـلازم . لكن بعـد وصـولي الى «كـامـاكـورا» بثـلاثة ايام فقط ، تسلم صديقي برقيـة من اهله يطلبـون منه العودة . كانت امه مريضة ، حسب ماجـاء في البـرقيـة . لكن صديقي لم يصـدق ذلك . لقد حاول ابواه ، لفتـرة ، ان يقنعـاه بالـزواج من فتـاة ما ، بخلاف ارادته . وحسب نظرتنا الحـديثـة ، انه كان غير مؤهل للزواج في عمره الطري هذا . فضلاً عن

ذلك، لم يكن مولعاً بالفتاة. وتحاشياً منه لموقف مزعج، فقد رأى ان يتوجه الى منتجع قريب من طوكيو لتمضية عطلته بدلاً عن التوجه الى اهله، كما اعتاد ان يفعل. لقد اراني البرقية وسألني عما ينبغي له ان يفعل. فلم اعرف بماذا اجيب. كان من الواضح، انه يجب ان يعود الى اهله إن كانت امه مريضة حقاً. وعلى كل حال، فقد قرر ان يغادر، وبقيت وحدي، انا الذي تجشمت العناء في سبيل الالتحاق به.

كان امامي احد خيارين: اما البقاء في «كاماكورا» او العودة الى الاهل، قبل بدء الفصل الدراسي. فوطدت العزم على البقاء. كان صديقي من عائلة موسرة في الاقاليم الوسطى ولم تكن لديه مشكلات مالية. لكن، لكونه طالباً شاباً، فقد كان مستواه المعاشي بمستواي. لذلك عندما وجدت نفسي وحيداً بعده، لم ار ضرورة لتغيير سكني.

كان موقع فندقي الصغير في منطقة نائية في «كاماكورا». لذا، اذا شاء المرء ان يشغل نفسه بالتسليات الرائجة كلعب البليارد وتناول المثلجات كان لزاماً عليه ان يقطع مسافة طويلة عبر حقول الرز، مشياً على القدمين. أما اذا انتقل بعربة، فسوف يكلفه ذلك عشرين سنتاً. وعلى الرغم من بُعد المنطقة، فقد شيدت الاسر الموسرة بيوتاً صغيرة لها فيها. كما ان المنطقة كانت قريبة من البحر، وهذا شيء يناسب السباحين مثلي.

وفي كل يوم كنت اذهب الى البحر ماراً بالاكواخ المسقفة بالقشر والملوثة بالدخان. ودائماً كان الشاطىء مكتظاً بالرجال والنساء. واحياناً كان البحر مغطى بكتلة من الرؤوس السود، كأنه حمّام عمومي

ومـا اكثـر ما عجبت كيف استطـاع العـديـد ممن يقضـون عطلتهم ان يحشـروا انفسهم في مدينـة صغيـرة كهـذه،وفي هذا الـزحام الصاخب والبهيج ، استطعت وانا وحدي ، ان امتّع نفسي ، غافياً على الشاطىء تارة ، او مبللاً برشاش الماء تارة اخرى .

وفي وسط هذا الهياج التقيت بالمعلم . وفي تلك الايام كانت توجد مقهيـان على الشـاطىء . وكنت ارود احـداهمـا بلا سبب خاص . وبخـلاف ما كان عليـه اولئـك النـاس في بيـوتهم المشيـدة في منطقة «هاسي» ، الذين كانوا يمتلكون حمامات سباحة خاصة بهم ، كنا نحن في ذلـك الجـزء من الشـاطىء مضطـرين لاستخـدام هذين المقهيين كمنزعين . وفيهما كان يستريح السابحون ويحتسون الشاي ويشطفون كسـوات السبـاحـة وينظفـون اجسـادهم من الملح ويتـركون قبعاتهم ومظـلاتهم في رعـاية امينة . لم يكن لدي كسوة سباحة ، الا انني كنت اخشى ان أسـرق . لذلـك كنت اترك حاجياتي بانتظام في المقهى قبل النزول الى الماء .

*

كان «المعلم» قد خلع ملابسـه تواً وكـان يوشك ان يذهب للسباحة عنـدمـا وقعت عينـاي عليـه في المقهى لاول مرة . امـا انا فقد اخذت قسطي من السباحة ، وتركت النسيم يداعب جسدي المبلل برقة،وبينه وبيني تحركت رؤوس سود كثيرة . ثم انني كنت في حالة استرخاء ذهني وكـان الشـاطىء مكتظـاً بالنـاس ممـا لايسمح لي بان التفت اليه لولم

يرافقه رجل غربي. وكان هذا الرجل الغربي ذو البشرة الشاحبة جداً قد جذب انتباهي قبل ذلك حينما دنوت من المقهى. كان واقفاً وذراعاه معقودتان فوق صدره وهو يواجه البحر. وفوق مقعد الى جانبه ألقيت باهمال بدلة صيفية يابانية كان يرتديها. ولم يتعد مايكسو جسده السروال الداخلي الذي اعتدنا ان نلبس مثله. ووجدت في لبسه هذا غرابة. فقبل يومين كنت قد ذهبت الى «يوغاهاما» وجلست على قمة كثيب صغير قريب من المدخل الخلفي لفندق من الطراز الغربي وأمضيت الوقت في مراقبة الغربيين وهم يستحمون. كانوا جميعهم قد غطّوا جذوعهم واذرعهم وافخاذهم جيداً. واظهرت نساؤهم تواضعاً جمّاً. وكان معظمهن يرتدين قبعات مطاطية ذات الوان براقة تُشاهد وهي تتمايل رائعة بين الامواج. وبعد مشاهدة هذا المشهد كان من الطبيعي بأن هذا الرجل الغربي، الذي وقف بيننا شبه عار، غريب الشأن حقاً.

وفيما كنت اراقبه رأيته يدير رأسه جانباً ويحدّث يابانياً بكلمات قليلة، وكان هذا الياباني قد انحنى ليلتقط منشفة صغيرة ساقطة على الارض. وبعد ذلك لفَّ الياباني المنشفة حول رأسه ويمم ماشياً صوب البحر. كان هذا الرجل هو «المعلم».

وبدافع من الفضول المحض وقفت وراقبت الرجلين وهما يسيران جنباً الى جنب نحو البحر. وبثقة خاضا في الماء، وسط جمع هادر، الى ان بلغا بقعة هادئة وعميقة في البحر. ثم شرعا يسبحان متوغلين في البحر ولم ينقطعا عن السباحة الى ان توارى رأساهما عن ناظري،

بعـد ذلـك قفـلا راجعين الى الشاطىء. وفي المقهى جففا جسديهما دون ان يزيـلا الملح عنهمـا بمـاء البئـر الصـافي، وسـارعا الى ارتداء ملابسهما وبارحا المكان .

بعـــد مغــادرتهمـا جلست واشعلت سيجـارة وبـدأت اتسـاءل عن «المعلم» من غيـر رويـة. وراودني شعـور، لم استطـع التخلص منه، بأنني كنت قد رأيت المعلم في مكـان ما قبـل ذلـك، بيد انني اخفقت بأن اتذكر مكان أو زمان التقائي به.

ولشعوري بالضيق ولعدم وجود ما افعله فقد ذهبت الى المقهى في اليـوم التـالي في الـوقت نفسـه بالضبط، على أمل ان ارى المعلم مرة ثانيـة. في تلك المـرة وصـل من دون صاحبـه الغـربي وقد اعتمر قبعة قشيـة. وبعـد ان وضـع نظـارتـه بعنـاية على منضدة قريبة وشدَّ منشفته اليـدويـة حول رأسـه، سارع متوجهاً نحو الشاطىء. ولما رأيته يخوض في المـاء بين الجمـع الصـاخب ويسبـح وحـده متـوغـلاً في البحـر، سيطـرت عليَّ فجأة الـرغبـة في متـابعتـه. وخضت في المـاء الضحل المتنـــاثــر من حولي وتـوغلت بعيـداً وبـدأت اسبـح باتجـاه المعلم. وبخـلاف ماتـوقعت اتخـذ المعلم سبيله راجعـاً الى الشـاطىء بخـط مقـوس وليس بخـط مستقيم. ولما رجعت الى المقهى والماء يقطر من بدني ازددت خيبـة: فقـد اكمـل المعلم ارتداء ملابسه وكان في طريقه الى الخروج.

*

في اليـوم التـالي رأيت المعلم مرة ثانيـة، عند ذهابي الى الشاطىء

في الـوقت نفسـه. كذلـك رأيتـه في اليـوم الذي اعقبه. لكن لم تحن فرصـة لتبـادل الحديث بيننا ولا حتى لتبادل التحية العابرة. علاوة على ذلك، دلَّ موقفه على كونه غير اجتماعي. الا انه كان دقيقاً في مواعيده في الـوصـول في السـاعـة المعتـادة، وفي المبـارحة بعد السباحة في السـاعـة المعتـادة ايضاً. وعلى الدوام كان انعزالياً، ومهما بدا الجمع مرحـاً، بدا هو غيـر آبـه بالمحيـط من حولـه. ولم يظهـر ذلـك الـرجل الغـربي، الـذي صاحبه في اول مرة، بعد ذلك ابداً. لقد كان المعلم وحده دائماً.

على اية حال، في احد الايام، بعد سباحته المعهودة، كان المعلم يوشك ان يرتدي بدلته الصيفية التي كان قد تركها على المصطبة عندما لاحظ بأن البدلة، لسبب ما، قد تلوثت بالرمل. وحينما هزّ بدلته رأيت نظـارتـه، التي كانت موضوعة تحت البدلة، وهي تسقط الى الارض. ويبدو انه لم يلحظ ذلك، الى ان انتهى من شد حزامه. ولما بدأ يبحث عنها، اقتربت وانحنيت والتقطت النظارة من تحت المصطبة. وعندما سلمته اياها قال: «اشكرك».

في اليـوم التـالي تابعت المعلم الى البحـر وسبحت وراءه. وحين توغلنـا الى اكثـر من مائتي ياردة، استدار المعلم وتحدث معي. ويبدو انـه لم يكن هنـاك أحـد قريبـاً منـا، وقـد امتـد البحـر من حولنـا ازرق شاسعاً. وفوق الماء والجبال نثرت الشمس الساطعة نورها على امتداد البصـر. وبـدا جسمي كله طافحـاً باحسـاس بالحـريـة والبهجة، مما جعلني اضـرب ماء البحـر بحيـويـة بالغة تطاير فيها الماء نثاراً. وتوقف

المعلم عن الحركة وطفى على ظهره بهدوء. فحاكيته بما فعل. وسطع لون السماء الازرق الباهر على وجهي فشعرت كأن سهاماً صغيرة براقة تخترق عيني. وصرخت عالياً: «يالها من متعة!»

بعـد فتـرة قصيـرة اتخـذ المعلم وضعاً مستقيماً وقال: «هل نعود؟» كنت اريد جداً البقاء لما اتمتع به من شباب وقوة، غير انني اعربت عن استعـدادي الكـافي للعـودة قائـلاً: «اجل، هيا بنا نعود». فرجعنا الى الشاطىء سوية.

تلك هي بداية صداقتنا. الا انني لم اكن اعرف المكان الذي كان يعيش فيه المعلم آنذاك.

احسب انـه في عصـر اليوم الثالث في اعقاب سباحتنا سوية وحينما تقـابلنـا في المقهى، سألني بغتـة: «هـل تنـوي البقـاء في كامـاكـورا طويـلاً؟» في الحقيقـة لم تكن لديّ فكـرة عن طول مدة البقـاء في كامـاكـورا، لذلـك قلت: «لا ادري». حينـذاك رأيت المعلم مكشراً، فداخلني الارتباك فجأة، وتمتمت: «وانت يامعلم؟» آنذاك فقط بدأت اطلق عليـه لقب «معلم». وفي تلك الامسيـة زرت المعلم في محـل اقـامتـه. لم يكن مقيمـاً في فنـدق صغيـر اعتيـادي، بل كان مقيماً في جناح في عمارة واقعة ضمن حدود اراضي معبد كبير. ولاحظت انه لم تكن بينه وبين الناس الآخرين المقيمين معه هناك اية وشائج. وابتسم ساخـراً من الطـريقـة التي اصـررت بهـا على مخـاطبتي ايـاه باسم «المعلم»، مما اضطرني الى ان اشرح له ان من عادتي ان ادعو من هم اكبـر مني سنـاً بهـذا الاسم. وسألتـه عن الرجل الغربي، فأخبرني بأن

صديقــه هذا قد بارح المكــان . وحسب ما بلغني ، كان صديقـه هذا شخصـاً شاذاً نوعـاً ما . ثم حدثني بأشيـاء اخرى متعلقة بالغربي واشار الى علاقتـه الحميمـة بهـذا الاجنبي ، بالـرغم من قلة معـارفه من ابناء جلدتـه اليـابانيين . في الاخير، وقبل ان اغادر، قلت للمعلم بأن لدي شعوراً بأنني قد التقيت به قبل هذا في مكان آخر، لكنني لااتذكر أين ومتى . ولما قلت هذا ساورني الامل ، لابل توقعت حقاً ، ان يعرب لي عن شعــور ممــاثـل . غيـر ان المعلم ، بعـد شيء من التأمـل ، قال : «لااستطيــع ان اتـذكـر انني التقيت بك قط . الست مخطئـا؟» فامتلأ فؤادي باحساس جديد وعميق من الخيبة .

*

في نهـايـة الشهر رجعت الى طوكيو. وكان المعلم قد غادر المنتجع قبل ذلك بفترة طويلة . لكن قبل ان نفترق سألته : «هل من بأس اذا ما زرتــك في بيتـك بين حين وآخـر؟» وببســاطـة تامـة اجـاب : «لابأس طبعاً . » آنذاك كان انطباعي بأننا صديقان حميمان ، لذلك توقعت منه اجابة اكثر حرارة . وحسب ما اتذكر، تزعزعت ثقتي بنفسي .

وغـالباً ما اصابني الاحباط على هذه الشاكلة في علاقتي بالمعلم . احيـانـاً بدا لي انـه كان يدري بمـا يصيبني من اذى ، واحيـانـاً بدا انـه لايـدري . لكن مهما قاسيت من تلك الاحباطات الصغيرة . فلم اشعر ابداً بالرغبة في الانفصال عن المعلم . في الحقيقة ، كلما جابهت منه صدوداً كلمـا ازددت رغبـة بدفع عجلة صداقتنا الى امام . وحسبت ان بمزيد من الود سوف اجد لديه الاشياء التي كنت افتش عنها . صحيح

انني كنت صغير السن، لكنني اظن بأنني لم اتصرف بمثل هذه البساطة التامة مع الآخرين. آنذاك لم افهم لماذا كنت اتصرف هكذا مع المعلم فقط، اما الآن، وقد مات المعلم، فقد بدأت افهم. لم يكن المعلم يكرهني في البداية. ولم يكن القصد من اساليبه الفظة والفاترة نحوي هو التعبير عن كرهه لي بقدر ما كان يقصد منها التنبيه الى انه ليس الصديق المناسب. كان السبب في ذلك هو احتقاره لنفسه الرافضة بأن تقبل بودّ الآخرين بقلب مفتوح. وانني لأشعر بالرثاء له.

لقد نويت بالطبع ان ازور المعلم حال عودتي الى طوكيو. وقبل بدء المحاضرات باسبوعين. رأيت ان ازوره. لكن بعد رجوعي بأيام قليلة بدأت اشعر بميل متضائل لتلبية هذه الرغبة. لقد اثرت بي اجواء المدينة الضخمة واعادت لي بعض الذكريات. وكنت كلما رأيت طالباً في الشوارع وجدت نفسي انتظر بفارغ الصبر السنة الدراسية الجديدة بشعور هو مزيج من الامل والاثارة البالغة. في غضون ذلك نسيت كل شيء عن المعلم.

بعد ابتداء المحاضرات بشهر ونيف شعرت بمزيد من الاسترخاء. وفي الوقت نفسه بدأت اجوب الشوارع ساخطاً وانظر الى غرفتي نظرة من يشعر بوجود نقص في حياته. وابتدأت التفكير بالمعلم ورأيت انني اريد ان اراه مرة ثانية.

وعند ذهابي الى منزله لاول مرة، لم اجده. واذكر انني كررت الزيارة في الاحد التالي. كان النهار بديعاً والسماء زرقاء والنفس ملأى

بالسعـادة. وللمـرة الثـانيـة لم اجـده. وحين كنـا في كاماكورا اخبرني المعلم بأنه كان يقضي معظم وقته في البيت، وانه كان يمقت الخروج حقـاً. ومـا ان تذكـرت ذلـك حتى شعـرت باستياء شديد لاخفاقي بأن اراه. لذلـك تلكأت في الخـروج من غرفـة الجلوس الامامية وحدقت الى الخـادمـة التي ابلغتني من غيـاب سيدها. وبدا انها تتذكر زيارتي السـابقـة وتـركي لبطـاقتي لديها. فطلبت مني المكوث وغادرت. بعد ذلك ظهرت سيدة خمنت بأنها ربة المنزل. كانت جميلة.

بلطف جم، اخبـرتني عن مكـان المعلم. لقد علمت بأن من عادة المعلم، في مثل هذا اليوم من كل شهر، ان يأخذ معه باقة ورد الى قبر معين في المقبـرة الـواقعة في «زوشيغايا». قالت السيدة معتذرة: «لقد غادر قبـل اكثـر من عشـر دقـائق». فشكـرتها وغادرت. وقبل ان اتوغل بعيـداً في الجـزء المكتـظ من المـدينة، رأيت ان التوجه الى زوشيغايا يشكل نزهة ممتعة. فضلاً عن ذلك، ربما سألتقي بالمعلم. عند ذاك استدرت وبدأت السير صوب «زوشيغايا».

دخلت المقبرة من جانب الحقل الايسر وتقدمت في طريق عريض مشجـر الجـانبين بأشجـار القيقب. وفي نهاية الطريق المشجرمقهى، وقـد خرج منـه شخص لاح لي انه يشبه المعلم. فمشيت نحوه ورأيت اشعة الشمس تنعكس عن اطار نظارته. حينذاك هتفت بصوت عالٍ: «يـامـعـلـم» فتـوقـف الـمعلم ورآني. قال: «واعجبـا. .» وكـرر: «واعجبا. .» وبدا لي ان كلماته المكررة قد تركت اثراً ذا صدى غريب في هدأة العصر. ولم اعرف ماذا اقول.

«هل تبعتني؟ كيف. .؟»

كان الاسترخاء بادياً عليه وكان صوته هادئاً. غير ان وجهه اكتسى بتعبير غامض. فشرحت للمعلم كيف اني عرفت ذلك في بيته.

«هل اخبرتك زوجتي اي قبر ازور؟»

«اوه! كلا.»

«حسن. لااظن ان هناك سبباً يدعوها لان تفعل. على كل حال، هذا لقاؤها الاول معك هذا اليوم. لا. طبعاً لا. لاحاجة بها لأن تخبرك.»

واخيراً لاح عليه الرضى. غير انني لم ادرك سبب تلميحاته. ومشينا بين شواهد القبور في طريقنا للخروج. وكان الى جانب الكلمات المنقوشة امثال: «ايزابيلا فلان الفلاني..» و«لوغين خادم الرب»، كانت توجد كلمات بوذية منقوشة مثل: «تحمل الاشياء الحية كلها روح بوذا في دواخلها.» واتذكر ان «الوزير المفوض فلان الفلاني» قد نُقشت على احدى الشواهد ايضاً. وتوقفت امام احدى الشواهد الصغيرة واشرت الى الحروف الصينية الثلاثة عليها وسألت المعلم:

«كيف يستطيع المرء ان يقرأها؟»

«احسب ان المراد منها ان تُقرأ «اندرو» قال المعلم ذلك وضحك بجفاف.

لم يبدُ ان المعلم قد لاحظ نوع الاختلاف في التقاليد والمنعكس على الشواهد وما يثيره هذا التباين من تسلية ومفارقة، مثلما فعلت انا. وفيما كنت اثرثر واشير الى هذه الشاهدة او تلك، كان يصغي اليّ صامتاً. لكنه في الاخير التفت نحوي وقال: «انت لم تفكر جدياً بحقيقة الموت ابداً، اليس كذلك؟» فسكتُ ولم ينطق المعلم بحرف آخر.

في نهاية المقبرة انتصبت شجرة الجنكة الصينية الوارفة الظلال فأخفت السماء عن النظر تقريباً. فصعّد المعلم نظره الى اعلى الشجرة وقال: «في وقت قصير سيكون هذا المكان جميلاً. وسوف تصير الشجرة كتلة من اللون الاصفر، اما الارض تحتها فستتغطى ببساط ذهبي من الاوراق الساقطة». ومن كلامه عرفت بانه كان يسير الى جانب تلك الشجرة في كل شهر.

وليس بعيداً عنا في المقبرة، كان هناك رجل يسوي جانباً من التربة الوعرة. ثم توقف واتكأ الى المجرفة وراقبنا. بعد ذلك انعطفنا يساراً، فوصلنا الشارع العام. ولما لم يكن في ذهني هدف معين، فقد واصلت المشي برفقة المعلم. لم يكن المعلم ميالاً الى الكلام في حينه. على كل حال، لم اشعر بارتباك حاد. لذلك واصلت السير الى جانبه دون اهتمام.

«هل انت ذاهب الى المنزل؟»

«نعم. ليس لديّ ما افعله الآن.»

ومشينا باتجاه الجنوب صامتين نزولاً من التل. وقطعت الصمت مرة ثانية سائلاً:

«هل هنا مدفن اسرتك؟»

«كلا.»

«قبر من اذن؟ أهو قبر قريب لك؟»

«كلا»

ولم يزد على ذلك شيئاً. فقررت الا اشير الى المسألة فيما بعد.

لكنه بعد ان قطع مائة ياردة ونيف، استأنف الحديث فجأة.

«هنا مدفون صديق لي.»

«وتزور قبره في كل شهر؟»

«نعم.»

وفي هذا اليوم، لم يزد المعلم على ماقاله شيئاً.

*

عقب هذا اليوم بدأت ازور المعلم في فترات منتظمة. وكنت اجده في البيت دائماً. وكلما زادت زياراتي للمعلم، كلما زدت لهفة لكي اراه مرة ثانية. لكن بالرغم من هذه الزيارات لم يحصل تغير كبير في سلوك المعلم نحوي. فقد ظلّ هادئاً على الدوام. في بعض الاحيان كان على اشد مايكون من الهدوء فأحسبه في وحشة. وكنت منذ البداية قد لمست فيه خصلة غريبة الا وهي اجتناب الحديث. مع ذلك، وفي الوقت نفسه، كانت تعتلج في داخلي رغبة عارمة بأن اكون اكثر قرباً من المعلم. ربما كنت انا الوحيد الذي راوده هذا الشعور نحوه. ولعل احداً ما يقول بأنني كنت أحمق اوساذجاً. لكنني اشعر بالفخر والسعادة الآن بهذا الولع التلقائي بالمعلم، هذا الولع الذي ظهر، فيما بعد، انه لم يكن غير ذي جدوى. هذا مع العلم. ان المعلم لم يكن ذلك الرجل الذي يقبل حب الاخرين من كل قلبه.

وكما سبق لي ان قلت، كان المعلم هادئاً دوماً، لابل كان يبدو في حالة سلام مع ذاته. الا انني كنت الاحظ احياناً ظلّاً يعبر وجهه، كظل طائر خارج النافذة، اذ سرعان ما يتوارى. كانت المرة الاولى التي

لاحظت فيهـا مثـل هذا الظـل في المقبـرة في زوشيغايا عندما تحدثت معه. واذكر انني شعرت حينذاك، ولو في لحظة عابرة، بشيء ثقيل في قلبي. لكن ما اسرع مازالت تلك الذكرى. وفي احدى الامسيات في نهاية صيف هندي عادت تلك الذكرى بلا توقع.

فبينمـا كنت اتحـدث مع المعلم، فكـرت لسبب ما بشجرة الجنكة الضخمـة التي اشـار لهـا. وتـذكـرت انه لم تبق لموعد زيارته الشهرية للقبـر سوى ثلاثـة ايـام. وحينمـا فكـرت بأن هذه الزيارة سوف تقع في اليوم الذي تنتهي فيه محاضراتي ظهراً وانني سأكون طليقاً نسبياً، فقد التفت نحو المعلم وقلت:

«يـامعلم! انني اتساءل: هل فقدت شجرة الجنكة في زوشيغايا جميع اوراقها الآن؟»

«اشك بأن تكون عارية تماماً الآن.»

كان المعلم ينظر اليّ بعناية. فقلت بسرعة:

«هـل بوسعي ان ارافقـك عنـدما تزور القبر في المرة القادمة؟ بودّي ان اتنزه معك هناك.»

«لكنك تعرف، انما اذهب لازور القبر وليس لاتنزه».

«لكن من المؤكد اننا نستطيع ان نتنزه في الوقت ذاته.»

صمتَ المعلم قليـلاً، ثم قال: «صـدقني ان زيارة القبر بالنسبة لي مسألة مهمة حقاً.»

وبـدا لي انـه كان عازمـاً على التمييـز بين حجـه للقبـر والنـزهـة الاعتيـاديـة. لكنني تسـاءلت فيمـا اذا كان يقصـد بهـذا التبـريـر ان

لاارافقـه. وقتذاك ظننته طفولي النزعة على نحو غريب. الا انني اتذكر انني واصلت الالحاف عليه. قلت:
«حسن اذاً. اسمح لي ان اكون زائراً مرافقاً للقبر.»
في الحقيقة حسبت ان موقف المعلم غير معقول نوعاً ما. فعبر ظل حاجبه وشعت عيناه بغرابة. وليس بمقدوري ان احدد ماهية التعبير في وجهه: اهو انزعاج ام خوف ام كره؟ ومهما كان نوع التعبير، شعرت بأن هنـاك قلقـاً قاتـلاً تحتـه. وبغتة تذكرت الحال التي بدا فيها يوم ناديت عليه في زوشيغايا. قال المعلم:
«لااستطيع ان اقول لماذا. لكن لسبب وجيه ارغب بالذهاب الى ذلك القبر لوحدي. وكما ترى حتى زوجتي لم تذهب معي مطلقاً.»

❊

خطر لي ان سلوكه هذا كان غريباً. الا انني لم ازر المعلم بقصد ان ادرس شخصيتـه، لذا قررت ان لااشغـل بالي بالمسألة. فضلاً عن ان موقفي تجاه المعلم آنذاك، حسب مااتذكر، كان يتسم بقدر معين من الفخـــر. وكمـــا اعتقـــد، استطعنـــا لهـذا السبب ان نكـون صديقين حميمين. اما لو كنت فضولياً على نحو موضوعي وتحليلي، لما بقيت الآصـرة بيننـا قطعـاً وطبعـاً لم اعِ ذلـك في حينه. وانني لاكره ان افكر بالـذي كان من الممكن ان يحصـل، لو انني تصـرفت تصرفاً مخالفاً. وفي علاقته معي كان دائب الخشية من التعرض للتحنيل البارد.
حينذاك بدأت ازور المعلم مرتين اوحتى ثلاث مرات شهرياً. وفي احد الايام، وقد لاحظ المعلم تكرار زياراتي، قال فجأة:

«ماالذي يدعوك الى ان تقضي وقتاً طويلاً مع شخص على شاكلتي؟»
«لاارى هناك اي سبب خاص. . اتراني شخصاً بغيضاً ياسيدي؟»
«انا لم اقل ذلك.»

في الواقع انه لم يعدّني شخصاً بغيضاً ابداً. وكنت ادري ان عدد معارفه محدود. وحتى اولئك الذين كانوا معه في الصف نفسه في الجامعة، لم يتعد تعدادهم الاثنين او الثلاثة في طوكيو. احياناً كنت اجد في بيته طلبة من ذلك الجزء الريفي نفسه الذي يتحدر هو منه، غير انه بدا لي انه لم تكن بينه وبين اي واحد منهم تلك العلاقة الحميمة التي بيني وبينه. قال المعلم: «انني رجل وحيد. لذا انا مسرور بمجيئك لرؤيتي. لكنني رجل سوداوي المزاج ايضاً. لذلك اطلب ان اعرف منك سبب رغبتك في زيارتي غالباً.»
«لكن لماذا تطلب مني ذلك؟»

لم يجب المعلم. عوضاً عن ذلك، نظر لي وقال: «كم عمرك؟»

وبدت لي تلك المحادثة بلا جدوى. ودون المزيد من المتابعة لها غادرت. بعد ذلك بأربعة ايام رجعتُ الى منزله مرة أخرى. وحالما ظهر المعلم بدأ يضحك. قال. «ها قد عدت ثانية.»
«اجل، عدت.»
قلت هذا وشاركته الضحك.

لو ان شخصاً آخر غيره حدثني بهذه الطريقة، لشعرت بالضيق. اما مع المعلم فانها مسألة اخرى. وبدلاً عن ان اكون متضايقاً، كنت سعيداً.

وفي تلك الامسيــة كرر: «انني رجـل وحيـد. اوليس من الممكن ايضـاً ان تكـون انت وحيـداً؟ غيـر انني كبيـر السن واستطيع ان اعيش وحدتي بهدوء. اما انت فصغير السن. ومن الصعب ان تقبل بالوحدة. ولابد انك تحاربها احياناً».

«لكنني لست وحيداً ابداً.»

«الشباب اكثر المراحل وحدة. والا لماذا تأتي الى بيتي غالباً؟» وواصل المعلم:

«من المؤكد، حينما تكون معي لاتستطيع انتشال نفسك من وحدتك. فانس انني استطيـع مسـاعـدتـك. وفتش عن مكـان آخر تعثر فيه على مايواسيك. وعما قريب سوف تجد انك لم تعد بحاجة الى زيارتي.»

ولما قال المعلم هذا، ابتسم ابتسامة حزينة.

❊

من حسن الطالع، كان المعلم مخطئاً. وبما انني كنت قليل الخبرة آنـذاك، لم استطـع ان ادرك الاهميـة الـواضحـة لتلميحات المعلم. فواصلت الالتقـاء بالمعلم كالمعتـاد. بعـد ذلك بوقت قصير، وجدت نفسي اتنـاول العشـاء معه احياناً. وبالنتيجة كان لزاماً عليَّ ان احادث زوجة المعلم ايضاً.

وكأي شاب اخـر لم اكن غيـر مبال بالنساء. لكن لكوني شاباً وقليل الخبرة بالدنيا، لم تُتح لي الفرصة بعد لأن أنشىء اية علاقة صداقة مع امراة. كان اهتمامي بالنساء منحصراً بالنظرات التي كنت اصوبها الى النسـاء اللواتي لا اعـرفهن. وفي المـرة الاولى التي التقيت فيها بزوجة

المعلم في غرفة الجلوس الامامية حسبت انها جميلة. وكان انطباعي عن جمـالهـا متشابهاً في كل مرة رأيتها فيها بعد ذلك. لكنني شعرت، في البداية، انه لايوجد شيء مثير للاهتمام استطيع ان احدّثها به.

وعـوضـاً عن ان نقـول بانهـا لاتمتلك صفـات مميـزة خاصة جديرة بالمـلاحظـة، فمن الصحيـح ان نقـول بأنهـا لم تُمنح الفرصة لاظهار صفاتها. وكنت اشعر دائماً انها اكثر من ان تكون مجرد عنصر ضروري في حيـاة المعلم البيتيـة. وكـانت هي من جانبهـا، ولـو عن نية طيبة، تعتبـرني طالبـاً يأتي للتحـدث مع زوجهـا. ومـاعدا الرابطة التي كانت تربطني بالمعلم، لم يكن بيني وبينها اي تعاطف. ولاتحتوي ذاكرتي على أي شيء من تعارفي الاول بها سوى الانطباع عن جمالها.

وفي احدى الامسيات دعاني المعلم الى ان اشاركه في تناول قدح (سـاكي). واقبلت زوجـة المعلم علينـا وخـدمتنـا. وبـدا المعلم اكثر ابتهـاجـاً من المألـوف. وقـال لزوجته وهو يقدم كأسه الفارغة: «تناولي شيئاً من الساكي ايضاً».

«كلا. في الحقيقة لا..»

بدأت تقـول هذا، لكنهـا ما لبثت ان وافقت على اخـذ القدح دون رغبة. وبتقطيب قليل رفعت القدح، الذي ملأت نصفه. الى شفتيها. واعقبَ ذلك حديث بينها وبين زوجها. قالت: «هذا شيء غير مألوف. فما اندر ما طلبت مني ان اشرب الساكي».

«هذا لانك لاتحبين الساكي. لكنه يفيدك لو شربته احياناً. ولسوف يبهجك.»

«بالتأكيد لن يفعل. انه يجعلني اشعر بالضيق. على اية حال، يبدو انك صرت مبتهجاً، مع انك لم تتناول منه مقداراً كبيراً.»

«اجل يبدو انه يبهجني احياناً. لكنك تعلمين، ليس الامر كذلك في كافة الاحوال.»

«وكيف تشعر الليلة؟»

«اوه، الليلة! اشعر على احسن مايرام.»

«اذاً من الآن فصاعداً اشرب قليلاً منه في كل مساء».

«هذا مالا استطيع فعله.»

ارجوك ان تفعل. حينذاك سيزول عنك الانقباض.»

ولم يكن في البيت من احد سواهما غير الخادمة. وفي كل مرة كنت اذهب الى هناك، كان البيت يبدو ساكناً تماماً. ولم اسمع قط صوت ضحك فيه، وكان يبدو لي احياناً انني والمعلم الوحيدان في البيت.

قالت لي زوجة المعلم: «سيكون شيئاً لطيفاً لو صار لنا اطفال.»

اجبت: «اجل، اليس كذلك؟» الا انني لم اشعر بتعاطف حقيقي نحوها. وفي سني تلك، كان يبدو لي ان الاطفال ازعاج لاضرورة له.

«مارأيكِ لو تبنينا طفلاً؟»

«اوه، كلا. طفل متبنى؟» قالت هذا ونظرت اليّ. فقال المعلم: «لكنك تعلمين انه ليس بوسعنا ان نحصل على طفل خاص بنا ابداً.»

فسكتت زوجة المعلم. وسألت: «لِمَ لا؟»

«عقاب مقدس» اجاب المعلم وضحك ضحكة عالية تقريباً.

*

لقد بدا لي ان المعلم وزوجته زوجان مولع احدهما بالاخر. وبما انني لست عضواً في العائلة، فلا استطيع ان اعرف كيف كان يشعر احدهما نحو الآخر حقاً. لكن في كل مرة اجتمع فيها المعلم، كان المعلم ينادي على زوجته بدلاً عن الخادمة اذا اتفق انه بحاجة لشيء ما. كان اسم السيدة (شيزو). وكان المعلم ينادي: «شيزو» ويستدير صوب الباب. وكلما فعل ذلك، اتشحت نبرة صوته بالرقة دائماً. اما تصرفها هي، عندما تظهر، فينمُّ عن الاستعداد والطاعة باستمرار. وفي كل مرة كانا يدعواني فيها بلطف الى العشاء، وتسنح لي الفرصة بأن اراهما جالسين الى المائدة، كان يتأكد انطباعي الطيب عن احاسيسهما المتبادلة بينهما.

احياناً كان المعلم يأخذ زوجته الى حفل موسيقي او الى المسرح. واتذكر ايضاً انهما سافرا سوية في اجازة امدها اسبوع، مرتين او ثلاث مرات في الاقل في الفترة التي تعرفت فيها عليهما. ولا زلت احتفظ ببطاقة بعثا بها اليّ من (هاكوني). كما اتذكر انهما عندما سافرا الى (نيكو)، تسلّمت منهما رسالة في طيها ورقة شجرة قيقب.

ومهما يكن من امر، توجد هناك حادثة واحدة افسدت انطباعي العام عن حياتهما الزوجية. ففي احد الايام، كنت واقفاً كالمعتاد في غرفة جلوسهما الامامية وكنت على وشك ان اعلن عن مقدمي. فسمعت اصواتاً مقبلة من غرفة داخلية. وبدا ان مناقشة وليس محادثة اعتيادية كانت تجري هناك. وكانت الغرفة الداخلية ملاصقة لغرفة الجلوس الامامية فسمعت ما فيه الكفاية بأن اعرف ان ما يجري كان

مشاحنة، وان احد الاصوات الذي كان يرتفع بين آن وآخر هو صوت المعلم. اما الصوت الآخر فكان اخفض من صوت المعلم، ولم استطع ان اتأكد من كان صاحبه. وتأكدت فيما بعد بانه صوت زوجته. وبدا انها كانت تبكي. فوقفت في الغرفة قليلاً، غير دار ماذا افعل. عقب ذلك غادرت ورجعت الى سكني.

امتلأ قلبي بقلق شديد. فحاولت ان اقرأ شيئاً، لكنني وجدت انني لااستطيع ان اركز ذهني. بعد ذلك بساعة، سمعت المعلم ينادي عليَّ من تحت النافذة. وباستغراب أطللت برأسي. قال: «هيا بنا نتنزه.» فنظرت الى ساعتي ورأيت ان الوقت قد تجاوز الساعة الثامنة. ولما كنت لم اخلع سروالي عند عودتي، فقد غادرت غرفتي في الحال.

في تلك الامسية شربت انا والمعلم البيرة. ولم يكن المعلم يثقل في الشرب. ولم يكن من ذلك النوع من الاشخاص الذين يواصلون الشرب اذا لم يكن للكمية المعقولة المتناولة اي اثر بهيج عليه، قال المعلم بابتسامة جافة:

«ليس له مفعول، هذا المساء.» فسألته آسياً لحاله:

«الا تشعر بالسرور؟»

لم استطع ان انسى ماذا جرى مبكراً في هذا اليوم. فتضايقت جداً وكأن عظم سمكة انغرز في بلعومي. ولم استطع ان اقرر فيما اذا كان ينبغي ان اخبره اولا اخبره عن الامر. فلاحظ المعلم قلقي. قال: يبدو ان شيئاً ما يقلقك هذا المساء. ولاخبرك بالحقيقة، انا نفسي

لست في وضعي الاعتيادي. الم تلاحظ؟»

وجواباً على هذا، لم استطع ان اقول شيئاً.

«في الحقيقة لقد تشاحنت مع زوجتيَ قبل فترة قصيرة. وتركت لنفسي العنان بأن انفعل بحمق.

«لكن لماذا..؟»

بهذا بدأت، لكنني لم استطع ان احمل نفسي على قول «تشاحنت».

«كما ترى، فزوجتي تسيء فهمي أحياناً. وحينما ابين لها ذلك ترفض الاستماع لي. ولهذا السبب فقد افلت مني زمام السيطرة على اعصابي هذا اليوم.»

«بأي شيء تسيء فهمك يامعلم؟» فلم يجب المعلم على سؤالي. لكنه قال: «لو كنت ذلك النمط الذي في بالها من الرجال، لما كنت تعذبت كثيراً.»

كيف تعذب؟ هذا ما لم يستطع خيالي ان يدركه في حينه.

وفي طريق عودتنا مشينا بصمت لفترة قصيرة. ثم شرع بالكلام مرة ثانية.

«لقد فعلت شيئاً إدّا. ماكان لي ان اغادر البيت وانا في مثل هذه النوبة من الغضب. لابد ان زوجتي قلقة عليَّ الآن. وحين نفكر بالموضوع فالنساء مخلوقات تعيسة. فزوجتي مثلاً، ما من احد لها في هذه الدنيا تعتمد عليه سواي.»

وصمت قليلاً. وبدا انه لم يتوقع مني جواباً. ثم استأنف:

«طبعاً، سوف تجعلك ملاحظتي الاخيرة تفترض بأن الزوج معتمد على ذاته. وهذا امر مضحك. الا قل لي: كيف ابدو في عينيك؟ هل تظنني رجلاً قوياً او ضعيفاً؟»

فأجبت: «بين بين. .» ويظهر ان ردي لم يكن متوقعاً. فصمت مرة أخرى وواصلنا سيرنا.

كان الطريق المؤدي الى بيت المعلم يمرّ بالقرب من سكني تماماً. فلما وصلنا منعطف الشارع وكنت على وشك ان اودعه، ساورني شعور بأنها لقسوة مني اذا ماتركته في الطريق لوحده. قلت: «هل اوصلك الى البيت؟» فرد باشارة نفي سريعة بيده.

«الاوفق ان تذهب الى سكنك. الوقت متأخر. وانا يجب ان اذهب الى بيتي فاكراماً لزوجتي. . . .»

كانت كلمات المعلم الاخيرة «اكراماً لزوجتي. .» قد ادخلت الدفء الى قلبي. وبسبب هذه الكلمات استمتعت بنوم هادىء في تلك الليلة. وبقيت تلك الكلمات «اكراماً لزوجتي. .» حيّة في خلدي، زمناً طويلاً.

بعد ذلك علمت بأن الخلاف الذي وقع بينهما كان طفيفاً. واستمررت على زيارتهما بانتظام واستطعت ان اعرف ان ما حصل كان شيئاً استثنائياً. فضلاً عن ذلك فقد وضع ثقته فيَّ وقال لي في احد الايام: «في العالم قاطبة اعرف امرأة واحدة فقط. لا امرأة سوى زوجتي تثيرني كامرأة. وتعدّني زوجتي الرجل الوحيد لها. ومن وجهة النظر هذه، بوسعنا ان نكون اسعد زوجين.»

لااستطيع ان اتذكر بجلاء لماذا حمل نفسه على اخباري بذلك. بيد ان ما اتذكره هو ان طريقته كانت جادة آنذاك وانه كان هادئاً. وقد ادهشتني تلميحته الاخيرة بغرابتها: «بوسعنا ان نكون اسعد زوجين» لماذا قوله: «بوسعنا ان نكون»؟ لماذا لم يقل: «نحن اسعد زوجين»؟ هل كان المعلم سعيداً حقاً؟ لم يكن امامي ماستطيعه سوى السؤال. لكن سرعان ما ازحت جانباً شكوكي بخصوص سعادة المعلم.

وفي احد الايام، ولاول مرة منذ التقائي بها، تجاذبت حديثاً ممتعاً مع زوجة المعلم. وكان قد سبق لي ان طلبت من المعلم ان يناقش معي كتاباً، فدعاني بصدر رحب ان ازوره في ذلك اليوم لذلك الغرض. وحسب الترتيب المتفق عليه، وصلت في الساعة التاسعة صباحاً. لم يكن المعلم موجوداً في البيت فقد علمت بأن صديقاً له سوف يبحر من «يوكوهاما» وقد ذهب المعلم الى «شيمباشي» لتوديعه. وفي تلك الايام، كان من المعتاد ان يغادر القطار من «شيمباشي» الى «يوكوهاما» في الثامنة والنصف صباحاً. وقد ترك المعلم لي رسالة يطلب فيها مني ان انتظره لانه سرعان ماسيعود. لهذا، بينما كنت انتظر المعلم، تجاذبت الحديث مع زوجته.

*

حينذاك كنت طالباً جامعياً. وشعرت بأنني زدت نضجاً منذ زيارتي الاولى لبيت المعلم. كما انني زدت ألفة مع زوجة المعلم. وعليه حينما وجدت نفسي لوحدي معها لم اشعر بالارتباك ابداً. وتجاذبنا اطراف الحديث. وما كنت لاتذكر الحديث لو لم نتطرق فيه الى مسألة

كانت مثار اهتمامي الخاص. وقبل ان اسرد ماهية هذه المسألة، يجدر بي ان أشرح نقاطاً قليلة عن المعلم.

كان المعلم خريجاً جامعياً. كنت اعرف هذا منذ البداية. لكنني اكتشفت انه لايمارس عملاً بعينه عقب عودتي الى طوكيو من كاماكورا. وفي حينه عجبت كيف كان يدبر معيشته.

كان المعلم يعيش وضعاً غامضاً كلياً. فلم يعرف احد سواي عن دراسة المعلم وافكاره شيئاً. وغالباً ما ألمحت له بأن هذا امر مؤسف. لكنه لم يعرني اهتمامه. لقد قال لي في احدى المرات: «لامعنى لشخص مثلي ان يعبّر عن افكاره جهاراً.» فخُيل اليّ بأنه متواضع، كما انني تساءلت فيما اذا كانت هذه التلميحة منه نابعة عن احتقاره للعالم الخارجي. في الحقيقة انه لم يتورع احياناً ان يقول اشياء قاسية عن زملاء صفه الذين حققوا شهرة لانفسهم بعد التخرج. وفي احدى المرات اشرت له بصراحة تامة عن هذا التناقض الظاهر في موقفه الذي يختلط فيه التواضع بالاحتقار. لم اتطرق الى ذلك بشكل مثير. فقد افصحت عن اسفي للدنيا التي لم تبال بالمعلم الذي اكنُّ له الاعجاب كله. وبصوت هادىء جداً اجابني: «الا ترى.. لاشيء في طوقنا ان نفعله في هذا الشأن. وليس لي الحق بأن اتوقع شيئاً من الدنيا.» ولما قال ذلك، لاح على وجهه تعبير اثّر فيّ تأثيراً عميقاً. لكنني لم اعرف ماهية هذا التعبير: هل هو قنوط ام ندم ام حزن؟ فلم املك الشجاعة لأضيف شيئاً الى قولي.

وعندما كنت اجلس مع زوجة المعلم ونتبادل الحديث كنا نتطرق

الى موضـوع المعلم. سألتهـا: «لمـاذا لايخـرج المعلم الى معتـرك الحيـاة ويجـد لنفسه مكاناً يناسب مواهبه، بدلاً عن تزجية وقته كله في الدراسة والتفكير في البيت؟»

«اخشى ان اقول: لاامل يرجى من هذا. فهو يكره ذلك.»

«احسب انه يرى ان من العبث ان يفعل هذا.»

«لكـوني امـرأة، لااعرف. لكنني اشك بأن يكون هذا هو السبب. في الحقيقـة، انـا واثقـة بانه يحب ان يؤدي عملاً ما. لكنه لايستطيع على نحو ما. مااشد اسفي عليه.»

«لكنه في صحة تامة، اليس كذلك؟»

«بكل تأكيد. انه في اتم صحة.»

«حسن اذاً، لماذا لايعمل؟»

«لـيتني اعلم، اتظن انني كنت سأقلق كثيـراً لو علمت؟ انني اشعـر بالاسف من اجله.»

وحملت نبرة صوتها قدراً كبيراً من العطف. وافتر ثغرها، بالرغم من ذلـك، عن ابتسـامـة خفيفـة. وبقـدر تعلق الامـر بالمظهـر الخـارجي لكلينـا، يبـدو انني اكثـر منهـا قلقـاً. فجلست معها صامتاً ورزيناً. ثم رفعت نظرها كأنها تذكرت شيئاً ما بعتة، وقالت: «أتدري؟ انه لم يكن في شبـابـه ذلـك الشخص الـذي نعـرفه الآن. كان مختلفاً. لقد تغير كثيراً.» فسألت:

«متى كان مختلفاً؟»

«اوه.. في ايام التلمذة.»

«وهل تعرفت عليه عندما كان طالباً؟»

فبان شيء من الحياء على وجه زوجة المعلم.

*

كانت امرأة من طوكيو. وكانت هي نفسها والمعلم ايضاً قد اخبراني بذلك من قبل. وكان ابوها من منطقة «توتوري»، اما امها فقد كانت مولودة في «ايتشيغايا» حينما كانت طوكيو معروفة آنذاك باسم «يدو». لهذا السبب قالت لي مرة شبه هازلة: «انا في الحقيقة من دماء خليطة». اما المعلم فقد كان من مقاطعة «نيغاتا». وعليه، كان واضحاً لي ان موطنها الاصلي لايفسر لي كيفية تعرفها على المعلم حينما كان طالباً. بيد انني لم الحف في السؤال عندما لاحظت حمرة الحياء على وجهها عند الاشارة الى موضوع التعارف بينهما في مرحلة الشباب.

وفي غضون السنوات ما بين التقائي الاول بالمعلم وموته، تسنى لي ان اعرف كثيراً عن افكاره ومشاعره، اما بخصوص ظروف زواجه فلم يطلعني الا على النزر القليل. وكنت أميل احياناً الى ان اعدَّ هذا التحفظ من جانب المعلم امراً يستحق الثناء. وكنتُ اطمئن النفس بأن من الطبيعي ان يجد المعلم في الحديث عن غرامه الاول لشاب مثلي ما يجعله غير لائق وبعيداً عن الفطنة. لكنني كنت اميل احياناً الى ان انظر لتحفظه هذا في غير صالحه. وآنذاك كنت احب ان افكر بأن احجامه عن مناقشة هذه المسألة راجع الى التخوف الناجم عن تقاليد الجيل الماضي. وكنت احسب نفسي، بهذا الخصوص، اكثر انطلاقاً وسعة صدر من المعلم وزوجته. ومهما كانت افكاري المتعلقة بتحفظ

المعلم، فهي طبعاً لاتعدو كونها مجرد نظرات. ووراء هذه النظرات كان يقوم افتراض دائم بأن زواجهما ثمرة غرام جميل.

لم يكن افتراضي خاطئاً تماماً. لكنني كنت اتخيل ان جزءً صغيراً من هذه الحقيقة كامن وراء قصة حبهما. وما كان بوسعي ان اعرف انه كانت توجد مأساة مفزعة في حياة المعلم، لاانفصال لها عن حبه لزوجته. كما ان زوجته نفسها ما كانت لتعلم كم ان هذه المأساة قد جعلته تعيساً. ولغاية اليوم لاتعلم. فقد مات المعلم ولم يبح بسره لها. وقبل ان يحطم سعادة زوجته فقد حطم نفسه.

وهنا لن اتحدث عن المأساة في حياة المعلم. وكما اشرت مسبقاً، لم يخبرني المعلم اوزوجته بشيء عن علاقتهما الغرامية التي قُيض لها ان تنشأ من اجل المأساة. لقد ذكرت زوجة المعلم شيئاً قليلاً عنها من باب التواضع، اما بخصوص صمت المعلم فيوجد سبب اكثر غوراً.

وفي احد الايام، في اثناء موسم مشاهدة الورود، ذهبت انا والمعلم الى (يوئينو). انني لاتذكر هذا اليوم جيداً. فبينما كنا نتجول هناك اتفق لنا ان نرى رجلاً وامرأة حسني المظهر، الواحد منهما لصق الآخر، تحت الاشجار المزهرة. لقد لاح بأن الواحد منهما مولع بالاخر ايما ولع. كان المكان عاماً، لكنهما يبدوان اكثر اثارة للعديد من الناس من الورد نفسه.

قال المعلم، «يبدو انهما متزوجان حديثاً.»

«يبدو انهما مغرمان ببعضهما جداً، اليس كذلك؟» قلت بنبرة صوت مسرورة. فلم يلح على وجه المعلم حتى اثر صغير لابتسامة. وباشر

السير مبتعداً عن الزوجين عامداً. ثم قال لي :
«هل وقعت في الحب يوماً ما؟» فأجبت بالنفي .
«الا تريد ان تحب؟» فلم اجب بشيء .
«ليس لانك لاتريد ان تحب، اليس كذلك؟»
« كلا . »
«لقد هزأت من ذينك الزوجين، اليس صحيحاً؟ لكنك في الواقع بدوت لي مثل شخص غير راض لانه لم يستطع ان يحب، مع انه يريد ذلك . »
«هل بدوت هكذا؟» .
«اجل بدوت. ان شخصاً واقعاً هو نفسه بالحب يكون اكثر تحملاً ويشعر بمزيد من الدفء نحو الزوجين. لكن . . لكن الا تعرف ان في الحب ذنباً ايضاً؟ اتساءل ان كنت تفهم مرادي . »
لقد دهشت ولم انبس بحرف.

*

كان جمع غفير من الناس حولنا، وكان يبدو وجه كل واحد منهم طافحاً بالسعادة. ولم تتوافر لنا الفرصة في تبادل الحديث الى ان بلغنا الغابات حيث لاورود ولا ناس. سألته بغتة: «هل حقاً في الحب ذنبٌ؟»
«اجل، بالتأكيد..»
قال المعلم بثقة كما فعل من قبل.

«لماذا؟»

«سوف تكتشف ذاك عما قريب . في الحقيقة كان ينبغي ان تعرف ذلك الآن . فقد اقلق الحب قلبك لفترة من الزمن حتى الآن . »

وبحثت في قلبي عن الجواب ، لكن دون جدوى . قلت : «لكن لايوجد هناك من يتسنى لك ان تصفه بأنه موضع حبي . وانا لم اخفِ شيئاً عنك ، يامعلم ! »

«انك قلق لانه لايوجد من هو موضع حبك . ولو تسنى لك ان تقع في حب شخص معين ، لما كنت قلقاً . »

«لكنني لست قلقاً الآن . »

«الم تأت اليّ لانك شعرت بأن شيئاً ما ينقصك؟»

«اجل ، لكن مجيئي اليك لايشبه في شيء حاجتي للوقوع في الحب . »

«لكنه خطوة في حياتك باتجاه الحب . في الواقع ان الصداقة التى نشدتها فيَّ ، انما هي اعداد للحب الذي تنشده في المرأة . »

«اعتقد ان الشيئين مختلفان كلياً . »

«كلا . ليسا مختلفين . لكن بحكم كوني ذلك الانسان الذي تعرفه ، لااستطيع ان اساعدك في تخليص قلبك من شعور النقص هذا . فضلاً عن ذلك ان ظروفاً غريبة جعلت مني شخصاً غير ذي نفع اكثر مما انا صديق . وانا آسف لذلك حقاً . وإن لجأت أخيراً الى من يواسيك سواي ، فهي حقيقة يجب ان اقبل بها . حقاً ، حتى انت يجب ان تقبل بها . لكن . . »

وابتدأت اشعر بنوع غريب من الاسى.

«ايهــا المعلم! ان عنّ لك حقــاً انني سأنفض عنـك، فليس لديّ ما افعله بهذا الخصوص. بيد ان فكرة كهذه لم تخطر على بالي ابداً لحد الآن.»

لم يصغ المعلم اليَّ. واسترسل:

«لكن يجب ان تحتـرس. يجب ان تتـذكـر ان في الحب ذنباً. وينبغي عليـك ان لاتستمـد كثيراً من الرضى من صداقتنا، ولوانها في الاقل، خاليــة من الاذى. هل تدري ما معنى ان يُربـط المـرء باحكـام بشعـر طويـل اسـود؟» فخُيـل اليَّ انني فهمت مقصد المعلم، لكن لضآلة ما اتمتـع به من خبـرة، لم تجسـد كلماته الواقع لي. ثم انني ليست لدي فكرة عمّا عناه بكلمة «ذنب». فشعرت بشيء من عدم الرضى.

«يـامعلم! اشـرح لي بمـزيد من الوضوح ماتعنيه بالذنب. والا فدعنا، من فضلك لا نناقش هذه المسألة مرة ثانية، الى ان اكتشف بنفسي ما المعني بالذنب.»

«كـان خطأ مني. لقـد قصـدت ان اجعلك واعياً بحقائق معينة. عوضاً عن ذلك، فقد افلحت في استفزازك فقط. كان خطأ مني.»

ومشيت انـا والمعلم الهوينى باتجاه (يوغئي سوداني)، مارين بظهر المتحف. واستطعنا ان نرى من خلال الفجوات في السياج شجيرات الخيـزران القصيـرة التي نمت بكثـافـة في جانب من الحديقة. واتسم المشهد بمسحة من الهدوء العميق المعزول.

«هل تعلم لماذا اذهب الى قبر صديقي في زوشيغايا في كل شهر؟»

لم يكن سؤال المعلم هذا متـوقعـاً ابـداً. وكان ينبغي بالطبع ان يعرف بأنني لا اعـرف. فلزمت الصمت. بعـد ذلـك، وكأنه ادرك ما قاله تواً، فقد واصل المعلم قائلاً.

«لقــد قلت الشيء الخطأ مرة ثانيــة. كنت اسعى لشـرح ملاحظـاتي الاولى لانني ظننت انها قد استثارتك. لكنني اجد في محاولتي للشرح انني قد استشرتك مرة ثانية. فدعنا ننسَ المسألة برمتها. لكن تذكر ان في الحب ذنباً. وتذكر ايضاً ان في الحب شيئاً مقدساً.»

وقـد زادني حديث المعلم هذا التبـاسـاً. لكنني لم اسمع منه كلمة «حب» بعد ذلك ابداً.

*

وبمـا انني كنت شابـاً فقـد كنت أميـل ما اكـون الى الانصراف الى هدف واحـد دون غيـره. ولابـد ان يكون هذا هو التصرف الذي بدوت عليه امام المعلم، في الاقل. وكنت اعدُّ الحديث مع المعلم اكثر نفعاً من المحـاضـرات في الجـامعة. وكنت اقوم اراء المعلم اكثر مما اقوّم اراء اسـاتـذتي. فقـد بدا لي المعلم الـذي دأب على اسلوب الـوحدة والاقتضاب بالكلام اعظم من اولئك الاساتذة المشهورين الذين كانوا يلقـون عليّ محـاضـراتهم من فوق منصاتهم. وفي احدى المرات قال لي المعلم:

«يجدر بك ان تكون اكثر اعتدالاً في آرائك عني.»

«لكن هذا هو ما انا عليه.»

صحتُ بثقة. فرفض المعلم، على اية حال، ان يأخذني مأخذ الجد.

«ان مثلك مثـل رجـل محموم. وستنقلب حماستك الى اشمئزاز، بعد انقضاء الحمى. ويجعلني رأيك الحالي فيَّ تعيساً جداً. وحينما افكر بأن الوهم سوف ينجاب عنك مستقبلاً، اراني اشعر بأسف اعظم..»

«أتحسبني طائشاً؟ أتجدني غير اهل للثقة؟»

«بكل بساطة، انا آسف لك.»

«انني استحق عطفك وليس ثقتك. اليس هذا ما تقصد يامعلم؟»

لقـد لاح عليـه الضيق وهـو يديـر وجهه صوب الحديقة. وقبل وقت قصيـر، كانت الحـديقـة مكتظة بورود الكاميليا. اما الآن، فان الورود اللاتي اضفت السناء على المشهد بلونها الاحمر الغزير، توارت كلها. وكان من عادة المعلم ان يطل من نافذة غرفته ويحدق اليها.

«لست انتَ بالذات الذي لااثق به، بل البشرية كلها.»

واستطعت ان اسمـع منـاداة بائـع السمك الذهبي من الزقاق الواقع على الجـانب الآخـر من سيـاج الشجيرات. لم يكن ثمة صوت آخر. كان البيت على مبعـدة من الطـريق الـرئيس، ويبـدو اننـا كنا محاطين بسكينة تامة. وكالمعتاد، كان كل شيء ساكناً في داخل البيت نفسه.

وكنت أعــرف ان زوجـة المعلم كانت في الغـرفـة المجـاورة، امـا شاغلة نفسهـا بالخيـاطـة او بأي عمـل مماثل. وكنت اعرف ايضاً انها كانت تستطيع ان تسمع ما نقول. لكنني نسيت هذا في تلك اللحظة، وقلت:

«اذن انت لاتثق بزوجتك ايضاً؟»

فبدا على المعلم شيء من القلق. وتجنب اعطاء جواب مباشر على سؤالي.

«انا لااثق حتى بنفسي. وبما انني لااثق بنفسي، فمن الصعب ان اثق بالآخرين. ولايوجد هناك ما استطيع فعله سوى ان العن نفسي.»

«من المؤكد، يامعلم، انك تفكر جدياً في مثل هاتيك الامور.»

«لاتتعلق المسألة بالشيء الذي أفكر فيه. إنها تتعلق بالشيء الذي فعلته وادّى بي الى ان أشعر بهذا الشعور. في البداية شعرت بالصدمة من فعلي هذا. ثم شعرت بفزع فظيع.»

كنت ارغب في مواصلة الحديث، لكن صوت زوجة المعلم قطع علينا حديثنا وهي تنادي عليه من وراء الباب. قال المعلم: «ماذا وراءكِ؟»

فقالت زوجته: «ايمكنك ان تأتي الى هنا للحظة؟»

ما ان بدأت اتساءل عن سبب استدعائه الى الغرفة المجاورة، واذا به يعود. واستأنف قائلاً: «على اية حال، لاتضع ثقة كبيرة فيَّ. ستعرف الندم إن فعلت. واذا ما شعرتَ يوماً ما بأنني لم اكن عند حسن ظنك، فسوف تجد الحقد يأكل قلبك بقسوة.»

«ماذا تقصد؟»

«ان ذكرى ثقتك بي مرة سوف تتلبس كيانك، وسوف تنزع الى الحط مني بمرارة وخزي. انا لااريد اعجابك بي الآن، لانني لااريد منك الاهانات لي في المستقبل. انني الوذ بالوحدة الآن لكي اتجنب وحدة اعظم في قادمات السنين. انك ترى، ان الوحدة هي الضريبة التي يجب ان ندفعها لاننا ولدنا في هذا العصر الحديث، المليء بالحرية والاستقلال والنفوس الانانية.»

فلم استطع ان افكر بأي شيء اقوله .

*

بعد ذلك اليوم ، صار من عادتي ان اتساءل في كل مرة أرى فيها زوجة المعلم فيما اذا كان موقفه تجاهها هو الذي عكس افكاره الباطنية ، واذا كان الامر كذلك ، فهل كانت هي راضية بحالها .

بيد انني لم ألمس الرضا او عدمه في سلوكها . بالطبع انني لم اكن قريباً منها بما يكفي لأن اعرف ماهية مشاعرها الحقيقية . فأنا لم ارها بعيداً عن المعلم الا نادراً ، وفضلاً عن ذلك ، كان سلوكها في حضوري دائماً سلوك مضيفة تقليدية .

وعجبت ايضاً من هذا الشعور الذي كان المعلم يكّنه نحو البشرية . وتساءلت مع نفسي : هل كان هذا الشعور حصيلة استقصاء غير متحيز لذاته الداخلية وللعالم المعاصر من حوله؟ واذا ما كان المرء مثل المعلم في تأمله وذكائه واعتزاله عن العالم ، فهل سيتوصل الى النتائج نفسها حتماً؟ وعلى اية حال ، ان امثال تلك التساؤلات التي خطرت في ذهني ، لم تشبع فضولي تماماً . فقد لاح لي ، ان اراء المعلم لم تكن حصيلة تأمل متوحد . وانها لم تكن ، اذا جاز التعبير ، مثل هيكل بيت حجري اتلفت النار اجزاءه الداخلية . انها اكثر حيوية من ذلك . صحيح ان المعلم كما عرفته مفكراً قبل اي شيء آخر ، غير ان افكاره كما لمست كانت مبنية باحكام على اساس من الاحساس القوي بالواقع . ولم يأت جل هذا الاحساس بالواقع من ملاحظته لتجربة الآخرين بقدر ما اتى من تجربته الخاصة .

ومهمـا يكن من امـر، فقـد أضـافت تأمـلاتي تلك شيئـاً الى فهمي للمعلم. وفي الحقيقة، فقد هيأ لي المعلم السبب للاعتقاد بأن طبيعة تجـربتـه هي التي فرضت عليـه حقاً تلك الافكار. وكان قد المح اليها فقـط، وكـانت تلميحاته اشبه بسحابة كبيرة منذرة، معلقة فوق رأسي، وبرغم غموض شكلها العام الا انها مفزعة. ومع ذلك كان الخوف في باطني حقيقياً.

حاولت ان اشرح لنفسي وجهة نظر المعلم بالحياة بأن اتخيل وجود علاقـة غراميـة في شبـابـه - بالطبـع بين المعلم وزوجته - منطوية على عاطفة عنيفة في البداية، ولربما على ندم فيما بعد. وطاب لي ان افكر ان يأخذ مثل هذا الشرح بنظر الاعتبار مسألة الربط بين الذنب والحب في عقـل المعلم. الا ان المعلم كان قد اعتـرف لي بأنـه لايزال يحب زوجته. وعليه فان سبب تشاؤم المعلم لايمكن، من الناحية المعقولة، ان يعـود الى العـلاقـة بينهمـا. لذا بدت افكار المعلم المبغضة للبشر والتي افصح عنها لي، تصحُ على العالم الحديث عموماً وليس على زوجته.

وكـانت ذكـرى القبـر في مقبرة زوشيغايا تراود ذهني بين حين وآخر. وكنت اعـرف جيـداً ان لهـذا القبـر معنى عميقاً عند المعلم. وكنت انا الذي غدوت اثيراً لدى المعلم لااعرف من امره الا قليلاً، لكنني كنت أحسب هذا القبر يحمل، بمعنى ما، شطراً من حياته. لكن اياماً كان مدفوناً فيه فهو ميت بالنسبة لي، وكنت أدري انني لن اجد فيها المفتاح لقلب المعلم. في الحقيقة، لقد وقف هذا القبر كهولة فاصلة بيننا على الدوام.

وفي غضـون ذلـك، اتفق ان سنحت لي فرصـة بتبادل الحديث مع زوجـة المعلم. وكـان هذا في ذلـك الـوقت من السنـة الذي تقصر فيه الايـام والـذي يشيع فيه الشعور بالنشاط المتواصل في كل مكان. وفي حينه كانت هنـاك قرصـة برد. وفي خلال الاسبـوع المنصـرم، وقعت سلسلة من الســرقـات في المنطقـة المجـاورة لبيت المعلم. ووقعت جميـع هذه السـرقـات في السـاعـات الاولى من الامسيات. لكن لم تُسـرق حاجـات ثمينـة. مع ذلـك كانت البيوت تُنتهك. وكانت زوجة المعلم قلقـة. ولسـوء الحـظ، كان مضطـراً الى مغادرة بيته في احدى الامسيـات. فقـد جاء الى طوكيـو صديق له، وهـو من المكان الريفي نفسـه الـذي يتحدر منه المعلم، وكان هذا الصديق طبيباً في مستشفى اقليمية. وفي تلك الامسية كان المعلم متفقاً مع صديقين او ثلاثة على دعــوة الطـبيب الى العشــاء في مطعم. وبعــد ان شرح المعلم لي الموقف، طلب مني ان ابقى مع زوجته الى حين عودته. فقبلت ذلك عن طيب خاطر.

*

كان الـوقت غسقـاً حين بلغتُ المنـزل.وكـان المعلم، وهو شخص حريص على الشكليات، قد غادر قبل وصولي.

«لم يرغب زوجي ان يتأخر. لقد غادر قبل دقيقة واحدة.»

هذا ما قالته زوجة المعلم وهي تقودني الى مكتب زوجها.

كان المكتب مؤثثـاً، بعض أثـاثـه من الطـراز الغـربي وفيـه منضدة وبضع كراسي. ومن خلال اللوحات الزجاجية لخزانة الكتب لاح عدد ضخم من الكتب المجلدة تجليداً جميلاً. فطلبت منى زوجة المعلم

ان اقعد على وثار جنب كانون النار.
«يوجد هنا عدد كبير من الكتب لك ان تقرأ فيها اذا رغبت.»

قالت هذا وغادرت الغرفة. فلم استطع ان اداري شعوراً بالارتباك وكأنني كنتُ زائراً عابراً في انتظار عودة رب البيت. وبدأت ادخن، جامداً في جلستي. واستطعت ان أسمع زوجة المعلم تتحدث الى الخادمة في غرفة الصباح الواقعة على امتداد الرواق الذي يقع فيه المكتب. على اية حال، كان المكتب في طرف الرواق، وعليه كان في الجزء الهادىء جداً من المنزل. وحين انقطعت زوجة المعلم عن الكلام، احاط بي سكون شامل ولانني توقعت ان يظهر اللص في اية لحظة، فقد جلست ساكناً واصغيت لكل صوت مشتبه به مما يفسد السكون.

وبعد حوالي نصف ساعة ظهرت زوجة المعلم عند الباب وقالت: «حسناً». لقد لاح عليها الاستغراب والسرور حينما رأتني جالساً بجمود وجدية مثل ضيف غريب. قالت: «يبدو انك غير مرتاح جداً.»
«اوه، كلا. انا مرتاح جداً.»
«اذن لابد انك ضجر.»
«اوه، كلا. انا متوتر الاعصاب لانتظاري اللص. لذلك انا لست ضجراً.»

ظلت واقفة وبيدها كوب شاي اوربي، وضحكت. قلتُ:
«ان موقع هذه الغرفة في ركن بعيد من البيت لايجعل منها مكاناً نموذجياً لراصد.»

«حسن. في هذه الحالة، اذا شئت، تعال الى غرفة الصباح.
لقد جلبتُ لك شيئاً من الشاي، ظناً مني بأنك ضجر. بوسعك ان ترتشفه هناك.»

تبعت زوجة المعلم خارجاً من غرفة المكتب. وفي غرفة الصباح كانت غلاية معدنية تترنم فوق كانون طويل انيق. وهناك اعطتني شاياً اسود وكعكاً. اما هي فقد امتنعت عن شرب الشاي، زاعمةً بأنها لن تقدر ان تنام لو شربته. سألت:

«هل يخرج المعلم غالباً الى حفلات العشاء؟»

«كلا. ليس دائماً. يبدو مؤخراً انه صار اقل ميلاً لرؤية الناس.

وبدا ان زوجة المعلم لم تعرب عن اي قلق حينما قالت هذا، لذا تجرأتُ اكثر وسألت:

«لابد انكِ الشخص الوحيد الذي يحب المعلم ان يكون معه.»

«بالتأكيد لا. انا مثل جميع الآخرين في نظره.» قلت:

«هذا غير صحيح. وانت تعلمين جيداً بأنه غير صحيح.»

«ماذا تقصد؟»

«حسن. اعتقد انه ضاق صدره بمصاحبة الآخرين لولعه بك.»

«ارى ان الثقافة العالية قد جعلتك ماهراً في التسويغ العقيم. كان ينبغي ان تفكر بأنه لايمكن ان يولع بي، لأنني جزء من العالم الذي يكرهه.»

«هذا صحيح. لكنني محق في هذه الحالة.»

«دعنا من النقاش. فأنتم معشر الرجال تتناقشون بأي شيء وبلذة

متناهية جداً. وغالبا ما تساءلت كيف تستطيعون انتم الرجال ان تتبادلوا اقداح الساكي الفارغة دون ان تملوا.»

حسبت ان كلماتها كانت قاسية نوعاً ما. لكنها لم تحمل اساءة لي. لم تكن زوجة المعلم عصرية جداً بحيث تجد متعة ومباهاة في القدرة على عرض براعتها العقلية الفائقة. وقد كانت تثمن كثيراً ذلك الشيء المدفون عميقاً في قلب المرء.

*

وددت ان أطيل الكلام. لكنني خشيت ان تحسبني واحداً من الرجال المناقشين، لذلك لزمت الصمت.

«اتريد مزيداً من الشاي.»

قالت زوجة المعلم بلباقة لما رأتني احدق ببلاهة الى الكوب الفارغ. وبسرعة ناولتها الكوب.

«كم قطعة؟، واحدة؟ اثنتين؟»

والتقطتْ قطعة سكر باداة غريبة، وكانت تنظرلي وهي تقول هذا. وتوخياً للدقة، فانها لم تسعَ للفوز برضاي، لكنها كانت تحاول، ان تمحو عني تأثير كلماتها القاسية بتصرفها الفاتن.

وشربت الشاي بصمت. وبقيت صامتاً حتى بعد الانتهاء منه.

قالت: «يبدو انكَ بالغتَ في الصمت.»

«حسن. انا لااريد ان أعنّف لكوني مناقشاً.»

«هيا. هيا.»

وبدأنا نتحدث مرة ثانية. وبالطبع عاد بنا الحديث الى موضوع

المعلم. قلت:

«الا تسمحين لي بمواصلة ما كنت اتحدث فيه؟ لربما بدا لكِ انني قد انغمرت في تسويغ غير ذي معنى، لكن، في الحقيقة، كنت صادقاً».

«حسن. حسن.»

«الا تظنين بأن حياة المعلم من دونك سوف تكون كما هي؟»

«يقيناً لاادري. لماذا لاتسأل المعلم؟ سيكون اكثر صواباً ان تسأله.»

«من فضلك. انا جادٌ. لاتحاولي التملص من سؤالي بعبث. كم اود ان تصدقيني القول.»

«لكنني صادقة. بصراحة انا لاادري.»

«اذن دعيني اسألك سؤالاً تستطيعين انت وليس المعلم ان تجيبي عليه. انت مولعة بالمعلم جداً، اليس كذلك؟»

«بالتأكيد، لاحاجة لطرح مثل هذا السؤال، وبوجه وقور ايضاً!»

«اتقصدين ان الجواب واضح؟، وان سؤالي غبي؟»

«تقريباً.»

«اذن ماذا سيحدث للمعلم لو ان رفيقاً مخلصاً مثلك تركه فجأة؟ يبدو، في الواقع، انه يجد متعة قليلة في هذا العالم. ماذا سيفعل من دونك؟ انا لااريد ان اعرف كيف يرد على هذا السؤال. اريد ان اعرف بماذا تفكرين بصراحة. هل تظنين انه سيكون سعيداً ام تعيساً؟»

«في الواقع، انا اعرف الجواب. ولو ان المعلم لا يظنني اعرف، سيكون المعلم تعيساً جداً من دوني. اجل! من دوني، لعله لن يرغب حتى ان يواصل العيش. ولربما يبدو هذا مباهاة مني، لكنني أعتقد حقاً بأنني قادرة على ان اجعله اسعد ما يمكن لانسان ان يسعد غيره.

واعتقد انه لايوجد احد غيري قادر على ان يسعده كما افعل انا. ولولا اعتقادي هذا لما رضيت عن نفسي كما انا راضية الآن.»

«من المؤكد ان قناعة كهذه يجب ان يعرف بها المعلم.»

«هذه مسألة أخرى تماماً.»

«هل لاتزالين راغبة في التأكيد على ان المعلم يكرهك؟»

«اوه، كلا، لم يخطر على بالي للحظة بانه يكرهني. ولايوجد سبب بأن اكون موضع كرهه. لكنك ترى انه يبدو تعباً نوعاً ما من الدنيا. في الحقيقة، من الصواب القول بأن المعلم تعب من الناس في هذه الايام. وحين أرى بأنني واحدة من المخلوقات التي تسكن هذا العالم، لااستطيع ان اتوقع ان يعتبرني مستثناة.»

لقد بدأت افهم زوجة المعلم فهماً افضل.

*

لقد تأثرت بعمق بقدرتها على التعاطف والتفهم. ومما اثرّ فيَّ ايضاً هو انها لم تنجرف بالنزعة الشائعة آنذاك في استخدام الكلمات «الحديثة»، رغم ان تصرفاتها لم تكن تصرفات امرأة يابانية محافظة.

وكنتُ شاباً ساذجاً نوعاً ما، وكانت النساء، مثلاً، غريبات كلياً عن العالم الذي اعرفه او الذي خبرته. صحيح، انني كرجل، كنت اشعر بلهفة غريزية نحو النساء، غير ان هذه اللهفة لم تكن اكثر من حلم غامض، الا تختلف كثيراً عن لهفة المرء عندما يرى سحابة جميلة في سماء ربيعية. وعندما كنت أجد نفسي وجهاً لوجه مع امرأة، غالباً ما كان يتوارى هذا الشوق فجأة. بيد ان رد فعلي لم يكن كذلك مع زوجة

المعلم . وعندما اكون معها لااشعر حتى بتلك الفجوة الذهنية التي تفصل بين الرجال والنساء غالباً. في الحقيقة سرعان ما نسيت انها امرأة وصرت اعتبرها جزءً من الشخص الوحيد الذي استطيع ان اشركه في موضوع اهتمامي الصادق، الذي اتعاطف معه، الا وهو شخص المعلم . قلت:

«هل تتذكرين عندما سألتك مرة عن سبب انكفاء المعلم عن العالم الخارجي ، واجبتِ بأنه لم يكن بمنعزل عن العالم دائماً؟»

«اجل اتذكر. وحقاً انه لم يكن منعزلاً . »

«كيف كان اذاً؟»

«كان شخصاً من النمط الذي تتمناه، ومن النمط الذي انا اتمناه . كان ينطوي على الامل والقوة . »

«ما الذي جعله يتغير فجأة؟»

«لم يكن التغير مفاجئاً. لقد حصل تدريجياً . »

«وانتِ كنت معه طوال الفترة التي كان يحصل فيها التغير؟»

«طبعاً. كنت زوجته . »

«من المؤكد اذاً انك لابد تعرفين سبب التغير. »

«لسوء الحظ، كلا . انني لارتبك اذ اعترف بهذا، لكن مهما فكرت فلا يبدو انني بقادرة على ايجاد الجواب . لايمكن ان تتصور كم مرة رجوته ان يخبرني عن سبب التغير . »

«ماذا يقول حينما تسألينه؟»

«يقول ان لاشيء لديه ليخبرني به، ولا حاجة بي للقلق . كما يقول ان

هناك شيئاً في طبيعته يتغير هكذا . »

ولم ازد شيئاً وسكتت زوجة المعلم . ولم يصدر صوت من غرفة الخادمة . ونسيت امر اللص تماماً . وفجأة سألتني :

«هل تظن بأنني الملومة؟» قلت: «كلا» . قالت:

«ارجو ان تخبرني بما تفكر به حقيقة . فانا لا اطيق ان تفكر بي في سرك بأنني المسؤولة . ارجو ان تفهم بأنني احب ان اوحي لنفسي بأن افعل ايما شيء استطيع من اجل مساعدة المعلم . »

قلت: «انا واثق بأن المعلم يعرف ذلك ، ارجو ان لاتقلقي . صدقيني فالمعلم يعرف . »

وسوّت الجمرات في الكانون وصبّت من ابريق مزيداً من الماء في الغلاية المعدنية . فتوقفت الغلاية عن الترنيم .

«واخيراً لم استطع ان اتحمل هذا طويلاً ، فطلبت منه ان يخبرني بصراحة ان كان قد وجد عندي خطأً في فعل اي شيء . وقلت له ، انه لو اخبرني فقط عن اخطائي ، فسوف اسعى لاصلاحها اذا امكن ذلك . اجاب بأنني ليست لدي اخطاء وانه هو نفسه الذي ينبغي ان يلام . فجعلني رده حزينة جداً . وجعلني ابكي كما جعلني اريد منه ان يخبرني بأخطائي اكثر من اي وقت آخر . »

وفي الوقت الذي قالت فيه زوجة المعلم هذا ، لاحظت وجود دموع في عينيها .

*

لاول وهلة ، ظننت ان زوجة المعلم امرأة ذات ذكاء . لكن طريقتها

بدأت تتغير تدريجيا في مجرى الحديث، ووجدت بأنها لم تعد تجتذب ذهني بل بدأت تستثير قلبي.

لم يكن بينها وبين المعلم شعور غير ودي. في الحقيقة لم يكن هناك من سبب يدعو لذلك الشعور. مع ذلك، كان يوجد شيء ما قد باعد بينها وبين المعلم. لكن مهما بذلت من جهد، فانها لم تستطع ان تعرف الشيء الذي باعد بينهما. وباختصار، كانت تلك محنتها.

وادعت بما ان المعلم قد كره الدنيا جداً، فمن المحتم ان تصبح هي جزء من هدف كراهية المعلم. الا انها لم تستطع ان تقنع نفسها بأن هذا هو التفسير الصحيح. ولم تستطع السيدة المسكينة ان تتحاشى التفكير بأن العكس هو الصحيح تماماً، واعني به: هو ان المعلم قد برم من الدنيا بسببها. لكنها مع ذلك لم تستطع ان تجد وسيلة تثبت فيها شكها. فقد كان تصرف المعلم تجاهها تصرف زوج محب. وكان لطيفاً معها مراعياً لحقوقها ومشاعرها. وهذا اذاً هو سرها الذي حفظته في فؤادها طوال تلك السنين بحزن معتدل وافشت به اليَّ في تلك الليلة. وقالت:

«ماذا تظن؟ هل انه اصبح كذلك بسببي ام بسبب رأيه في الحياة؟ من فضلك لاتُخفي عني شيئاً.»

لم تكن لدّي اية نية في اخفاء اي شيء عنها. لكن، مادمت اعرف بانه توجد أشياء في حياة المعلم لاادرك كنهها، فلم استطع، لجهلي اياها، ان آمل بادخال الراحة على قلب زوجة المعلم. قلت:

«انا لااعرف حقاً.»

فبدت على وجهها مسحة احباط، ورثيت لحالها. وقلت بسرعة:

«لكنني استطيع ان اطمئنك بأن المعلم لايكرهك. وانني اكرر عليك فقط، ما اخبرني به نفسه. وانت تعلمين ان المعلم لايكذب ابداً.»

لم تنطق زوجة المعلم بكلمة. وبعد فترة قصيرة، بدأت الكلام مرة ثانية.

«اتذكر شيئاً ما..»

«هل تعنين ذلك الشيء الذي يجوز ان يفسر تغير المعلم؟»

«اجل. اذا كان هذا الشيء هو السبب، فلم اكن انا مسؤولة عنه آنذاك. لو كنت متأكدة فقط، لكان العلم بهذا الشيء، في الاقل، قد ادخل السكينة في فؤادي.»

«الا تخبرينني؟»

ترددت وحدقت الى يديها المتشابكتين في حجرها. قالت:

«سوف اخبرك. ويجب ان تخبرني بما يدور في ذهنك.»

«سأفعل خير مااستطيع.»

«لن اخبرك بكل شيء. واذا فعلت، سوف يغضب المعلم مني جداً. سأخبرك بجوانب من القصة التي لايستاء المعلم من اخباري اياك بها.»

فشعرت بتوتر متزايد في داخلي.

«حينما كان المعلم لايزال طالباً في الجامعة، كان له صديق حميم فيها. وقبل ان يوشك هذا الصديق على التخرج وافته المنية. لقد مات فجأة.»

ثم اضافت بنبرة شبه هامسة:
«في الواقع، لم تكن وفاته طبيعية.»
قالت هذا بطريقة لم استطع معها الا ان اسألها على التو: «كيف؟»
«لااستطيع ان اخبرك بالمزيد. على اية حال، في اعقاب وفاة هذا الصديق ابتدأ المعلم يتغير شيئاً فشيئاً. انا لااعرف سبب وفاته. واشك ان كان المعلم يعرف ايضاً. ومن الناحية الاخرى، حينما يتذكر المرء ان التغير حصل بعد الوفاة، يتساءل ان كان المعلم لايعرف حقاً.»
«هل هو ذلك الصديق المدفون في زوشيغايا؟»
«هذا ايضاً شيء غير مسموح لي ان اخوض فيه. ولكن هل يمكن لانسان ان يتغير هكذا لمجرد موت صديق؟ كم بودي ان اعلم ذلك. هذا ما اريد منك ان تخبرني به.»
فكنت مضطراً للاعتراف بأنني لااظن ذلك.

*

وبقدر ما كنت استطيع حاولت ان ادخل الراحة على قلب زوجة المعلم. ولاح لي انها هي ايضاً كانت تحاول ان تجد الراحة في صحبتي. وواصلنا الحديث عن موت صديق المعلم وعن التحول في سلوك المعلم الذي اعقب الوفاة. ومهما كان، لم اعرف منها سوى القليل عن هذه المسألة مما لم يتح لي ان اكون ذا عون كبير لها. ولم يبد ان زوجة المعلم كانت على علم كبير بالمسألة ايضاً، ولم يتعد قلقها سوى القليل من الشكوك الجادة. فضلاً عن ذلك، لم تمتلك الحرية في اخباري بجميع الاشياء التي تعرف. واذا، عام كلانا، انا

الــذي توخيت اراحتهــا وهي التي توخت ان ترتـاح مني ، في بحـر من القلق ، قانطين .

وفي حوالي الساعة العاشرة سمعنا وقع خطوات المعلم وهي تقترب من البوابة الامامية . وكأن زوجة المعلم قد نسيت جميع ماكنا نتحدث فيـه ، قامت بسرعة واندفعت لملاقاته . وتركتني وحدي وراءهـ . وكأنها نسيت وجودي كلياً . فتبعت زوجة المعلم . ومن المحتمل ان الخادمة التي ركبهـــا الكــرى في غرفهـا ، قد أخفقت في الظهـور في الصـالـة الامامية لتحية سيدها .

وبـدا المعلم في مزاج رائق نوعـاً ما . وكـانت زوجته في حالة نفسية افضــل . وانني لاتذكر الدموع في عينيها والقلق على سيماها ، وما كان بوسعي الا ان الاحظ التغير في مزاجها . ولم ارتب حقاً باخلاصها . الا انني كنت ميالاً ، مع شيء من التبرير ، ان احسب بأنها كانت تتلاعب بعاطفتي اثناء الحديث كما هي عادة بعض النساء . على اية حال ، لم اكن في حالـة ذهنيـة نافـذة ، ومهما كان وضعي ، فقد شعرت بالارتياح وانا اراها على هذه الدرجة من البهجة . وفكرت مع نفسي ، ان لاداعي لأي قلق من جانبي . وكشـر المعلم لي وقـال : «اشكـرك على تحملك الازعاج . لم يظهر على كل حال؟» وأضاف : «هل صدمت؟»

وفيما كنت على وشك ان اغادر ، قالت زوجة المعلم : «آسفة لانني سببت لك مضـايقـة . » وبدا ان اعتذارها لم يكن بسبب قتطاعها كثيراً من وقت طالب منشغــل بدراستــه ، بقــدر ما كان بسبب عدم ظهـــور اللص ، وقـد عبـرت عن ذلـك باسلوب فكـه . ثم اعطتني بقية الكعك لاحمله معي الى بيتي بعد ان غلفته بقطعة ورق . فوضعت اللفافة في

جيبي وخرجت تحت جنح الظلام البارد. وهرعت مسرعاً في المنعطفات والازقة المهجورة قاصداً الشوارع المكتظة.

لقد كتبت بتفصيل مطول احداث تلك الامسية، وانني اليوم اشعر بأهمية ما فعلت. لكن في تلك الامسية، وفي الوقت الذي غادرت فيه بيت المعلم، والكعك في جيبي، لم اعر اهمية كبيرة للحديث الذي تداولته مع زوجة المعلم. وفي اليوم التالي، بعد المحاضرات، رجعت الى سكني كالعادة، بغية تناول الغداء. وعلى منضدتي استقرت لفافة الكعك التي اعطتني اياها زوجة المعلم. ففتحتها واخترت كعكة مغطاة بالشكولاته وبدأت اكلها. وفكرت بالزوجين اللذين اعطياني اياها وقررت بأنهما لابد ان يكونا سعيدين الواحد مع الآخر.

ومر الخريف دون احداث خطيرة. وبدأت احمل ملابسي لزوجة المعلم لتصلحها لي، وعند ذاك فقط بدأت أعنى بملبسي. وكانت هي لطيفة اذ عبّرت عن ترحابها بهذا العمل كوسيلة لاشغال وقتها وهي بلا ولد.

وفي احدى المرات قالت: «هذه حياكة يدوية.» واشارت الى كيموني. «انني لم اشتغل بنسيج رائع كهذا. الا ان من الصعب ان اخيطه. لقد انثلمت ابرتان فيه لحد الآن.»

وحين شكت على هذه الصورة، لم يبد في صوتها ضيق حقيقي.

*

وفي ذلك الشتاء اضطررت للذهاب الى بلدتي. فقد وصلتني رسالة من امي تقول فيها بأن مرض ابي بلغ منعطفاً سيئاً، وانه وان لم

يكن ذا خطورة مباشرة، لكن من الافضل الالتحاق بهم كلما كان ممكناً. وكما ذكرتني الرسالة، فقد كان ابي مسنّاً على اية حال.

كان ابي يعاني من ألم الكلية منذ فترة. وكما هي الحالة غالباً مع الاشخاص الذين تجاوزوا اواسط العمر، فقد كان مرض ابي مزمناً. بيد ان والدي وبقية الاهل كانوا يعتقدون، ان مع العناية الجيدة، من الممكن كبح المرض، وما اكثر ما كان يتباهى امام زائريه بأنه ما كان له ان يبقى حياً لولا عنايته بطريقة حياته.

ومهما يكن، فقد كانت حالته اسوأ مما تصورنا. وحسب ما ورد في رسالة امي، انه سقط مغشياً عليه بينما كان يتمشّى في الحديقة. وفي البداية، كان الاعتقاد بأنه أصيب بسكتة خفيفة، غير ان الطبيب الذي فحصه فيما بعد، قرر بأن نوبة الاغماء ناجمة عن مرض الكلية.

وبما ان اوان العطلة الشتوية لم يكن بعيداً، وبما انني فكرت بأن لاضرورة للذهاب فوراً، فقد قررت البقاء الى حين انتهاء الفصل الدراسي.

وبعد يوم او يومين من وصول رسالة امي ابتدأت اقلق. وتصورت ابي راقداً في الفراش وامي قلقة عليه، فقررت الذهاب على جناح السرعة. لم يكن لدي ما يكفي من النقود لدفع اجرة القطار، ولغرض ان اتجنب عناء الكتابة الى الاهل لتزويدي بالمبلغ ومن ثم انتظار وصوله اليَّ، فقد قررت الذهاب الى المعلم للاقتراض منه. وعلى اية حال، كنت اريد ان ازوره زيارة وداعية.

كان المعلم يعاني من حالة برد. ولما لم يكن راغباً في الخروج الى

غرفـة الجلوس، فقـد دعيت لرؤيتـه في مكتبـه. وكانت أشعة الشمس الرقيقة تملأ الغرفة، على ندرة مثل هاتيك الاشعة في ذاك الشتاء. وفي تلك الغـرفـة المشمسـة جاء المعلم بكـانـون نار كبيـر. وفوق الكانون وُضِعَ اناء معدني مملوء بالماء لكي يريح البخار المتصاعد عنه انفاس المعلم. قال المعلم وابتسم لي ابتسـامـة حزينة: «من الافضل لي ان امـرض مرضـاً حقيقيـاً على ان اعـاني من برد تافـه كهذا.» قلت: «انا استطيـع ان أتحمـل برداً اعتيادياً. لكنني لااريد، بالتأكيد، مرضاً أشد خطـورة. يامعلمي، انـا واثق بأنك سوف تشعر بمثل شعوري هذا، لو انك أصبت بمرض حقيقي.»

«اظن ذلـك. في الحقيقـة، انني لو اصبت بمـرض حقيقي، فلشـد ما اتمناه ان يكون مرضاً مميتاً.»

لم أُعـر كلمـات المعلم اهتماماً كبيراً. واخرجت رسالة امي وطلبت من المعلم قرضاً. قال: «بكل تأكيد. اذا كان هذا كل ما تطلب، فانا واثق بأننا نستطيع ان نعطيك ماتريد على التو.»

نادى الـمعلم على زوجتـه وطلب منهـا جلب المبلغ. ورجعت، ووضعت المبلغ بأدب على قصـاصـة ورق بيضـاء قائلة: «لابـد انك قلق.» وسأل المعلم: «كم مرة أُغمي عليه؟»

«لم تذكر امي ذلك. لكن، هل هو شيء اعتيادي ان يُغمى على المرء غالباً في مثل تلك الحالات؟»

«نعم.»

فيمـا بعـد علمت ان حمـاة المعلم قد ماتت بسبب مرض ممـاثـل في الكلية. قلت: «على اية حال، لايمكن لوالدي ان يكون بصحة

جيدة . » فقال المعلم : «لااظنه كذلك . كم اتمنى ان اكون في مكانه . هل يعاني من غثيان؟ »

«لاادري . من المحتمل . . لا . في الاقل ، لاذكر لذلك في الرسالة . »

قالت زوجة المعلم : «انه على مايرام ، مادام لايعاني من الغثيان . »

وفي تلك الليلة غادرت طوكيو بالقطار .

*

لم يكن ابي مريضاً جداً كما توقعت . فعند رجوعي وجدته جالساً في السرير . قال : «انني اقعد في السرير هكذا لكي لايقلق الاخرون عليّ . في الحقيقة ، اشعر بقدر من الصحة استطيع به النهوض من الفراش» . وفي اليوم التالي ، غادر سريره بخلاف رغبات امي .

قالت امي : «لانك هنا ، اقنع ابوك نفسه بأنه بصحة احسن . » لكن لم يبد لي انه اتخذ مظهراً شجاعاً من اجلي .

كان اخي الاكبر يعمل في مدينة (كايوشو) البعيدة ، وعليه لم يستطع زيارة والديّ ، الا اذا شعر بالحاجة الملحة لاداء ذلك . وكانت اختي الكبرى متزوجة وتقيم في مقاطعة اخرى . وهي الاخرى ايضاً لم يكن يسيراً عليها القدوم الى بلدتنا . وعليه ، لكوني طالباً ، كنت الوحيد من بين ثلاثة اخوة ممن دعاهم الابوان الى المجيء الى البلدة بلا تقيد .

كان ابي مسروراً غاية السرور اذ رجعت اليهم غب استلامي رسالة امي مباشرة دون انتظار مني الى نهاية الفصل . قال ابي : «آسف لقطعك دراستك . لقد كانت هناك ضجة حول مرضي الخفيف .

وكتبت امـك رسـائل عديدة بهذا الشأن . » وبدا عليه انه استعاد صحته الاعتيـاديـة . قلت : «سـوف تمـرض مرة ثانيـة مالم تعن عنـايـة افضل بصحتـك . » فزاع عن نصحي وقـال بابتهـاج : «لاتقلق . سأكـون على خير مايرام ما دمت أعنى بنفسي كما عنيت بها دائماً . »

في الحقيقـة ، بدا ابي بعـافيـة كافية . وتجول حول المنزل دون ان تظهر عليه اية علامة من الاجهاد . صحيح ، انه بدا شاحباً جداً ، لكن بمـا ان هذا الشحـوب لم يكن عارضـاً مرضيـاً جديداً ، فلم نعره سوى اهتمام قليل . »

وكتبت الى المعلم شاكـراً ايـاه على القـرض . وأخبرته بأنني سوف اعـود الى طوكيـو في كانـون الثـاني ، وانني سوف اعيـد له المبلغ عند عودتي اذا لم يكن يضـايقـه ذلـك . واخبـرتـه بأن والدي كان في صحة احسن ممـا توقعت ، وانـه لايـوجـد سبب لأي قلق عاجل ، كما انه لم يعـان من نوبـات الاغمـاء او الغثيان . واختتمت الرسالة بسؤال مهذب عن اصابته بالبرد ، التي كنت ميالاً الى اعتبارها مسألة ذات شأن قليل .

لقد كتبت الرسالة دون ان اتوقع تسلّم جواب من المعلم . وبعد ان بعثت بهـا بالبـريـد اخبـرت والـديّ عنـه . وبينما كنت اقوم باخبارهما وجدت نفسي افكر بالمعلم وهو في غرفة مكتبه .

«عندما ترجع الى طوكيو، لماذا لا تأخذ له معك بعض الفطر المجفف؟»

«اشكـرك . الا انني اتسـاءل ان كان المعلم يأكـل اشيـاء كالفطـر

المجفف.» «يجوز ان الفطر طعام غير شهي، لكن من المؤكد ان لا أحد يكرهه.» على نحو ما لم استطع ان أقرن الفطر المجفف بالمعلم.

واصابتني دهشة ما حين وصلتني رسالة من المعلم. ومما زاد دهشتي عند قراءتي اياها، انها كُتبت كما بدا لي بلا هدف معين. لكنني اقررت بأنه كان لطفاً منه ان يرد على رسالتي. وقد جعلني هذا، اي تكليف نفسه بالرد، سعيداً جداً.

واذا ما اعطيت، دون فطنة، انطباعاً بأنني والمعلم كنا نتبادل المراسلة كثيراً، فأودّ هنا ان اقول بأنني طوال المدة التي عرفت فيها المعلم تسلّمت منه رسالتين فقط، من الصعب ان يطلق عليهما المرء اسم رسائل، كانت احداهما تلك الرسالة البسيطة التي ذكرتها تواً، وكانت الاخرى رسالة طويلة قد كتبها لي قبل وفاته بوقت قصير.

وبما ان والدي لم يُسمح له بمزاولة اي نشاط، فانه لم يغادر البيت بعد نهوضه من الفراش. وفي احدى المرات، وفي يوم مشمس خرج الى الحديقة. فخشيت عليه ولازمته. ولما حاولت اقناعه بالاتكاء على كتفي ضحك ولم يصغ لي.

*

وبغية ان اساعد ابي في نسيان ضجره، كنت الاعبه الشطرنج غالباً. كنا كلانا كسولين جداً بطبعنا. وكنا نجلس على الارض ونغطي جسدينا من الخصر الى الاسفل بلحاف واسع لغرض التدفئة. وبعد كل نقلة، كنا نعيد ايدينا تحت اللحاف، وبنا عزم ان لا نضحي براحتنا

من اجـل اللعب. واحيـانـاً كان يضيـع منا بيدق او بيدقان ولا نكتشف ذلك الا حين نعاود اللعب مرة ثانية. وقد سرّنا جميعاً عندما عثرت امي في احـدى المـرات على القطـع الضـائعـة بين جمـرات المـوقـد، اذ التقطتها من النار بملقط. قال ابي في احدى المرات:

«ان الشيء الجيـد في الشطـرنـج هو اننا نستطيع ان نلعبه بهذا الوضع المريح. انه لعبة مثالية للكسالى من امثالنا.»

كان ابي يرغب بان يلعب دوراً جديـداً دائمـاً، سواء ربـح ام خسر. وكـان يبـدو انـه لايتعب من لعب الشطرنج ابداً. في البداية كنت تواقاً جداً لأن العب معـه. فقـد كانت تجـربـة جديـدة لي ان امضّي الوقت على هذه الصـورة وكأنني رجـل عجـوز متقـاعـد. لكن بانصرام الايام بَرِمْتُ من هذه الحيـاة الخـاملة. فقـد كنت افيض بحيـويـة الشبـاب الـدافقـة بحيث لَم ارضَ ان اكـون ملاعبـاً لابي. واحياناً، في معمعة اللعبة، كنت اتثاءب بقوة.

وفكـرت بطـوكيو. وبدا لي، ان الشوق في داخلي للنشاط قد تفاقم مع كل نبضـة قلب. وعلى نحـوٍ غريب، شعـرت كأن المعلم كان الى جانبي وهو يشجعني على أن أقوم واذهب.

وقارنت ابي بالمعلم. كان كلاهما من النمط الذي يمحو ذاته. في الحقيقـة، كان محـو الـذات هذا عنـد كليهما في ما يتعلق بالعالـم من حولهما، يعطي الانطباع بأنهما ميتان. فمن وجهة نظر الناس، كانا بلا وجـود تمـامـاً. لكن، في الـوقت الذي اخفق فيه ابي ان يسليني، فأن المعلم الذي لـم انشد التسلية في صحبتي له، قد منحني اشباعاً فكرياً

عظيمـاً . لربمـا لايجـدر بي ان استخـدم كلمة «فكرياً» ، لانها تنطوي على معنى بارد وغيـر شخصي . والاحـرى ان استخـدم كلمة «روحياً» بدلاً عنها . في الحقيقة لم اجد في ذلك مبالغة في حينه ، اذ اخترقت قوة المعلم الـروحيـة بدني ، وانسـابت حيـاته نفسها في عروقي . ولم اكتشفت حقيقـة مشـاعري نحو هذين الرجلين ، انتابتني صدمة . أفلم اكن من لحم ابي ؟

وفي الوقت الذي بدأت اشعر فيه بالضيق في البيت ، بدأ ابي وامي ايضاً يضيقان بي ذرعاً . وتخرمت روعة اللقاء الجديد . ومن المحتمل ان الغـالبيـة من النـاس الـذين يعودون الى بيوتهم بعد غياب طويل قد خاضـوا مثـل هذه التجـربة . ففي الاسبوع الاول ونيّف تتصاعد حمى اللقـاء ، لكن ما ان تخفت الاثـارة الاولى ، حتى يبدأ العائد يفقد بريق حضـــوره . والآن قد مضـت الـمـرحلة الاولى على مكثي في البيت . فضـلاً عن ذلـك ، كنت في كل مرة ارجـع فيها الى البيت ، اكون متأثراً بمـزيـد من الحيـاة في طوكيـو . وهذا الشيء لم يحبه اويفهمه ابواي . وكمـا يحلو للبعض من اهـل الزمان الغابر ان يعبروا ، كنت كمن يدخل هبـةً من الـروح المسيحيـة على عائلة تدين بالكـونفشيوسية . وبالطبع كنت احـاول اخفـاء ايمـا تغييرات طبعتها طوكيو على سلوكي . غير ان طوكيو صارت جزءاً من كياني ، لذلك لم يعد بوسع ابويّ الا ان يلاحظا ماطرأ عليَّ من تغيير . فانقطعت عن الشعور بمتعة وجودي في البيت ، وطفقت اعجّل بالعودة الى طوكيو .

ولحسن الحـظ ، لم تبـد حالة ابي في ارتكاس نحو الاسوأ . ولاجل

ان تطمئن نفوسنا طلبنا من طبيب بارز كان يسكن على مبعدة من منزلنا ان يأتي ويفحص ابي بعنـايـة . وقـد اطمأن الطبيب على صحـة ابي كاطمئنـاننـا نحن عليـه . فقررت ان اغادر في بحر ايام قليلة قبل انتهاء العطلة الشتوية . وبما ان الطبيعة البشرية شكسة ، فقد عارضا قراري . قالت امي : «اتتركنـا بهـذه السـرعة؟ انك لم تقض وقتاً طويلاً؟» وقال ابي : «من المؤكد انك تستطيع ان تمكث معنا اربعة او خمسة ايام أخرى .»

بيد انني لم اغيّر رأيي .

*

ولما عدت الى طوكيو اكتشفت ان جميع معالم الزينة للعام الجديد قد رُفعت . لكنني لمست شيئاً من روح العام الجديد باقية عند سيري في الشوارع الباردة الجاثمة تحت الريح .

وبعـد وصـولي مبـاشـرة زرت المعلم لكي أُعيـد اليـه المبلغ الذي اقتـرضتـه منـه . كما انني حملت معي الفطر المجفف . وفكرت ان من الجـائـز ان يبدو غريباً تقديم الفطر بلا شيء من التوضيح ، لذلك ما ان وضعتـه امـام زوجـة المعلم حتى شرحت لهـا بعناية بأن امي هي التي رجتني ان اقدمه لها وللمعلم . وكان الفطر موضوعاً في صندوق كعك . فشكـرتني زوجـة المعلم بأدب ، وحينمـا نهضت ، حملت الصنـدوق وذهبت به الى الغـرفـة المجـاورة . ومن المحتمـل انهـا دُهشت لخفـة حمله ، فقالت : «اي نوعٍ من الكعك هذا؟»

وكلمـا زاد المـرء أُلفـة مع زوجـة المعلم ، كلمـا بدت له الجـوانب البريئة والطفولية في شخصيتها .

وكان لطفاً منهما اذ سألاني عن صحة ابي . قال المعلم : «يبدو لي ان اباك بصحة تامة في الوقت الحالي . لكن يجب ان يكون حذراً وان لاينسى بأنه مريض . »

وظهر ان المعلم كان يعرف اشياء مختلفة كثيرة عن مرض الكُلية الذي لااعرف عنه .

وواصل المعلم : «ان المشكلة في مرض ابيك هو ان الشخص المصاب به لايحسُّ به غالباً . ان موظفاً كنت اعرفه مات بهذا المرض فجأة في نومه . ولم يتيسر لزوجته التي كانت نائمة الى جانبه الوقت الكافي لتفعل شيئاً من اجله . كان قد ايقظها مرة واحدة في الليل واخبرها بأنه لم يكن على مايرام . وفي الصباح التالي كان ميتاً . والشيء المنحوس هو ان زوجته قد كونت انطباعاً بأنه قد عاود النوم . »

فركبني القلق فجأة، انا الذي كنت ميالاً للتفاؤل حتى تلك اللحظة . «هل تظن ان الشيء نفسه سوف يحصل لابي؟ لايستطيع المرء ان يقول بأنه لن يحصل، أليس كذلك؟»

«ماذا يقول الطبيب؟»

«يقول بأن ابي لن يشفى ابداً . لكنه يقول ايضاً بأنه لاضرورة للقلق عليه لفترة من الزمن . »

«حسناً . اذا كان هذا ما يقوله الطبيب، فكل شيءٍ على ما يرام . فالرجل الذي حدثتك عنه كان قبل كل شيء مهملاً في حق نفسه . فضلاً عن ذلك، كان جندياً وعاش حياة غير معتدلة . »

فأدخلتْ ملاحظات المعلم الاخيرة شيئاً من الراحة على قلبي .

وبعد ان راقبني المعلم هنيهات ولاحظ الراحة على وجهي ، قال: «غير ان الرجال مخلوقات تعيسة جداً سواء أكانوا اصحاء او غير اصحاء. من ذا يستطيع ان يقول كيف سيموتون او متى؟»

«انت من دون الناس كلهم تفكر بهذا.»

«طبعاً. ربما انا اتمتع بالصحة، لكن هذا لايمنعني من التفكير بالموت.» وابتسم المعلم ابتسامة خفيفة.

«من المؤكد، يوجد كثير من الرجال الذين يموتون بغتةً، لكن بهدوء، بأسباب طبيعية، كما يوجد اولئك الذين يموتون موتاً مباغتاً ومثيراً بعنف غير طبيعي.»

«ماالذي تعنيه بالعنف غير الطبيعي؟»

«لست متأكداً تماماً، لكن. . ألا تتفق معي بأن الاشخاص الذين ينتحرون انما يلجأون الى عنف غير طبيعي؟»

«اذن افترض انك تتفق معي بأن الاشخاص الذين يُقتلون انما يموتون ايضاً عن طريق عنف غير طبيعي.»

«لم يخطر على بالي ذلك ابداً. لكنك على صواب طبعاً.»

بعد ذلك بفترة وجيزة تركت المعلم وذهبت الى مسكني. وفي تلك الليلة لم اقلق كثيراً من مرض والدي، كما لم اصرف وقتاً طويلاً في معاودة التفكير بما قاله المعلم عن الموت. كنت منشغل التفكير جداً بمسألة اطروحة التخرج التي حاولت البدء بها مرات عدة ولم أفلح. وقلت لنفسي، ينبغي عليَّ حقاً ان استعد للبدء بكتابتها في الحال.

❊

كان المتوقع ان اتخرج في حزيران من تلك السنة، وطبقاً للاصول المرعية كان يجب اكمال الاطروحة في نهاية نيسان. ولما عددت الايام المتبقية لي، بدأت افقد الثقة. وقد ظهر لي، انه في الوقت الذي كان فيه الآخرون منشغلين لفترة من الزمن بجمع المواد وحشد الملاحظات، كنت انا وحدي الذي لم أفعل شيئاً سوى ان اعد نفسي بأنني سوف ابدأ العمل بأطروحتي في السنة الجديدة.

في الحقيقة شرعت في الجزء الاول من العام، لكن لم يمر وقت طويل حتى وجدت نفسي في حالة من الشلل الذهني. ولقد خُيل لي باعجاب انني بمجرد ان افكر بمسائل كبيرة محددة على نحو غامض، سوف استطيع ان اضع هيكلاً متماسكاً ومتكاملاً لاطروحتي. الا انني ما ان بدأت بالعمل جدياً حتى اكتشفت حماقتي. فيأست. ثم بدأت أضيق دائرة موضوع الاطروحة. ولغرض ان اتحاشى المشكلة في تقديم افكاري الخاصة بطريقة منتظمة، قررت ان اجمع المعلومات ذات الصلة بالموضوع من كتب مختلفة وان اضيف اليها النتيجة المناسبة.

وكان الموضوع الذي اخترته ذا صلة وثيقة بمجال اختصاص المعلم. ولما سألت المعلم ان كان يظن هذا الموضوع مناسباً، قال بأن من المحتمل ان يكون كذلك. وحالما انتابتني حالة من الذعر، هرعت راجعاً الى المعلم اسأله عن الكتب التي يجب ان اطالعها. فزودني بجميع المعلومات التي لديه عن طيب خاطر، ثم عرض عليَّ ان يعيرني كتابين او ثلاثة كتب كانت ضرورية لعملي. لكنه رفض

بثبات ان يرشدني الى اكثر من ذلك.
«مؤخراً لم اعد اقرأ كثيراً. ثم انني لم اطّلع على الدراسات الحديثة. ومن الخير لك ان تسأل اساتذتك في الجامعة.»

ولما قال المعلم ذلك، تذكرت ملاحظة زوجته في احدى المرات بأن المعلم، وان كان قارئاً نهماً في السابق، الا انه فقد اهتمامه القديم بالكتب. وللحظة نسيت امر اطروحتي وقلت: «ايها المعلم، لماذا انت غير مولع بالكتب مثلما كنت سابقاً؟»

«لا يوجد سبب معين. حسناً.. ربما السبب هو انني فكرت بأنني مهما قرأت من كتب، فلن اغدو انساناً افضل مما انا عليه الآن. و...»

«و..؟»

«هذا غير مهم، لكن.. لكي اقول لك الحقيقة، كنت أُعد الامر شائناً اذا ما اكتشف الناس بأنني جاهل. اما الآن، فلا اجد نفسي خجلاً من كوني اعرف اقل من غيري. كما انني أقل ميلاً للضغط على نفسي بقراءة الكتب. باختصار، لقد كبرت واصبحت عاجزاً.»

كانت طريقة هادئة تلك التي قال بها هذا الكلام. فلم أتأثر كثيراً بما قال، ربما لأن لهجته لم تحمل مرارة امريء ادار ظهره للعالم. وتركت البيت من غير ان اظن بأنه صار عاجزاً او ترك فيَّ اثراً خاصاً.

ومنذ ذلك الحين فصاعداً. حومت الاطروحة فوق رأسي كاللعنة، فعملت عليها كمجنون بعينين محتقنتين دماً. وسارعت بالاتصال بالاصدقاء الذين تخرجوا قبل عام لاستشارتهم في جميع الامور. لقد اخبرني احدهم بأنه لولا ركوبه عربة الركشة وذهابه الى ابنية الجامعة

لمـا افلح في تسليم اطـروحتـه قبل الموعد المحدد. واخبرني آخر بأنه سلّم اطـروحتـه متأخـراً عن المـوعـد بخمسة عشر دقيقة، ولولا تدخل استـاذه الاول لمـا قُبلت. لقـد اقلقتني مثـل هذه الحكـايـات، لكنها منحتني الثقــة في الـــوقت نفسـه. وفي كل يوم، كنت ابـذل قصـارى الجهـــد وأقضي سـاعـــات طويلة في العمـل. فاذا لم اكن جالسـاً الى منضـدتي، اكـون في المكتبة المورثة للكآبة، متصفحاً بسرعة عناوين الكتب على الرفوف العالية، وكأنني صائد تحف.

في البداية برعمت أشجار الخوخ، ثم غيّرت الريح الباردة اتجاهها صوب الجنـوب. فيمـا بعـد بفترة، سمعت بأن أشجار الكرز قد بدأت تزهـر. لكنني لم أفكـر بشيء سوى اطـروحتي. وقبل الجزء الاخير من نيسان لم ازر المعلم ولا مرة واحدة، واكملت اطروحتي أخيراً.

❊

وفي النهـايـة، حينما تساقطت جميع براعم الكرز المزدوجة وبدأت تحـل محلهـا اوراق خضـر معتمـة، فرغت من العمـل وصرت طليقاً. كانت بدايـة صيف. لقـد ابتهجت بحريتي كطائر صغير طار من قفصه الى الفضـاء الـرحب. وفي الحال زرت المعلم. وفي طريقي الى بيته لاحظت ان البراعم الصغيرة على أماليد شجيرات السفرجل قد صارت اوراقـاً، كمـا لاحظت ايضاً ان اوراق اشجار الرمان الداكنة اللماعة قد عكست ضوء الشمس على نحو خفيف. واستمتعت بهاتيك المشاهد كما لو انني كنت اراها لاول مرة في حياتي.

ولمـا رأى المعلم وجهي السعيـد، قال: «هكذا اكملت اطروحتك اخيـراً. انني لسعيـد.» قلت: «نعم، اشكـرك. لقـد اكملتهـا اخيراً.

وليس لدي ما افعله الآن . »

لقد شعرت بالسعادة، وفكرت في حينه انني ما دمت قد انجزت ما هو مطلوب مني ، فلم يبق لدي حقـاً ما افعله غير ان استرخي وامتّع ذاتي . وقد نظرت الى اطروحتي بملء الثقة والرضا . وحدثت المعلم بلا انقطاع عما كتبته فيها . وقد أصغى المعلم لي بطريقته المألوفة ، وما عدا مداخلات عرضية مثل : «افهم» او «هل هو كذلك؟» ، فقد امتنع ان يعلق بشيء . ولم اشعر بعدم الرضا بقدر ما شعرت بالتضاؤل . ومهما يكن ، فقد كنت افيض حيوية في ذلك اليوم للحد الذي اردت فيه ان أسحب المعلم من فتوره . وحاولت ان اغريه بالخروج الى الدنيا الخضراء اليانعة .

«يامعلم ! دعنا نخرج في نزهة . ياله من نهار جميل ! »

«نزهة؟ اين؟»

لم آبه الى اي مكان نذهب . في الواقع انني اردت ان اخرج مع المعلم . وبعد ساعة تركنا مركز المدينة وتمشينا في ضاحية هادئة بدت لنا ريفية الطابع تقريباً . وقطفت ورقة زعرور بري غضّة وابتدأت أصفر فيها . لقد كنت صافراً متمرساً في ورق الاشجار نوعاً ما ، وكان صديق لي من (كاغوشيما) قد علمني حيلة هذا الصفير . وبزهوٍ واصلت صفيري لهنيهات ، اما العلم فقد واصل المشي دون ان يعرني اقل انتباه . وبعد وقت قصير قادتنا اقدامنا الى درب قصير يبدو انه كان يؤدي الى بيت فوق تل صغير . كان التل مغطى بكتلة من اوراق النباتات الخضر . وفي آخر الدرب كانت بوابة ، وعلى احد عموديها وضعت

رقيعـة نبهتنـا الى اننا كنا عند مدخل مشتل زراعي . عند ذاك عرفنا بأن الـدرب لايؤدي بنـا الى عقـار خاص . فرفع المعلم بصره نحو البوابة ، وقـال : «هـل ندخـل؟» فأجبت على الفـور: «اجـل. انهم يبيعـون الاشجـار هنـا، اليس كذلك؟» وتابعنا السير في الدرب الملتوي خلال الاجمـة حتى وصلنـا البيت الـذي كان يقـع الى شمـالنـا. وقد تُركت الابـواب الـزلاقـة مفتـوحة، فأستطعنا ان نرى ما بداخل البيت تماماً. وبـدا لنـا ان لااحـد موجـود في المكان . وفي حوض واسع امام البيت استطعنـا ان نرى اسمـاكـاً ذهبيـة صغيـرة فيـه . قال المعلم : «المكان هادىء هنا بكل تأكيد. الا انني اتساءل: هل يحق لنا الدخول بلا استئذان؟»

وواصلنا السير، ومع هذا لم نصادف احداً. وحولنا من كل جانب، تألقت نبـاتـات الازاليّـة بكـل روعتهـا. واشار المعلم الى احداها وقد كانت انمى طولاً من غيـرهـا وكـان لونهـا احمـر مشـربـاً بصفـرة. قال المعلم : «اظن ان هذه هي الازاليّة التي نطلق عليها اسم كريشيما»[١] وكـانت الفـاوانيـا[٢] ايضـاً تغطي مسـاحـة قدرهـا حوالي عشـر تسوبات.[٣] بالنسبة لها كان الوقت صيفاً ولم يحن الاوان لتزهر، لكنها

١ـ وهي تعني حرفياً باليابانية : جزيرة الضباب .

٢ـ الفاوانيا. نبات ذو زهرات كبيرة حمراء او قرنفلية او بيضاء .

٣ـ tsubo : وحدة قياس يابانية تساوي اربع باردات .

ازهـرت قبـل الميعـاد. وعلى حافـة حقـل الفـاوانيا هذا كانت مصطبة قديمـة. فجلس المعلم عليهـا مرخياً جسده. اما انا فقد جلست على طرفهـا وبـدأت ادخن. وحـدّق المعلم الى السماء التي بدت من شدة زرقتهـا شفـافـة. امـا انا فقد فتنتني الاوراق الغضّة المحيطة بي. ولما نظـرت اليهـا بعنـايـة، لم اجـد حتى شجـرتين لاوراقهمـا لون واحـد بالضبط. ولقد كان لاوراق كل شجرة قيقب، مثلاً، لون متميز خاص. وهبّت نسمـــة، فطيـــرت قبعـة المعلم التي كان قد علقهـا على طرف غصن أرز رشيق.

*

التقطت القبعـة على الفـور. وبعـد ان نفضت عنهـا ذرات التـراب الاحمر، قلت: «يامعلم، لقد وقعت قبعتك.»

«اشكرك.»

وقـام المعلم نصف قيـام ليأخـذ قبعتـه. وبعدئذ، وهو باق في هذا الوضع ـ بين القعود والقيام ـ سألني سؤالاً غريباً.

«يجوز ان يكون سؤالي مباغتاً، لكن قل لي: هل عائلتك ثرية جداً؟»

«حسناً. لااظن ان ما نمتلكه يمكن ان يوصف بكونه ثروة.»

«تقديراً، كم تمتلكون؟ انا لااقصد ان اكون فظّاً.»

«في الحقيقـة لاادري. اننـا نمتلك بعض الغـابـات وعـدداً قليـلاً من الحقول، لكنني اشك بأن لدينا اي مال.»

كانت هذه هي المـرة الاولى التي يسألني فيهـا المعلم مبـاشـرة عن اموال العائلة. كما انني لم اسأل المعلم ابداً عن مصدر دخله. وطبعاً

كنت اتســـاءل كيف كان يتسنى له ان يعيش عيشـــة بطـــالـة. الا انني امتنعت عن ان اسألـه عن الـوسيلة التي كان يؤمّن بهـا عيشه، ظناً مني بأن من السمـــاجـة ان افعـل ذلـك. وقـد جعلني سؤال المعلم انسى الاشجار التي كنت اتأملها بهدوء، لكنني وجدت نفسي فجأة اسأله:

«وانت يامعلم؟ اي نوع من الثروة تمتلك؟»

«هل انني اشبه ثرياً في نظرك؟»

لم يكن المعلم يرتـدي لبـاسـاً غاليـاً. وكانت في بيته خادمة واحدة فقـط ولم يكن بيتـه واسعاً مطلقاً. وحتى انا الذي لم اكن فرداً من افراد عائلتـــه استطعت ان الاحـــظ بجـــلاء بأنـه كان يعيش عيشـة رخيـة. صحيح، انه لم يعش حياة بطرة، لكن من ناحية اخرى لم تكن هناك ضرورة لأن يقتر على نفسه. قال:

«انت موسر، اليس كذلك؟»

«لدي بعض المال طبعاً. لكنني لست موسراً البتة. ولو كنت، لابتنيت لنفسي بيتاً اوسع قبل اي شيء آخر.»

وفي تلك اللحظـة اعتـدل المعلم في جلستـه على المصطبة، ولما انهى كلامـه بدأ يخـط دائـرة على الارض بعصـاه الخيزرانية. وعندما اكمل الدائرة غرز عصاه في الارض.

«كنت غنياً مرة.»

وقد لاح لي ان المعلم كان يحدّث نفسه اكثر مما يحدثني. وكنت في حيـــرة من امـــري ماذا اقـــول. فلزمت الصمت. وقـال مرة ثانيـة: «أتـدري انني كنت غنيـاً يومـاً ما؟» في هذه المرة نظر اليّ وابتسم. مع

ذلك، بقيت صامتاً. وشعرت بالضيق ولم استطع ان اقول شيئاً. بعدئذ غيّر المعلم الموضوع.

«كيف حال ابيك في هذه الايام؟»

لم اكن قد تسلمت اخباراً عن مرض ابي منذ كانون الثاني. لقد استمر ابي يكتب لي رسالة قصيرة في كل شهر عندما كان يبعث لي بحوالة مالية. الا انه كان يذكر الشيء القليل عن مرضه. ثم ان خطه ظل متماسكاً ولم يظهر على حروفه ما يتوقعه المرء من اضطراب فيها.

«انه لايخبرني قطعاً عن حالته الصحية. لكنني اعتقد بأنه في صحة جيدة الآن.»

«آمل ان يكون اعتقادك صحيحاً. لكن مع مرض كمرضه من الصعب ان تتأكد.»

لا اظن هناك املاً كبيراً بالنسبة له. اليس كذلك؟ «لكنني مع ذلك اعتقد بأنه سوف يظل بصحة جيدة لفترة أخرى. على اية حال، لم اتسلم منه انباء سيئة حتى الآن.»

«أهو كذلك؟»

حينذاك خمنت بأن اسئلة المعلم عن ثرزة عائلتي ومرض ابي لم تكن لتعبر الا عن اهتمام اعتيادي بشؤوني، وبما انني لااعرف كثيراً عن تاريخ حياة المعلم فلم يكن بمقدوري ان احدس بأن اسئلته انطوت على اكثر مما بان في ظاهرها.

❊

«اذا كان لعائلتك ملكية، ففي هذه الحالة يجدر بك ان تحسم مسألة

ميراثك فيها على نحو صحيح . انا اعلم ان هذا الامر ليس من شأني . لكن، الا تعتقد انه مادام ابوك حياً انه ينبغي عليك ان تضمن تسلم حصتك الصحيحة؟ فعندما يموت المرء فجأة، يسبّب عقاره مشكلات اكثر من اي شيء آخر.»

«نعم. سيدي.»

ولم أعر كلمات المعلم كثيراً من الانتباه. لقد كان اعتقادي انه لايوجد فرد في عائلتي كلها له اهتمام بمثل هذه الامور. فانتابتني صدمة خفيفة وانا ارى المعلم على هذه الشاكلة العملية المفرطة. على اية حال، لم اقل شيئاً، لانني لم ارغب ان ابدو وقحاً.

«اذا كنت قد ضايقتك بالتظاهر بأنني اتوقع وفاة ابيك، فأرجو منك المعذرة. وانت تعلم، اننا جميعاً فانون يوماً ما. وحتى الاصحاء من الناس، كيف لنا ان نعرف متى سوف يموتون؟»

بدت لي لهجة المعلم مريرة على نحو مألوف. قلت معتذراً تقريباً:

«لااهتم ابداً.» سأل المعلم: «قل لي: كم عدد اخوانك واخواتك؟»

واستأنف السؤال عن اقربائي الاخرين كالاعمام والخالات.

«هل هم جميعاً اناس طيبون؟»

«حسناً. ليسو سيئين بالضبط. انهم، قبل كل شيء، ريفيون في المقام الاول.»

«لماذا لايكون الريفيون سيئين؟»

وبدأت اشعر بالضيق جداً. ولم يفسح المعلم لي وقتاً لأجيب على سؤاله الاخير.

«في الحقيقـة، يميـل الـريفيـون الى ان يكونوا اسوء من ابناء المدينة. لقد قلت الآن بأنه لا يوجد احد بين اقربائك ممن تعتبره سيئاً من الناحية العمليـة. ويبـدو انـك واقع تحت انطباع مفاده بأنه توجد سلالة خاصة من البشر الرديئين. فلا شيء يوجد من قبيل القالب البشري الرديء في هذا العـالم. ففي الظـروف الاعتيـادية يكون كل انسان تقريباً اعتيادياً في الاقـل. لكن أعـزهم، ولسـوف يتبـدلـون فجأة. وهـذا هو الشيء المرعب في الناس. يجب ان يكون المرء دائم الاحتراس.»

وبـدا المعلم كأنـه يريـد الاستمـرار. واردت ان اقـول شيئـاً بهـذا الخصوص. لكن كلباً بدأ ينبح من ورائنا فجأة. فأستدرنا بدهشة.

لقـد تكـاثـر خيـزران قصير بكثافة فوق رقعة صغيرة من الارض وراء المصطبة وبالقرب من شجيرات الارز. وكان الكلب ينبح بغضب وهو يرمقنا من فوق عيدان الخيزران. ثم ظهر صبي في سن العاشرة تقريباً. فركض صوب الكلب ووبخـه. بعـد ذلـك التفت نحو المعلم وانحنى دون ان يخلع قبعته المدرسية السوداء. قال: «سيدي، الم يكن هناك احد عند مجيئك؟»

«كلا. لم يكن هناك احد.»

«انت تعلم ان اختي الكبرى وامي في المطبخ.»

«أهو كذلك؟»

«نعم سيدي. كان عليك ان تنادي عالياً: «مساء الخير» قبل ان تدخل».

فابتسم المعلم ابتسـامـة خفيفـة. واخـرج محفظـة نقوده وعثر على

قطعة من فئة خمس سنتات واعطاها الى الصبي .

«اذهب وقل لامك اننا نود ان تسمح لنا بالاستراحة هنا لفترة قليلة . »

وبضحكة تشع من عينيه الذكيتين اومأ برأسه .

«في هذه اللحظة، انا رئيس فرقة الكشافة . » قال هذا واسرع هابطاً من التل خلال نباتات الازاليّة واسرع الكلب وراءه وذيله مرفوع . وبعد لحظة او لحظتين مرَّ من امامنا صبيان او ثلاثة بعمر رئيس فرقة الكشافة راكضين، وما لبثوا ان تواروا عن الانظار عند سفح التل .

*

لولا الظهور المفاجىء للصبي والكلب، لكان المعلم قد اوضح لي المقصود بملاحظاته . وفي تلك اللحظة لم اكن متيقناً من السبب الذي جعل المعلم يحدثني بهذا الحديث . في الحقيقة، انا لااشاطر المعلم في اهتمامه بمسائل المال والميراث وما شاكل ذلك، اولاً بسبب ظروفي الميسورة نوعاً ما، وثانياً بسبب طبعي . والآن عندما افكر بنفسي وقتذاك، اجد انني كنت ساذجاً جداً . ولو كنت أعرف معنى الصعوبة المادية آنذاك، لكنت قد اصغيت للمعلم بعناية اكبر . على اية حال، بدا المال لي مشكلة بعيدة عني جداً . ومن بين الاشياء التي قالها المعلم واثارت اهتمامي اكثر من غيرها ملاحظته بأنه لايوجد انسان لديه مناعة ضد الاغراء . وطبعاً ادركت تقريباً ما رمى اليه المعلم . الا انني أردت من المعلم ان يستفيض في الحديث عن هذه المسألة .

وعقب ذهاب الكلب والصبيان، عاد الهدوء الى الحديقة الواسعة

مرة أخرى. وجلسنا ساكنين للحظة او لحظتين وكأن الصمت من حولنا أحالنا جماداً. وشيئاً فشيئاً بدأت السماء الجميلة تفقد تألقها وبدت امامنا اوراق القيقب الخضر الرقيقة، الشبيهة بقطرات ماء على وشك السقوط من الاغصان، وهي تصير غامقة اللون. ومن الطريق الذي تمتنا في اسماعنا صوت عجلات عربة. فتصورت ان رجاً من القرية، قد حمَّل عربته بالنباتات والخضراوات وكان في طريقه الى سوق موسمه لبيعها هناك. ونهض المعلم وكأن الصوت ايقظه من تأمله. قال: «هيا بنا نذهب الى البيت. لقد صارت النهارات اطول. لكن يبدو ان الغسق يخيم بسرعة عندما نكون جالسين بكسل.»

كان ظهر سترة المعلم متسخاً، فنظفته بيدي.

«شكراً. اتلاحظ آثار راتينج عليها؟»

«كلا. انها نظيفة تماماً االآن.»

«لقد خيطت هذه السترة لي مؤخراً. واذا ما اتسخت فستوبخني زوجتي. شكراً.»

وفي طريق نزولنا على الدرب معتدل الانحدار مررنا بالبيت مرة أخرى. وفي هذه المرة رأينا سيدة البيت في الرواق الامامي وهي تلّف خيطاً حول بكرة بمساعدة فتاة شابة في سنتها الخامسة عشر او السادسة عشر تقريباً. وتوقفنا عند حوض الاسماك الذهبية الكبير وقلنا:

«شكراً لك على ضيافتك.» فقالت المرأة: «العفو» وشكرتنا على القطعة النقدية التي تسلمها صبيها.

وبعد ان مشينا مئات قليلة من الياردات عن البوابة، سألت المعلم

فجأة: «يـامعلم، ماذا كنت تقصـد عنـدمـا اشـرت الى ان اي انسـان سينقلب شريراً فجأة اذا ما تعرض للاغراء؟»
«مـاذا اقصـد؟ لايـوجـد معنى عميق في اشارتي. انت تفهم، انني لم اكن انظّر. انني كنت اذكر حقيقة جلية فقط.
«لااريـد ان انكـر بأنهـا حقيقة. الا ان ما اريد ان اعرفه بالضبط هو نوع الاغراء الذي اشرت اليه.»
وبدأ المعلم يضحك كأنه لم يعد راغباً في مناقشة المسألة جدياً.
«المال طبعاً. اعط نبيلاً مالاً، ولسوف يقلب وغداً في التو.»
كان جواب المعلم المبتـدل محبطـاً لي. ورفض ان يكـون جاداً، فتخـدشت كبـريائي. وبمظهر غير مكترث بدأت احث الخطى مسرعاً وخلفت المعلم ورائي.
«هيه!» نادى عليَّ. قال: «أترى؟»
«ماذا، سيدي؟»
«اشارة بسيطة واحدة كما ترى، وموقفك العام نحوي قد تبدل.»
فأستدرت لانتظر المعلم، وحينما تحدّث سلّط نظرته على عيني.

*

في تلك اللحظـة كرهت المعلم. وبعـد ان عاودنـا سيـرنـا جنبـاً لجنب، امتنعت من توجيـه الاسئلة التي كنت اريـد السؤال عنهـا. لم استطع ان اتبين ان كان المعلم قد عرف اولم يعرف ما هية شعوري. على ايـة حال، بدا لي انـه لم يهتم كثيـراً بتصـرفي. وبينمـا كان يسير صامتـاً الى جانبي، لم يغيـرّ من وضـع شخصيته المسترخية المألوفة. فحقدت. وأردت ان أقول شيئاً يقلل من شأنه. قلت: «يامعلم!»

«نعم. ماالأمر؟»
«يامعلم، لقد انفعلت قليلاً حينما كنا نستريح في المشتل الزراعي، اليس كذلك؟ وانت نادراً ما تنفعل، واشعر اليوم بأنك قد سمحت لي ان الاحظ حدثاً غريباً نوعاً ما.»

لم يجب المعلم فوراً. وظننت ان ملاحظاتي ربما كان لها تأثير فيه، لكنني في الوقت نفسه لم يكن بيدي الا ان اشعر بأحباط قليل. فقررت ان لا ازيد القول. وفجأة ترك المعلم المشي بجانبي وتوجه نحو شجيرة مقصوصة بأتقان وبدأ يريق الماء. فوقفت بحمق وانتظرته. ولما شرعنا بالسير مرة ثانية قال: «اعذرني» فنزعت كل فكرة بأن احاول اهانته. ورويداً رويداً صار الطريق اكثر اكتظاظاً. والحقول المكشوفة التي كانت مرئية من قبل، توارت الآن تماماً وراء صفوف المنازل.

ومع ذلك بقيت هناك مشاهد ذكرتنا بالريف الهادىء منها: نمو البازلاء حول عيدان الخيزران في الحدائق الخاصة، والاحتفاظ بالدجاج في حظائر مسيجة بالشباك السلكية. ومررنا بموكب لانهاية له من العربات التي تجرها الخيول وهي راجعة من المدينة. ولما كنت ميالاً للاستغراق بتفصيلات المشهد من حولي كلها، فسرعان ما توقفت عن الاستياء مما قاله المعلم. في الحقيقة كنت قد نسيت كلماته لي كلياً، حينما قال فجأة:
«هل بدوت منفعلاً في نظرك عندما كنا في المشتل؟»
«ليس تماماً، ربما قليلاً.»
«انا لااجد بأساً ابداً بقولك انني كنت منفعلاً جداً. انت تلاحظ بأنني

انفعل حقاً عندما ابدأ الحديث عن المواريث وما شابه. من الجائز ان لايبدو الامر كذلك بالنسبة لك، اما انا فأنطوي على طبيعة حقود. ولم أنس بعد ما قاسيت من اهانات ومظالم قبل عشر سنوات ـ وحتى قبل عشرين سنة». وكانت كلمات المعلم حتى اقل كبحاً او تحفظاً من الكلمات التي قالها في وقت سابق من ذلك اليوم. ولم تدهشني لهجة صوته بقدر ما ادهشني الذي قاله بالفعل. بالطبع لم يخطر على بالي ابداً انني سوف اسمع اعترافاً كهذا من المعلم او ان اتصور وجود أثر من التشبث بالحقوق في شخصيته. كنت اعتقد بأنه شخص ضعيف نوعاً ما. وقد احببت المعلم لضعفه هذا، سواء كان ضعفاً حقيقياً او متخيلاً، بشكل لايخل بحبي لفضائله. ومع انني حاولت افتعال مشاجرة معه قبل وقت قصير، بدأت اشعر بالصغار. قال المعلم: «في وقت ما خُدعت. والادهى، ان اقاربي بالدم هم الذين خدعوني. لن انسى ذلك ابداً.

وحينما كان والدي لايزال حياً يُرزق، فقد تصرفوا نحوي بحشمة. لكنه ما ان مات حتى انقلبوا اوغاداً. ولم أزل احمل اثر هذا الحيف الذي الحقوه بي في الشباب. وسأظل احمله معي، كما اعتقد، الى ان اموت. وما فعلوه بي سوف اتذكره ما دمت حيّاً. الا انني لم انتقم لنفسي منهم. غير انني عندما افكر في ذلك، اجد انني قد اقترفت ما هو اسوأ من الانتقام. اذ لم اكتفِ بصب الحقد عليهم وحدهم، بل على الجنس البشري قاطبة. اظن في هذا كفاية.»

ولم تنبس شفتاي حتى بكلمات مواسية.

ولم نستفض بالحديث عن هذا * الموضوع في ذلك اليوم. لقد أزعجتني طريقته نوعاً ما، ثم انني لم ارد ان اسأله اية اسئلة أخرى. ولما وصلنا حدود المدينة الاصلية، استقللنا تراماً. ولم يبادل احدنا الآخر الحديث الا لماماً اثناء العودة. وبعد وقت قصير من نزولنا من الترام افترقنا. وفي غضون ذلك الوقت تبدل مزاج المعلم. وقبل ان يفارقني، قال بلهجة اكثر ابتهاجاً من المألوف: «سوف تكون طليقاً حقاً من الآن لغاية حزيران، اليس كذلك؟ ربما لن تكون طليقاً ابداً في حياتك مرة ثانية من عبء المسؤولية. فمتّع نفسك بقدر ماتستطيع.» فكشرت له وانا أرفع قبعتي تحية له. ولما نظرت الى وجهه، تساءلت كيف ان رجلاً مثله يطيق ان يحمل هذا الحقد الكبير في قلبه. الا ان عينيه وشفتيه الباسمات لم تنما عن كراهيته للبشر.

وهنا يطيب لي ان اقول بأنني أفدت فائدة لابأس بها من محادثاتي مع المعلم. ومع هذا، وفي كثير من المرات، وجدت المعلم غير أهل لأن يكون ناصحاً مخلصاً. وشعرت غالباً بأنه كان يتقصد الغموض: وهذا هو ما كان عليه احساسي بخصوص محادثة ذلك اليوم. ولكوني شاباً متبلد الذهن وجافاً، فقد اخبرت المعلم، يوماً ما، بأنني وجدت محادثتنا غير حاسمة. ضحك المعلم، وقلت: «ما كنت لأهتم كثيراً، لو انني ظننت بأنك لم تكن شخصاً بليداً لاتدرك بأن ملاحظاتك غير واضحة لدّي غالباً. لكنني اهتم لانني اعرف بأن في طوقك ان تخبرني بالمزيد اذا شئت.»

«لم اخفِ عنك شيئاً.»

«نعم، سيدي، هذا ماتفعل.»

«يبدو انك غير قادر ان تميز بين ارائي في الحاضر وما مرَّ بي من احداث في الماضي . انا لست ذلك المفكر الذي تتصوره، الا انني لاارغب ان اخفي ما املك من آراء قليلة عن الآخرين. وليس عندي سبب لذلك. اما اذا كنت تقصد انني ينبغي ان اخبرك بكل شيء عن ماضيّ، حسناً. . فتلك قضية أخرى تماماً.»

«انا لااتفق معك. وانا اثّمن اراءك لانها ثمرات تجربتك. ولو لم تكن اراؤك كذلك، لما كانت لها قيمة. وفي هذه الحالة تكون اراؤك كالدمى الخالية من الروح.»

فرمقني المعلم بدهشة. ولاحظت ان يده التي كان يمسك بها سيكارة كانت ترتجف قليلاً. قال:

«من المؤكد انك شاب جريء.»

«كلا، سيدي. انا، بكل بساطة، انسان صريح. وبالصراحة كلها، ارغب ان اتعلم عن الحياة.»

«حتى للحد الذي انبش فيه ماضيي؟»

وبغتةً انتابني خوف. وشعرت كأن الرجل الجالس قبالتي كان مجرماً بشكلٍ ما، وليس ذلك المعلم الذي كنت اكنُّ له الاحترام.

كان وجه المعلم شاحباً. قال: «انني لاعجب ان كنت صريحاً حقاً. وبسبب ما وقع لي، صار من امري ان اشكَّ بكل انسان. وفي الحقيقة، انني ارتاب فيك ايضاً. لكن لسبب ما لاارغب ان اشك فيك. ويجوز ان سبب ذلك هو انك تبدو بسيطاً جداً. وقبل ان اموت،

يطيب لي ان يكــون لي صديق واحــد استطيـع ان اثق به حقـاً. انني لاتسـاءل اذا كان ممكنـاً ان تكـون ذلـك الصـديق. هل انت مخلص حقاً؟» قلت: «ايها المعلم، لقد كنت صادقاً معك، ما لم تكن حياتي كلهـا اكـذوبة.» وبينما تحدثت، ارتعش صوتي. قال المعلم: «حسناً جداً. اذن سوف اخبـرك. سوف اخبـرك بكل شيء عن ماضيي. لكن تذكر، كلا، لاتهتم بذلك ابداً. في الواقع دعني احذّرك. ان معرفتك بماضيي ربما لاتفيدك شيئاً. ومن الخير لك الا تعرف. وانا لااستطيع ان اخبـــرك عنــه بعــد. ولا تتـوقـع مني ان اخبـرك الى ان يحين الاوان المناسب لذلك.»

ورجعت الى مسكني بشعور ثقيل الوطأة في داخلي، كالشعور بقدر مشؤوم).

*

من الـواضـح، أن اسـاتـذتي لم يكونوا رأياً عالياً عن اطروحتي كما فعلت انا. ومهما يكن، فقد سمحوا بتخرجي في ذلك العام. وفي يوم حفـل التخـرج، اخـرجت من حقيبتي بدلتي الشتـويـة القديمة البالية وارتـديتهـا. وفي قاعة التخرج بدا الجميع من حولي منفعلين. وانتاب بدني احسـاس كأنـه في غلاف مختـوم من الصوف السميك. وبسرعة صار المنديل الذي كنت أمسك به بيدي يقطر ماء. وحال انتهاء الحفل سارعت بالعودة الى مسكني وتعريت من ملابسي تماماً. وفتحت نافذة غرفتي التي كانت في الطـابق الثـاني وتخيلت ان شهـادتي في الدبلوم منظار استطيع به ان أجري مسحاً وان ارى اوسع ما استطيع من العالم. ثم القيت بالشهــادة على المنضـــدة وتمـددت على الارض في وسـط

الغـرفـة . وفي هذا الـوضـع عاد بي التفكيـر الى المـاضي وحاولت ان اتصـور المستقبـل الـذي سأكون عليه . وفكرت بشهادة الدبلوم الراقدة على المنضـدة . ومـع انهـا ظاهـرياً ذات أهمية في كونها علامة لبداية حيـاة جديـدة ، الا انني لااستطيـع ان اخفي شعـوري بأنها لاتزيد عن كونها قصاصة ورق لامعنى لها .

وفي تلك الامسية ذهبت الى بيت المعلم لتناول العشاء . وكنت قد وعـدتـه مسبقـاً انني اذا ما تخرجت فسوف اتناول العشاء معه وليس مع احد سواه .

وبهـذه المنـاسبـة وضعت المـائـدة في غرفة الاستقبال بالقرب من الشرفة . كانت المائدة مغطاة بشرشف مطرز ومنشّى ، وقد انعكس النور الكهـربـائي عنـه على نحـو بديـع . وفي كل مرة تعشيت فيهـا في بيت المعلم كنت اجـد دائمـاً الاواني وعيـدان الطعـام موضوعة بأناقة على المناديل الكتانية كالتي يراها المرء في المطاعم الغربية الطراز . ودائماً ما تكون المناديل الكتانية خالية من البقع ، مكوية حديثاً .

وفي احـدى المـرات قال المعلم : «الشيء نفسـه مع اليـاقـات والاكمـام . واذا اراد المـرء ان يستعمل كتّاناً متسخاً ، فالافضل ان يبدأ بكتّان ملون . الا ان الكتان الابيض يجب ان يكون خالياً من البقع دائماً . »

حقـاً ، كان المعلم انيقـاً جداً . وكـانت غرفـة مكتبـه ، مثـلاً ، مرتبة تماماً . وبما انني كنت مهملاً ، فقد أجتذبت اناقة المعلم انتباهي .

وسألتُ زوجته مرة: «هل ان المعلم شديد الحساسية في مسائل الذوق؟»

قالت: «ربمـا هو كذلـك. وحينمـا يتعلق الامـر بالمـلابس، فمن المؤكـد انـه ليس مفرط الحساسية.» قال المعلم الذي كان يصغي لنا ضاحكـاً: «لأقـل الحقيقـة، انا مفرط الحساسية ذهنياً. وهذا هو سبب قلقي الدائم. ومن المؤذي جداً ان تكون لانسان طبيعة مثل طبيعتي.» فلم اعـرف الـذي كان يقصده بـ«الذهن المفرط الحساسية» وبدا لي، ان زوجتـه لم تعـرف ذلـك ايضـاً. لربمـا كان يقصد ان يقول بانه كان مفـرط الاحسـاس بمـا هو صحيـح وما هو خطأ، او ربما كان يقصد ان فرط حساسيته بلغ حد الحب المرضي للنظافة.

في تلك الامسيـة جلست الى المـائـدة مقـابـلاً المعلم. وجلست زوجة المعلم بيننا في مواجهة الحديقة. قال المعلم: «تهانينا»، ورفع قدح الساكي في نخبي. لم تُدخل حركته هذه السرور الى قلبي، اولاً لانني لم اكن فرحـاً جداً بتخـرجي وثـانيـاً لأن لهجـة صوت المعلم لم تستفـز فيَّ استجـابة فرحة. صحيح انه كشّر في وجهي لما رفع قدحه، وانني لم المس اي تهكم في تكشيـرتـه، لكن تكشيـرتـه لم تنم عن سعـادتـه بنجـاحي. بدا لي ان تكشيـرتـه تقول: «يُعدُّ من المناسب، لسبب غريب ما، ان نهنيء الناس في مناسبات كهذه المناسبة.»

وكان شيئاً لطيفاً جداً ان قالت زوجة المعلم: «أحسنتَ صنعاً. لابد ان ابـاك وامـك سوف يفرحان بالنتيجة.» وبغتةً ذكّرتني هذه الملاحظة بأبي المـريض وفكـرت: «يجب ان اسـرع بالعودة الى البيت وان أريه

شهادتي في الدبلوم.»

«ماذا صار من شأن شهادتك في الدبلوم، يامعلم؟»

«أنا اتساءل... ألم تحتفظي بها في مكان ما؟» سأل المعلم زوجته.

«اجل. اظن ذلك. لابد انها في مكان ما في البيت.»

ولاح لي الا احد منهما يعرف مكان الشهادة بالضبط.

❊

حينما حان الوقت لتقديم الوجبة الرئيسة بعثت زوجة المعلم بالخادمة التي كانت جالسة الى جانبها الى المطبخ، وقامت هي نفسها بخدمتنا. واعتقد بأن تلك هي الاصول المتبعة عندما يدعون الاصدقاء، لا الضيوف الرسميين، الى العشاء. في المرتين او المرات الثلاث الاولى التي تناولت فيها العشاء عندهم شعرت بقليل من الحرج، لكن تعلمت أخيراً ان اطلب من زوجة المعلم ان تعيد ملء صحني دون اقل تردد او ارتباك.

«شاياً؟ رزاً؟ من المؤكد انك تأكل كثيراً.» كانت تقول ذلك احياناً بطريقة طبيعية محببة. اما في تلك الامسية، فلم افسح لها مجالاً في ان تلحف عليَّ. ولكون الوقت صيفاً، لم تكن لدّي شهية قوية.

«لقد انتهيت قبل الاوان؟ من المؤكد انك صرت مقّلاً في الاكل هذه الايام؟»

«لو لم يكن الجو حاراً، لكنت قد اكلتُ اكثر كالمعتاد.»

وبعد ان رفعت الخادمة الصحون عن المائدة، قدمت لنا زوجة

المعلم فاكهة ومثلجات .

«أتدري ؟ . . انا التي صنعتها بنفسي . »

وبــدا أن لم يكن لزوجــة المعلم ما تفعله في البيت، لذلــك كان بوسعها، ان شاءت، ان تقدم لضيوفها مثلجات من صنع يديها.

لقد تناولت ثلاثة اقداح من هذه المثلجات. سأل المعلم :

«واخيـراً قد تخـرجت، فمـا الـذي تنـوي ان تفعله؟» وحرّك وسادته باتجاه الشرفة واتكأ الى الباب المنزلق. فأنهمك ذهني بالتفكير بمسألة تخــرجي وكيف انني لم ابـدأ التفكيـر جدّيـاً بقضيـة مستقبلي. ولمـا لاحظت زوجـة المعلم ترددي قالت: «اتنـوي ان تعلّم؟» وللمرة الثانية لم ارد مبـاشـرة، فأضافت: «او ربما تعمل في الحكومة؟» فبدأ كلانا، انا والمعلم، بالضحك.

«بصراحة، ليست عندي فكرة. في الحقيقة لم افكر كثيراً بمهنتي. واجــد من الصعب ان اقــرر ايـة مهنـة سوف تنـاسبني، لأنني لا املك خبرة.» قالت:

«هــذا جائــز. لكـن لكــون اهلك من ذوي اليســر، فانت لاتعبأ بمستقبلك. ولو كنت في ظروف أقل حظاً، لما أخذت الامر مأخذاً سهلاً.»

بالطبع عرفت أنها كانت على صواب. فقد بدأ بعض اصدقائي في الجامعة البحث عن وظائف لهم في المدارس الثانوية قبل ان يتخرجوا بزمن طويـل. لكنني قلت: «ربمـا تأثرت بالمعلم.» قالت: «حقاً. ما كان ينبغي ان تسمـح لنفسـك بأن تتأثر بهذه الطريقة.» فأبتسم المعلم

بسخـريـة وقال: «انا لااعبأ ان كان بتأثيري او سواه. لكن كما سبق لي ان قلت، يجب ان تتأكـد ان ابـاك سوف يتـرك لك قدراً معقـولاً من المال. والا لن يكون بوسعك ان تظل لامبالياً.»

بعـدئـذ تذكـرت حديثنـا في المشتل في ذلك اليوم من بواكير مايس حينما كانت الازاليّة في فترة الازهار. وتذكرت كلماته المنطوقة بأنفعال ونحن في طريق العـودة. وفي حينـه افـزعتني كلمـاتـه، لكن لجهلي بمـاضي المعلم، لم امحضهـا اهتمـامي. قلت: «سيدتي: هل انت والمعلم ثريان جداً؟»

«لماذا تسأل هذا السؤال؟»

«سألت المعلم ولم يجبني.» ضحكت ونظرتْ الى المعلم.

«ربما تردد ان يخبرك لانه لايمتلك كثيراً.»

«لكنني اريـد ان اعـرف مقـدار المبلغ الكـافي في تمكيني من العيش الممـاثـل لعيش المعلم، حتى اذا ما تحـدثت مع ابي عن ميـراثي فستكون عندي فكرة ما عما اريد.»

كان المعلم ينظـر الى الحـديقـة ويـدخن سيكـارتـه بهدوء. وللمرة الثانية اخذت زوجته الاجابة على عاتقها: «نحن لانملك كثيراً. كل ما في الامر، اننا نجعل ما لدينا من مال يلبي حاجاتنا. فضلاً عن ذلك، ما نملك من مال لاعـلاقـة له بمستقبلك. وانت يجب ان تفكـر جديـاً بمهنتك. ويجب الا تعيش حياتك في تسكع تام مثل المعلم.»

«انا لااعيش في تسكع تام.»

قال المعلم هذا والتفت قليلاً صوبنا.

*

غادرت بيت المعلم بعـد العـاشـرة بقليـل. وبما انني قررت العودة الى الاهل في بحر يومين او ثلاثة ايام، فقد قلت كلمات توديعية قليلة قبل نهوضي عن المقعد.

«سوف لااراكم ردحاً من الزمن.» قالت زوجة المعلم:

«اظنك ستعود الى طوكيو في ايلول؟»

لم تكن لدي النية بالعودة الى طوكيو في آب، في عز حر الصيف، ولم افكـر بالبحث عن وظيفـة في أقـرب وقت. وفي الحقيقـة لم تكن هنـاك ضرورة لعـودتي في ايلول ما دمت قد انهيت الجـامعـة. لكنني قلت:

«اجـل، ربمـا سأعـود في ايلول.» قالت: «اهتم بنفسـك جيـداً. من الـواضـح ان صيفـاً رديئـاً سيقبـل علينـا. ولـربما سنرحل الى مكان ما ايضاً. ولو فعلنا، سوف نبعث لك بطاقة بريدية.»

«الى اين تظنين انكمـا راحـلان؟» قال المعلم الذي كان يصغي لنا بتكشيـرة غريبـة على وجهـه: «في الحقيقـة نحن لانـدري بأننا سوف نرحل الى اي مكان كان.»

وبينمـا انـا على وشـك النهـوض، قال المعلم فجأة: «بالمناسبة، كيف حال ابيك؟» فقلت له بأنني لااعلم، لكنني افترضت بأنه لم يكن بحال اسوأ، لان الرسائل من الاهل لم تذكر شيئاً عن صحته.

«يجب الا تنظر الى مرض ابيك بأستخفاف. فحالما يصيبه التسمم البولي سوف ينتهي.»

لم تكن لدي فكرة عن التسمم البولي. فالطبيب الذي رأيته في اثناء

العطلة الشتــويــة، لم يقـل شيئـاً عن هذا بكـل تأكيـد. قالت زوجـة المعلم: «حقـاً يجب ان تُعنى بهـا عنـايـة فائقة. واعلم، عندما يصل التسمم الدماغ، فلا يبقى هناك أمل. وليس في الامر ما يضحك.»

وكنت قد ابتسمت ابتسامة حائرة، غير دارٍ ماذا اقول. قلت:

«على اية حال، لاشفاء له من هذا المرض. ولا فائدة تُرجّى من القلق.»

قالت بهدوء: «اذا كنت حقاً مستسلماً للقدر، فلا محل لمزيد من القول.»

واخفضتْ عينيهـا وكأنهـا كانت تفكـر بأمهـا التي ماتت بالمـرض نفسـه. الا انني بدأت اشعـر بالحـزن في ما يتعلق بمصير ابي. وبغتة التفت المعلم نحو زوجته.

«شيزو! انني اتساءل: هل ستموتين قبلي؟»

«لماذا؟»

«لمـاذا؟ انني اتســاءل فقط. ام انني سأموت قبلك؟ يبدو ان النساء يعمّرن اكثر من ازواجهن.»

«ربمـا، لكن كيف يستطيـع المرء ان يتأكد؟ طبعاً، ان الرجال اكبر عمراً من زوجاتهم عادة.»

«هكـذا تفكـرين اذاً، فالأزواج يمـوتـون قبـل زوجـاتهم. في هذه الحالة، انا موقن بالرحيل عن هذا العالم قبلك. اليس الامر كذلك؟»

«كلا. ابداً. انت حالة مختلفة.»

«حقاً؟»

«انت تتمتع بصحة جيدة. ولم تمرض الا نادراً. ولاريب، سأكون انا التي ترحل قبلك.»

«هل انت متأكدة؟»

«اجل. طبعاً.»

نظر المعلم الي. فأبتسمت. ثم استأنف قائلاً:

«لكن اذا مت قبلك، ماذا ستفعلين؟»

«ماذا سأفعل. . . . ؟»

تلكأت زوجة المعلم. وللحظة بدت خائفة وكأنها رأت بعين خيالها لمحة موجزة لحياة الاسى التي ستحياها بعد رحيل المعلم. لكن ما ان رفعت بصرها مرة ثانية حتى تبدل مزاجها. وقالت بمرح: «سوف اهدهد النفس بأن، الموت يأتي الى المسنين والشباب على حدٍ سواء، كما يقول المثل.» وحينما قالت هذا نظرت الي قاصدة.

*

كنت على وشك ان اغادر عندما بدأ الحوار، الا انني قررت البقاء فترة اطول في صحبة الزوجين. سألني المعلم:

«ماذا تظن؟»

من ذا سيموت قبل غيره؟ من الواضح، كان هذا سؤالاً لااستطيع الاجابة عليه بذكاء، وعليه ابتسمت قائلاً:

«انا لااعرف ما هو المقّدر لك من فسحة الحياة!»

«انها بالتأكيد مسألة قضاء وقدر ولاشيء سوى ذلك.» قالت زوجة المعلم: «اننا حينما نولد يكون قدراً علينا ان نعيش عدداً معيناً من

السنين. هل تعلم ان والدي المعلم قد ماتا في وقت واحد تقريباً؟»

«في اليوم نفسه؟»

«كلا. ليس في اليوم نفسه. لكن احدهما مات بعد الآخر بفترة قصيرة.»

هذا الشيء، لم اكن اعرفه. وحسبته امراً غريباً نوعاً ما.

«وكيف حدث انهما ماتا في وقت واحد؟»

وبينما أوشكت زوجة المعلم ان تجيب على سؤالي، قاطعها زوجها:

«كفاكِ حديثاً في هذا الموضوع. لافائدة منه.»

واحدث المعلم بمروحته اليدوية اقصى مااستطاع من ازيز. ثم استدار نحو زوجته مرة ثانية.

«شيزو، سيكون هذا المنزل ملكاً لك بعد وفاتي.»

ضحكت زوجة المعلم.

«يجدر بك ان توصي لي بالارض ايضاً.»

«لااستطيع ان اعطيك الارض لانها لاتعود لي. غير ان كل ما املك هو لك.»

«اشكرك جداً. لكن اية فائدة سوف اجنيها من الكتب الاجنبية التي تتركها لي؟»

«بمقدورك ان تبيعيها الى اصحاب مكتبات الكتب القديمة.»

«وماذا احصل من بيعها لو فعلت؟»

لم يرد المعلم. وواصل الحديث عن موضوع موته. وطوال الوقت

بدا لي ان موته قبل زوجته مسألة مفروغ منها في نظره. في البداية بدا انهـا وطـدت العـزم على النظـر الى المـوضـوع بروح عابثة. لكن في الاخير، بدأ الحديث يسحق قلبها النسوي الحساس.

«الى متى سوف تواصل القول: عندما اموت، عندما اموت، ؟ بحق السمـاء، ارجـوك الا تقـول: عندما اموت، مرة ثانية. فمن النحس ان نتحـدث هكـذا. فعندما تموت سأفعل ما ترومه مني. الى هنا، لنضع حداً لهذا الكلام.»

استدار المعلم صوب الحديقة وضحك. ولكي يسري عنها، اسقط المـوضـوع. ولمـا تأخر الوقت، نهضت لكي ابارح المكان. فرافقني المعلم وزوجته الى القاعة الامامية. قالت: «أحرص على العناية بأبيك.»

اما هو فقال: «اذن، حتى ايلول.»

فودعتهمـا وخطـوت خارجـاً من المنزل. وكانت توجد شجرة كثة ما بين المنزل والبوابة الخارجية. وفي سُدف الظلام مدّت اغصانها كأنها تعتـرض سبيلي. ونظـرت الى شكـل الاوراق المعتم وفكرت بالازاهير الفـواحـة التي ستتفتـح عليها في الخريف. وقلت لنفسي بأنني صرت أعـرف هذه الشجـرة جيداً، وانها غدت في ذهني جزء غير منفصل عن بيت المعلم. وبينمـا وقفت امـام الشجرة مفكراً بالخريف القادم الذي سأعود فيه للمشي في هذا الممر مرة ثانية، انطفأ نور الرواق فجأة. ومن الـواضـح ان المعلم وزوجتـه قد ذهبـا الى غرفة نومهما. فخرجت الى الشارع المظلم لوحدي.

لم ارجع الى سكني مباشرة. كنت اريد شراء اشياء قليلة قبل ذهابي الى البيت، كما شعرت بأنني بحاجة الى المشي بعد وجبة العشاء الدسمة التي تناولتها. فيممت شطر الجزء الصاخب من المدينة. وهناك، كان الليل قد حلَّ تواً. وكانت الشوارع مكتظة بالرجال والنساء الذين بدا انهم قد خرجوا دون هدف معين. والتقيت بصديق جامعي كان قد تخرج في هذا اليوم ايضاً. فألحَّ علي بأن ادخل حانة معه. وهناك في الحانة كان يجب ان اجلس واصغي لزميلي المتخرج الذي كان حديثه ذا رغوة كرغوة البيرة. ولما عدت الى غرفتي كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل.

*

لقد طلب مني اهلي ان اشتري لهم حاجات قليلة قبل مغادرتي طوكيو، لذلك امضيت اليوم التالي متسوقاً على الرغم من حرارة الجو. في ذلك الصباح، وبينما شرعت بقضاء حاجاتي وجدت نفسي متضايقاً جداً من سيري في تلك الشوارع المزدحمة في مثل هذا اليوم الحار. ولما جلست في الترام وجففت العرق عن وجهي بدأت اكره اهل الريف الذين يزعجون دائماً الآخرين، الاكثر انشغالاً منهم، بطلباتهم المزعجة.

لم اكن انوي ان امضّي الصيف بالتسكع. وقد باشرت باعداد نوع من المنهاج اليومي الذي صممت على اتباعه حين عودتي الى الاهل، لذلك كان يجب ان اشتري كتباً معينة. فقصدت مكتبة (ماروزين)، وبما انني كنت مستعداً لقضاء نصف النهار فيها اذا اقتضى الامر، فقد

تفحصت جميع الكتب التي تناولت موضوع دراستي بعناية.

ومن الحاجيات التي طُلب مني شراؤها والتي سبّبت لي ازعاجاً كبيراً هو القُمَيصُ [1]. كان مساعد صاحب المحل على استعداد كافٍ ليعرض عليَّ ان ارى ماشاء من انواعه، الا انني وجدت من الصعوبة بمكان ان اقرر النوع الذي يجب ان اشتريه. ثم ان الاسعار كانت كبيرة التفاوت. وظهر ان الانواع التي حسبتها رخيصة كانت غالية جداً، والانواع التي بدت غالية كانت رخيصة جداً. ولم استطع ان ادرك بالضبط ما الذي جعل قُميِّصاً ما اجود من غيره. وندمت لانني لم اطلب الى زوجة المعلم ان تشتري لي واحداً منها. واشتريت حقيبة ايضاً. وبالطبع كانت رخيصة ومن صنع ياباني. بيد انها كانت تحتوي على تركيبات معدنية تشع بريقاً، مما يجعلها ذات تأثير يأخذ بألباب اهل الريف. وكانت امي قد طلبت اليَّ في احدى رسائلها ان اشتري مثل هذه الحقيبة لنفسي اذا ما تخرجت، لكي يتسنى لي ان اعود بها الى الاهل وهي محشوة بالهدايا. لقد ضحكت عندما قرأت الطلب. كنت افهم دوافع امي ولم اكن قاسياً اذ وجدت الطلب مضحكاً.

بعد ذلك بثلاثة ايام تركت طوكيو، حسب القرار الذي اتخذته عندما استأذنت المعلم وزوجته. لم اكن شديد القلق بخصوص والدي على الرغم من التحذيرات التي طرحها المعلم عن حالته المرضية منذ فصل الشتاء. في الواقع شعرت بالاسى على امي، لانني اعرف ان حياتها

١ـ كساء زينة يُملأ به صدر الفستان المفتوح

بعـد وفـاة ابي ستكون ملآى بالوحدة. ومما لاريب فيه انني فكرت بأنه بات محتمـاً ان يمـوت والـدي عن قريب. وفي رسالة لاخي الاكبر في (كايوشو) قلت بأنه لم يبقَ أمل في استرجاع ابي لعافيته السابقة. وفي رسـالـة أخـرى نصحتـه بالعـودة الى البيت في ذلـك الصيف اذا كان ممكنـاً، ليـرى ابي قبـل ان يمـوت. وطفح بي الكيل فأضفت بأنفعال عاطفي نوعـاً ما، بأننـا، نحن اولادهم، يجب ان نشعـر بالـرثـاء لحال هذين العجوزين اللذين قضّيا حياة وحدة في الريف. حينما كتبت هذه الرسائل كنت صادقاً تماماً. لكن بعد كتابتها تغيّر مزاجي.

في القطـار فكـرت بما انا عليه من تقلب. وكلما زدت تفكيراً بالامر كلمـا بدوت اكثـر طيشـاً، ولم أعـد راضيـاً عن نفسي. بعـدئـذ فكرت بالمعلم وزوجتـه،وبـالامسيـةالاخيـرةالتيتعشيت فيها معهما. وتذكرت قول المعلم: «مَنْ منا سيموت قبل غيره؟» وفكرت: «كيف يستطيع اي انسـان ان يجيب على هذا السؤال؟ واذا كان المعلم يعـرف الجواب، فماذا سيفعل؟ وماذا ستفعل زوجته، لو عرفت؟ لربما سيتصرفان كما لو انهمـا لايعـرفـان بالضبـط. اجلس هنا، قانطاً، وأنا اعرف بان ابي في انتظار الموت....»

عند ذاك شعرت بيأس الانسان وتفاهة حياته.

انا ووالدي

ولما وصلت البيت أدهشني انه لم يبد تغيير كبير على صحة أبي في غضـون الأشهـر التي كنت فيهـا غائباً. قال: «ها قد عدتَ. كم سرني انك أستطعت ان تتخرج. أنتظرني لحظة. سأذهب وأغسل وجهي.»

لقـد وجـدتـه في الحـديقة. كان يرتدي قبعة قشية، ربط بها منديلاً وسخـاً، شيئـاً ما ليقي رقبتـه من حر الشمس. وعندما مشى بأتجاه البئر الواقعة خلف البيت، رفرف المنديل مع رفرفة النسيم.

لقـد كنت انظـر الى التـربيـة الجـامعية بكونها شيئاً اعتيادياً، الا ان سرور ابي غير المتوقع بتخرجي ترك في نفسي اثراً. وكرر قائلاً:

«انـا مســرور لانـك قدرت ان تتخـرج.» وفي باطني، قارنت سرور ابي التلقائي بطريقة المعلم التي هنأني فيها على مائدة العشاء في تلك الليلة. وكنت أحمـل اعجـابـاً بالمعلم الذي يكّن احتقاراً خبيئاً لأشياء مثـل الـدرجات الجامعية، اعظم مما أحمله لابي الذي بدا انه يقدّرها أكثر مما تستحق. وفي الاخير بدأت اكره ريفّية ابي الساذجة.

وتمتمت :

«يجب الا تخلق ضجة حول شيء تافه من قبيل الدرجة الجامعية. ناهيك، ان مئات الطلبة يتخرجون في كل عام.»

فنظر الوالد اليَّ بغرابة.

«بصراحة انا لست فرحاً بتخرجك، انت تعرف. بالطبع انا فرح بأنك تخرجت. لكنك لاتعرف الاسباب التي تجعلني اقول بأنني فرح. ليتك تستطيع ان تفهم..»

فسألته عمّا يقصده. تردد في اخباري، لكنه في النهاية قال :

«أسمع. انا فرح من اجل نفسي. كما تعلم انا رجل مريض. ففي الشتاء الماضي، حينما جئت الينا، كنت مقتنعاً أنني لن أبقى على قيد الحياة اكثر من ثلاثة او أربعة شهور. وبفضل العناية الالهية لازلت حياً ومتماسكاً على نحو مريح. اما الآن، فأنت قد تخرجت. وانا مسرور لانك قد استطعت ان تتخرج قبل وفاتي وانا مازلت اتمتع بالعافية، وكان هذا بفضل ما بذلته انت من جهد في دراستك. ومن المؤكد، بحكم كوني اباك، لدّي السبب بأن افرح. وبالطبع، لديك أفكار اكبر من أفكاري، وانه ليضايقك ان تراني اخلق ضجة حول امر ثانوي كتخرجك. لكن حاول ان تنظر الى الموضوع من وجهة نظري. وانا لست فرحاً من اجلك بقدر ما انا فرح من اجل نفسي. هل تفهم؟»

لم انطق بحرف. ولم تكن هناك كلمة اعتذار بوسعها ان تعبر عما شعرت به. وظل رأسي منصباً بخجل عميق. واعتقاداً منه بأنه سوف يموت قبل تخرجي، فقد ظل ينتظر موته بهدوء. وكنت أغبى من ان

ادرك ماذا كان يعنيه تخرجي بالنسبة له وهو باق على قيد الحياة. فأخرجت شهادتي في الدبلوم من حقيبتي وأريتها لابي وأمي بحرص كبير. كانت مبعجة على نحو سيء لانني لم اغلفها جيداً. قال والدي:

«كان يجب ان تطويها على شكل اسطواني وان تحملها بيدك.»

وقالت امي وهي جالسة الى جانبه:

«كان يجب ان تحفظها بغلاف متين.»

نظر ابي اليها لوقت قصير ونهض واتجه نحو الركن المزخرف من الغرفة ووضعها في مكان يستطيع كل واحد ان يراها فيه. ومن المألوف انه كان يجب ان اقول شيئاً ما، لكنني في تلك اللحظة، لم اكن في وضعي الاعتيادي. ولم تكن لدي الرغبة بأن اناقش والدّي. فالتزمت الصمت وتركت ابي يفعل ما شاء. كانت الشهادة من ورق متين، وبما ان طّي لها قدر بعجها فقد حال ذلك دون ثباتها، وكانت تتهاوى في كل مرة حاول فيها ابي تثبيتها.

*

انتبذت بأمي جانباً وسألتها عن مرض ابي.

«هل يصح لأبي ان يبذل جهداً؟ خروجه للحديقة مثلاً...»

«يبدو انه لايعاني من شيء الآن. ربما قد شُفي.»

كانت امي من النوع المتفائل وغير القلق على نحو مدهش. وكما هي الحالة المألوفة مع كثير من النساء اللواتي يقمن بين الغابات والحقول بعيداً عن المدن، فقد كانت امي جاهلة تماماً بمثل هذه

المسائل. وانني لاتذكر كيف انها دُهشت وفزعت، لكن بشيء من القلق، عندما أغمي عليه.

«غير ان الطبيب حذرنا في حينه ان مرض الوالد خطر.»

«ولهذا السبب أظن ان لاشيء اغرب من جسد الانسان. انظر اليه الآن.. انه معافى تماماً على الرغم من قلق الطبيب. في البداية كنت قلقة وحاولت ان أبقيه ساكناً. لكنك تعرف وضعه. فقد صمم بأنه سليم ولم يصغِ لايما شيء اقول.»

وتذكرت المرة الاخيرة التي جئت فيها الى الاهل وكيف أصرَّ ابي على مغادرة الفراش. فقد قال بعد ان اتمَّ حلاقته: «انني بصحة جيدة الآن، وامك تعظّم الامور.» وحين تذكرتُ هذه الحادثة فكرت الا لوم على امي. وكنت على وشك أن اقول: «لكن يجب ان تأخذي مرضه مأخذ الجد حتى لورفض،» لكنني قررت الا أقول شيئاً على الاطلاق. وفكرت ان ليس من العدل ان اقرعها. وعوضاً عن ذلك، اخبرتها بكل ما اعرف عن مرض ابي. وطبعاً كنت أعرف شيئاً قليلاً اكثر مما اخبرني به المعلم وزوجته. وبدا لي ان امي لم تتأثر او تهتم اهتماماً خاصاً بما قلت. وقد ابدت ملاحظات من قبيل: «هل الامر كذلك؟ هل ماتت السيدة بالمرض نفسه؟ هذا شيء سيء جداً. وكم كان عمرها حين ماتت؟»

فأقلعت عن اقناع أمي بخطورة مرض ابي وقررت ان أتحدث مع ابي. لقد أصغى لي بأهتمام اكبر مما اصغت الي. قال: «طبعاً انت

على صواب. لكن، على اية حال، انني أعرف من غيري بجسدي. فأنا اعرف ما ينفعه وما يضّره. ومن التجربة وحدها، ينبغي ان أعرف كيفية العناية به أحسن من غيري.» ولما أخبرت امي بما قاله ابي ابتسمت بتهكم وقالت: «أترى؟ ماذا قلت لك؟»

قلت لها: «لكن، على الرغم مما يقول، فهويعدُّ نفسه للموت كما تعلمين. وهذا هو سبب فرحه حينما رجعت بشهادة الدبلوم من الجامعة. فقد قال هو نفسه بأنه كان محظوظاً جداً لانني تخرجت وهو مازال متمتعاً بالصحة وليس بعد وفاته كما كان يخشى.» قالت امي: «اقواله وأفكاره أشياء مختلفة تماماً. أقول لك، انه يظن بأنه قد شُفي.»

قلت: «انني اتساءل ان كنت على صواب.»

اجل. انه ينوي ان يعيش عشر او عشرين سنة أخرى. صحيح، انه يقول لي اشياء محزنة أحياناً. فقبل يوم واحد فقط قال لي: «لايبدو انني سوف اعيش اطول. ماذا ستفعلين عندما اموت؟ هل تنوين العيش لوحدك تماماً في هذا البيت؟»

ومع نفسي تصورت البيت الريفي القديم الواسع خالياً من ابي، وتصورت امي تعيش فيه لوحدها. هل من الممكن ادارة البيت من دونه؟ ماذا ستفعل أمي؟ ماذا ستقول أمي؟ هل سيكون بمقدوري ان اترك البيت وأعيش بلا قلق في طوكيو؟ وبينما كنت جالساً هناك، مقابل أمي، بدأت افكر بنصيحة المعلم بأن احاول الحصول على حصتي من ثروة العائلة ما دام ابي على قيد الحياة.

بعدئذ قالت امي : «لاحاجة للقلق . ومتى مات امرؤ دأب على ان يقول بأنه سوف يموت؟ وبخلاف ما يقوله ابوك بأنه يتوقع ان يموت قريباً ، فمن المحتمل انه سيظل حياً سنوات أخرى من الآن . في الواقع ، اننا نحن الواثقون جداً من سلامة صحتنا ، من نواجه خطراً حقيقياً . »

وأصغيت الى ملاحظات أمي التافهة في صمت وانا اعجب ان كانت تظن ان افكارها لاتُدحض منطقياً وانها افكار معتمدة على حسابات احصائية .

*

بدأ ابواي يناقشان خططاً لاقامة حفل عشاء على شرفي . ومنذ عودتي كنت في سري أخشى ان تدخل رأسيهما فكرة كهذا . وعلى الفور أعترضت : «من فضلكما ، لاتفعلا شيئاً باذخاً كهذا من أجلي . »

كنت اكره نمط الضيوف القادمين الى حفل عشاء ريفي . كانوا يأتون وفي ذهنهم هدف واحد الا وهو : ان يأكلوا ويشربوا . كما كانوا من النمط الذي ينتظر بلهفة اية مناسبة توفر لهم كسر رتابة حياتهم . ومنذ الطفولة كنت اكره ان اراهم في بيتنا وان اتصرف معهم بأحترام . اما الآن ، اذ سيُدعون الى العشاء على شرفي ، فقد شعرت بأن هذا الامر سوف يجعلني أقل وداً لهم لكن كان من الصعب ان اقول لوالدي : «لاتدعو اولئك السذج المشاكسين الى هنا . . » لكنني تظاهرت آنذاك بأنني كنت اكره البذخ في حفل كهذا . قالت امي : «بذخ؟ لا بالتأكيد . فمناسبة كهذه لاتأتي الامرة واحدة في العمر .

فشيء طبيعي ان ندعو ضيوفاً لمشاركتنا الاحتفال. لاتكن منكمشاً على نفسك.»

ويبدو ان أمي تعطي من الاهمية لتخرجي بقدر ما يتوقع منها ان تعطي لزواجي. قال أبي: «طبعاً، لسنا مجبرين على دعوتهم. لكن اذا لم ندعهم، فسيكون هناك لغطٌ..»

كان يخشى من اللغط. وكنت على يقين ان جيراننا كانوا يأملون ان توجه لهم الدعوة، اما اذا خاب أملهم فسوف يشرعون باللغط. قال ابي: «نحن لسنا في طوكيو، كما تعلم. فالريفيون صعبو الارضاء وسريعو الامتعاض نوعاً ما.» وقالت أمي: «عليك ان تفكر بسمعة أبيك أيضاً.»

لم يكن بوسعي ان أبقى على عنادي. وبدأت افكر بأن من الافضل ان اترك لوالّدي ان يفعلا ما يشاءان.

«اقول فقط بأنكما لستما بحاجة الى ان تفعلا هذا من أجلي. اما اذا كنتما خائفين من اللغط، فالمسألة تختلف طبعاً. ومن انا حتى ألحف على شيء من الجائز ان يسبب الاذى لكما؟»

قال ابي ممتعضاً: «انك لتحيرني بجدلك.» وقالت امي: «لم يقل ابوك بأننا لانقيم هذا الحفل من اجلك. لكن يجب ان تعي أيضاً واجب المرء تجاه جيرانه.»

كانت امي، كالنساء جميعاً، ميّالة احياناً الى طرح ملاحظات غير مترابطة منطقياً. وعلى أية حال، ففي مجال الهذر كانت اكثر من ندٍ لابي ولي معاً حتى اذا اتفقنا ضدها. قال ابي: «مشكلة الثقافة انها

تجعل المرء جدلياً.»

ولم يقل كلمة أخرى بعدئذٍ. لكن في هذه الملاحظة البسيطة لاحظت بجلاء نوع ضيقه بي والذي كنت قد لمسته من قبل. ودون ان أدرك بأنني نفسي صعب نوعاً ما، شعرت بحدة بظلم تعنيف ابي.

وفي ذلك المساء حصل تغيير في مزاج ابي. فقد سألني عن الوقت الذي اراه ملائماً لاقامة حفل العشاء. وكان يعرف بالضبط انني كنت في حينه أمضّي وقتي بتسكع تام. وعليه كان توجيهه للسؤال بمثابة محاولة لخلق تسوية. فما كان بمقدوري الا ان أتأثر بلطف ابي وان أبدي مزيداً من الطاعة. وبعد مناقشة قصيرة اتفقنا على الموعد. ومهما يكن، فقبل حلول يوم حفل العشاء وقع حادث مهم. فقد أعلن عن مرض الامبراطور «ميجي». وقد بلغنا هذا النبأ الذي اعلنته الصحف بين الناس مثل هبة ريح، فأطاح بجميع استعداداتنا لاقامة حفل التخرج التي كنا قد اتخذناها، بعد مكابدة، لاسيما في بيت ريفي بسيط. «اعتقد بان من الافضل ان نلغي حفل العشاء،» قال ابي عندما قرأ النبأ، وهو ينظر اليّ من فوق اطار نظارتيه. بعد ذلك صمت، وبدا لي انه كان يفكر بمرضه. وبالمثل التزمت الصمت وفكرت بالامبراطور الذي كان قد حضر حفل التخرج في الجامعة كما اعتاد ان يفعل في كل عام.

*

أخرجت الكتب من حقيبتي وبدأت اقرأ في ذلك البيت القديم الساكن، والواسع بالنسبة لثلاثتنا. ولسبب ما، لم أستطع ان اروّض

نفسي. هذا بينما كان يسيراً عليَّ ان ادرس في وسط ضجيج طوكيو. ففي الغرفة الصغيرة في الطابق الثاني من القسم الداخلي حيث كنت استطيع سماع اصوات الترامات المتحركة البعيدة، لم أجد صعوبة في التركيز على أيما شيء اقرأ. في الغالب كنت اجد نفسي غافياً فوق كتبي، وأحياناً كان يبلغ بي الامر ان أجلب وسادتي واستغرق في اغفاءة حقيقية. وكنت أفيق على صياح حشرات الزيز التي كان يبدو لي صياحها في البداية جزء من أحلامي، ثم أستيقظ فجأة استيقاظاً كاملاً وأجد الصياح الحاد غير مسموع تقريباً. وأحياناً كنت أرقد ساكناً وأصغي له لدقيقة او دقيقتين، فيمتلىء قلبي حزناً.

لقد كتبت الى اصدقاء شتى. أحياناً بعثت بملاحظات موجزة مكتوبة على بطاقات بريدية، واحياناً، رسائل مطولة. كان بعض اصدقائي مازالوا في طوكيو، وكان بعضهم قد رحلوا الى اقاليمهم النائية. بعضهم ردَّ على رسائلي وبعضهم لم يرد. وطبعاً لم أنسَ المعلم. لقد كتبت له رسالة مطولة بثلاث صفحات من القطع الكبير وبخط صغير الأحرف، وأخبرته بكل ما جرى لي منذ عودتي. وأغلقت الظرف وتساءلت ان كان المعلم مازال في طوكيو. وفي كل مرة كان المعلم يرحل فيها مع زوجته، كان من المعتاد لسيدة في الخمسين من عمرها، ذات شعر مقصوص مسدل على غرار تسريحة السيدات من عمرها، ان تأتي وترعى المنزل. وفي احدى المرات عندما سألت المعلم عن تلك السيدة، سألني هوبدوره: «من تظنها تكون؟» ولما قلت بأنني أظنها احدى قريباته، أجاب: «لكن ليست لدّي قريبات.»

في الحقيقـة، لقـد بلغ الامـر بالمعلم ان أغفـل تمـاماً وجود أسرته في اقليمه الام. وظهر ان تلك السيدة كانت قريبة لزوجة المعلم.

لقـد فكـرت بتلك السيـدة آنـذاك حينمـا خرجت لارسـل الـرسـالة بالبـريـد، وتساءلتُ ان كان لديها الاحساس واللطف بأن توجه الرسالة اليهما، اذا ما كان المعلم وزوجته قد رحلا في وقت وصول الرسالة الى طوكيو. وطبعاً كنت اعلم بأنني لم اذكر شيئاً ذا بال في الرسالة. ببساطة بيّنت انني كنت في وحـدة. وكـان املي ان اتلقى جوابـاً منـه، لكن لم يأت ابداً.

ولم يبدِ والدي اهتماماً بالشطرنج بقدر ما فعل في الشتاء المنصرم. وقبعت رقعـة الشطـرنج في الركن المزخرف والتراب يغطيها. وبدا اكثر هدوءاً من السابق منذ مرض الامبراطور. وفي كل يوم كان ينتظر وصول الصحيفة، وحين وصولها كان هو اول من يقرؤها. ثم كان يأتي بها اليَّ ويقـول: «انظـر، هنـاك مزيد من الاخبار عن صاحب الجلالة اليوم.» ودائماً ما كان يشير الى الامبراطور بلقب، صاحب الجلالة. وقال مرة: «لااريـد ان ابـدو غيـر متسم بالاحتـرام، لكن يظهر كأن مرض صاحب الجلالة أشبه ما يكون بمرضي.»

واستطعت ان ارى قلقاً عظيماً على سيماه حينما قال هذا، ففكرت مع نفسي: «كم سيطول ذلك قبل ان يُغمى عليه مرة ثانية؟» قال ابي: «لكنني واثق ان صحة صاحب الجلالة سوف تتحسن. اجل. فاذا كان شخص تافـه مثلي يستطيـع ان يقـوم ويقعـد مثلمـا افعل..» على اية حال، بالـرغم من محـاولاته أن يكون متفائلاً، فقد كان لدي شك بأنه

كان يخشى على نفســه من سوء المصيــر. فقلت لأمي : «انت تدرين، ان والدي قلق جداً من مرضه. فهو لايبدو كأنه يتوقع ان يعيش عشر او عشـرين سنـة أخـرى، كما يبدولك انه يفكر بمثل ذلك.» وظهرلي ان كلماتي اربكت امي وقالت: «لماذا لاتقنعه بأن يلاعبك الشطرنج؟»

فجلبتُ رقعة الشطرنج ونفضتُ عنها التراب.

*

ساءت صحـة أبي بأطـراد. وان القبعـة القشيـة القـديمـة المرتبطة بمنديل والتي بهرتني جداً حين رأيتها على رأس ابي لاول مرة، كانت مطـروحـة جانبـاً الآن. وفي كل مرة كنت اراهـا مطـروحـة على الـرف المسـود بفعـل الـدخـان، أشعـر بالحزن عليه. قبل ذلك، حينما كان نشطاً، كنت أتمنى الا يكثر من الحركة هنا وهناك. اما الآن فقد كرهت ان اراه يفقـد قوتـه القديمة وان أجده جالساً في البيت بهدوء. وغالباً ما تحـــدثت مع امي عن صحـــة ابي. وفي مرة قالت أمي: «انهـــا حالـة نفسيـة. وهـو مكتئب.» والظـاهـر انها كانت تظن ان اكتئاب ابي سببه مرض الامبـراطـور. لكنني لم اتفق معهـا. قلت: «لااعتقـد انها حالة نفسية حقاً. بل اعتقد انه يشعر بالمرض فعلاً.»

فيمـا بعـد بدأت افكـر جديـاً بأستدعاء طبيب أخصائي للمرة الثانية لكي يفحص أبي. قالت أمي: «ليس بوسعـك ان تؤنس نفسـك كثيـراً في هذا الصيف. انـــا لم نحتفـل حتى بتخـرجـك. فأبـوك منحـرف الصحـة، والآن، صاحب الجـلالـة.. كان الاحرى بنا ان نقيم حفل عشاء بعد رجوعك مباشرة.»

لقــد رجعت الى بيتي في الخـامس او السـادس من تمـوز، وبعـد عودتي بأسبـوع تقـريبـاً بدأ والداي يناقشان امور العشاء. حينذاك قررا اقـامـة الحفـل في الاسبـوع التالي. ومن الجائز القول بأنني قد جُنِّبت التـزامـاً اجتمـاعياً غير محبب لنفسي، بفضل تصرفات ابوي المتباطئة مثـل بقيـة الـريفيين الآخـرين الذين لايتعجلون الامور. غير ان امي، التي لم تفهمني، لم تستطع ان تلاحظ ذلك.

ولما وصلت الصحيفة المعلنة عن وفاة الامبراطور، قال ابي: «اوه! اوه!» وبعدئذ: «اوه! اخيراً مات صاحب الجلالة. انا ايضاً. . . .» ثم صمت ابي.

ذهبت الى المـدينـة لشـراء شارة حداد من ورق الكـريب الاسـود. ولففنا قطعة منه حول الكرة الذهبية في طرف سارية العلم. ومن قطعة كريب أخرى صنعنا شريطاً عرضه ثلاث بوصات وعلقناه بالسارية قريباً من قمتها. وكان العلم مشدوداً على نحو مائل بأحدى دعامتي البوابة. كان الهـواء ساكنـاً جداً، لذا تدلى العلم والشـريـط بأسترخاء. وفوق البـوابـة القـديمـة لبيتنـا كان يوجـد سقف قشي. وقد اكتسب السقف القشي لونـاً رمادياً شبيهاً بالرماد لتعرضه للريح والمطر لسنوات طويلة. وفي مواضع منه، بوسع المرء ان يرى انه صار غير متساوٍ. خرجت الى الطــريق وحـدي ونظـرت الى العلم المصنـوع من قمـاش المـوسلين الابيض وعليه شمس مشرقة حمراء في الوسط. لقد برز العلم والشريط الاسـود يتـدليان امام خلفية من القش الرمادي الوسخ. وبغتةً طرأ على بالي سؤال سألنيـه المعلم. سأل: «مـا شكـل بيتك؟» اتساءل ان كان

طراز المعمار في ذلك الجزء من ريفك مختلفاً عن الطراز عندنا؟» لقد رغبت بان يرى المعلم البيت القديم الذي ولدت فيه. وفي الوقت نفسه شعرت بشيء من الخجل من بيتي.

رجعت الى البيت. جلست الى مكتبي، وبينما كنت أطالع الصحيفة فكرت بطوكيو البعيدة. وتخيلت هذه المدينة، وهي كبرى مدن اليابان، غارقة في الكآبة، لكنها تموج نشاطاً بالرغم من الظلام. لم يكن فيها سوى نور واحد، وكان هذا النور قادماً من بيت المعلم. في حينه ما كان بوسعي ان أعلم ان دوّامة صامتة سوف تبتلع هذا النور أيضاً. وما كان بوسعي ان اعلم بأن هذا النور سوف ينطفىء قريباً، وسأبقى انا في عالم من الظلام الشامل.

ولما فكرت بالكتابة للمعلم عن وفاة الامبراطور، التقطت قلمي. وبعد ان كتبت عشرة اسطر اومايوازيها، قررت الا اكتب الرسالة قطعاً. فمزقت الورقة ورميت المِزق في سلة المهملات. (لقد فكرت بأن لامعنى لكتابتي له عن هذه المسألة. فضلاً عن ذلك، كان لدي امل ضعيف بأن اتلقى جواباً منه..) وفكرت بأنه إذا كتب لي، فلعلمه بأنني لم ابدأ الكتابة له الا بدافع من الوحدة.

*

وفي وقت ما في اواسط آب، تسلمت رسالة من صديق لي، يسألني فيها ان كنت معنياً بالتوظف في مدرسة ثانوية اقليمية معينة. هذا الصديق، وبداعٍ من الحاجة، صرف وقتاً طويلاً في البحث عن وظائف لنفسه. كانت هذه الوظيفة قد مُنحت له، لكن، بما انه قبل

عرضاً من مدرسة في اقليم افضل، فقد كان لطفاً منه ان يبلغني عن هذا الشاغر. وفي الحال كتبت له جواباً بيّنت له فيه بأنني غير معنّي بالعرض واقترحت عليه ان يكتب لصديق مشترك لنا كنت اعلم بأنه راغب بالوظيفة التعليمية أشد ما تكون عليه الرغبة.

وبعد ان بعثت الرسالة بالبريد اخبرت ابوي عن الشاغر. فلم يظهرا استياء لما سمعا بأنني قررت صرف النظر عنه. قالا: «بالتأكيد لاضرورة للذهاب الى مثل هذا المكان. سوف تحصل على عرض أفضل.»

عند ذاك بدأت أظن بأن والديّ يعلقان آمالاً كبيرة على مستقبلي. واتضح لي حالاً، برغم جهلهما، بأنهما كانا يتوقعان لابنهما المتخرج من الجامعة ان يجد وظيفة مهمة براتب كبير. قلت: «يجب ان تفهما بأن من الصعب العثور على الوظائف الجيدة في هذه الايام. ارجو ان تتذكرا بأن مجال اختصاصي مختلف عن مجال اخي الاكبر. فالامور تبدلت أيضاً منذ ايامه. ويجب الا تفكرا بأنني في الوضع السعيد نفسه الذي كان فيه اخي حينما تخرج.» فقال ابي بشيء من التجهم: «لكنك خريج جامعي على اية حال. يجب الا تلومنا الآن اذا ما توقعنا لك ان تكون مستقلاً مادياً. انت تعلم، بأنني اشعر بالارتباك عندما لا املك جواباً لسائل يسأل: الآن وقد تخرج ابنك الاصغر، ماذا سيعمل ؟»

ان العالم الصغير، الذي كان ابي جزء منه طوال هذه السنين العديدة، هو عالمه وليس بوسعه ان يفكر خارج نطاقه. وكان الشيء

الـذي اراد مني ان افعله هو ان أجـد وظيفـة تناسب مؤهلاتي كيلا تثلم سمعتـه في المجتمـع. وهـو لـم يرغب ان يصيبـه الارتبـاك اذا ما سألـه جيـرانـه: «تظن ان ابنـك سيكسب الآن مالاً كثيـراً بعـد ان تخرج من الجامعة؟» او «ربما، سيكسب مائة يناً تقريباً في الشهر.» اما انا الميّال الى التفكيـر بأن العـاصمـة هي قاعدة نشاطاتي، فلابد ان أبدو مخلوقاً غريباً يمشي بقدمين مقلوبتين في الهواء، في نظر والدّي. في الحقيقة كنت أشعر بنفسي غريباً عن محيطي وان ما افعله هو فعل هذا الكائن. وبدلاً عن ان اشرح لهما بوضوح ماهية مشاعري، فقد قررت ألّا اقول شيئاً. فالفجوة بيني وبينهما كبيرة جداً. قالت امي:

«تلك هي الفـرصـة التي ينبغي فيـه للانسـان ان يستفيـد فيهـا من علاقاته بالآخرين. والآن، وماذا عن ذلك الرجل المعلم، الذي طالما حدثتني عنه؟»

كان هذا هو مدى فهمهـا لعـلاقتي بالمعلم. وما كان متوقعاً منها ان تفهم. ومع ان المعلم نصحني بأن اتأكد من ميراثي قبل وفاة ابي، فلم يكن ذلـك الشخص الـذي يتخلى عن اسلوبـة ويسـاعـدني في ايجاد وظيفة. سأل ابي: «ماذا يعمل هذا المعلم؟»

فأجبت: «لايعمل شيئاً.»

وكـان الانطبـاع لدّي أنني سبق ان اخبـرت والدّي بأن المعلم لايزاول عملاً، واذا لـم يكن انطباعي خاطئاً، فلابد ان ابي قد تذكر ذلك. قال ابي بشيء من السخرية: «قل لي، ما هو العمل الذي يزاوله؟ ان المرء ليحسب ان رجـلاً مثله، ممن يبـدو انك تكنّ له احتراماً عالياً، لابد ان

يجد شغلاً . »

ان ماأراد ان يقـولـه حقـاً ، كما بدا لي ، هو ان الرجل الذي يستحق ملحه ، هو من يجد عملاً نافعاً لنفسه ، وان من لايعمل شيئاً نافعاً ابداً سوف يقنـع بحيـاة التسكـع . واستأنف ابي : «صحيـح انني لا اكسب راتباً ثابتاً ، لكن يجب ان تعترف بأنه حتى الانسان البسيط مثلي يجد ما يفعله . ما من احد يستطيع القول إنني لاافعل شيئاً . » وبقيت ملتزماً الصمت .

قالت امي : «اذا كان هذا الـرجـل بارعـاً كما تقول ذلك عنه ، فأنا واثقة بأنه سوف يجد لك عملاً . هل سألته؟»

قلت : «كـلا . » قالت امي : «حسن . هذا لاينفـع . لمـاذا لاتسأله؟ اكتب اليه رسالة . »

«اجل . » أجبت بفتور وغادرت الغرفة .

*

كان جلياً ان ابي يخشى من مرضه . لكنه سعى الى ان يكتم مخاوفه في نفســه ، وفي كل مرة كان الطبيب يأتي اليــه ، لم يضــايقـه بأسئلة لاجدوى منها . وظل الطبيب ، بدوره ، ملتزماً الصمت بحكمة .

ولاح أن والدي كان يفكر فيما سوف يقع بعد مماته . فمن الواضح ، انه هو في الاقل الذي حاول غالباً ان يتصور مع نفسه الحياة في المنزل من دون حضـوره . وفي احـدى المرات قال لي : «انت تعرف ، ان في تعليم المـرء لاولاده منـافـع واضـراراً . فهويتجشم العناء في تزويدهم بالتــربيـة ، لكنهم ما ان ينهـوا دراستهم حتى ينفضـوا ولا يعـودون الى

البيت ابـداً. اجـل، بوسعـك ان تقـول ان التـربيـة وسيلة للفصل بين الاولاد وابائهم.»

في الحقيقـة كان سبب هذا القـول هو ان اخي الاكبـر حصـل على تربيـة جامعيـة ثم رحـل بعيـداً الى اقليم ناء. وانـا ايضـاً، بسبب هذه التـربيـة قد قررت الاقامة في طوكيو. فمن المعقول اذاً، اذا ما اشتكى والـدي من اولاده. ومما لاريب فيه، كان شيئاً محزناً له ان يتخيل بقاء امي وحيدة في البيت الريفي الذي عاش فيه سنين طوالاً.

في نظـره كان البيت بيت الاسـرة، ولم يفكـر قطعاً ان يعيش في اي مكان آخر غيره. وكان أمراً مفروغاً منه، في نظره ايضاً، بأن امي ستبقى فيه الى حين مجيء منيتها. وعليه فتفكيره بأمي وهي تعيش في البيت الكبير في وحدة، قد سبب له قلقاً كبيراً. وفي الوقت نفسه ألحَّ عليّ بأن اذهب الى طوكيـو وان اجـد وظيفـة محتـرمـة لي. وقـد ادهشني هذا الالحـاح واعتبـرتـه دليـلاً على التناقض. لكن هذا التناقض من جانبه أضحكني. الا انني رحبت به، لانه صار بوسعي ان اذهب الى طوكيو بموافقته التامة.

ولم اجـازف بأن اجعـل ابي وامي يظنـان بأنني لم ابـذل قصـارى جهدي بغية العثور على وظيفة. وكتبت للمعلم وشرحت له الوضع في البيت. وقلت له بأنني على استعـداد لان امـارس اي عمـل ما دمت مؤهلاً له، وطلبت منه ان يساعدني في العثور على وظيفة شاغرة. وعند كتـابـة الـرسـالـة كان اعتقـادي ان المعلم لن يأبه بطلبي. علاوة على ذلـك، فقـد فكـرت مع نفسي بأنـه حتى لو رغب في مسـاعـدتي

فبأستطاعته ان يفعل شيئاً قليلاً . مادام يعيش حياة انطوائية . مع ذلك ، كنت واثقاً بأنه سوف يرد على رسالتي .

وقبل ان اغلق الرسالة ذهبت الى امي وقلت : «انظري ، لقد كتبت رسالة الى المعلم حسب ما اقترحتِ . الا تقرأينها؟»

وكما توقعت ، لم تقرأ امي الرسالة . قالت : «هل فعلت؟ في هذه الحالة ، من الافضل ان تبعث بها في الحال . كان الاجدر ان تكتبها قبل هذا بوقت طويل . فليس المرء بحاجة الى الحث لانجاز هذه الامور . »

كانت امي لاتزال تعاملني كطفل . ولكي اكون صادقاً ، فقد شعرت شعوراً طفولياً عند ذاك . قلت : «على اية حال ، ينبغي ان انبهك . ان مجرد كتابة رسالة غير كاف . يجب ان اذهب الى طوكيو . . ربما في ايلول . »

«لعل ذلك صحيحاً ، لكن لاضرر البتة في الكتابة الى الاصدقاء اولاً . لكن كيف تعرف أنهم لن يعثروا لك على وظيفة فجأة؟»

«نعم ، طبعاً . حسن . دعينا نتحدث عن ذلك مرة ثانية عندما أتسلّم رسالة من المعلم . من المؤكد انه سيكتب الي . »

لقد اعتقدت أن المعلم في مثل هذا الشأن سيكون حي الضمير . وعليه انتظرت بثقة ان اسمع منه . لكن خاب املي . فقد انصرم اسبوع ولم تصل منه رسالة .

«من المحتمل انه رحل في العطلة . » قلت لامي ، شعوراً مني بأنني يجب ان اقدم نوعاً من الاعتذار لصمت المعلم . انني لم احاول ان

اقنـع امي بذلـك حسب، بل لاقنع نفسي أيضاً ولغرض تطمين بالي ، كان يجب ان اشـــرح لنفسي أن المعلم لم يكن ليغفــل طلبي دون ان يكون لديه سبب وجيه .

واحيـانـاً كنت انسى مرض ابي ، فتراودني فكرة بأن اغادر الى طوكيو في الحال. وبدا ان ابي ايضاً قد نسي احياناً بأنه مريض، ومع انه كان يعي ضرورة وضـع الامـور في نصـابهـا قبـل موتـه لكنـه لم يفعل شيئاً بخصـوصهـا. ولم تسنح لي فرصة ابداً بأن اطرح عليه موضوع حصتي في العقار حسب ما نصحني به المعلم .

*

اخيراً، في بداية ايلول، قررت الذهاب الى طوكيو. وسألت ابي ان كان سيـواصـل ارسـال المبلغ الـذي كنت اتسلمـه منه عندما كنت في الجامعة. قلت : «يجب ان اذهب اذا كنتُ اقصد العثور على عمل من النوع الذي هو في بالك . »

جعلت الامـر يبـدو كمـا لو انني كنت ارغب في الذهاب الى طوكيو لغرض تحقيق آمال ابي فيَّ فقط .

«طبعاً انني اريد المبلغ فقط الى حين أعثر على عمل . »

وشـعــرت في سري بأن الامــل ضعيف في العثــور على وظيفــة محتـرمـة . غير ان والدي الذي كان منعزلاً عن وقائع العالم الخارجي ، كان يعتقـد اعتقـاداً راسخـاً بخـلاف ذلك . قال : «حسن . مادام ذلك سيكـون لفتـرة قصيـرة فقط ، فسوف أولي الامر عنايتي لتتسلم المبلغ . لكن تذكر . . لفترة قصيرة فقط . يجب ان تستقل بنفسك حالما تجد

عمـــلاً. في الحقيقـــة ليس من الصـــواب ان يعيش المـرء عالـة على الآخرين بعد تخرجه. ويظهر ان جيل الشباب اليوم يعرف كيف يصرف النقـــود فقـط. ويبـدو انـه لم يخطـر لهم على بال بأن النقـود يجب ان تُكسب ايضاً.»

وقـال أشيـاء أخـرى في محـاضـرته لي، من بينها: «في زماني كان الاولاد يعينون اباءهم. اما اليوم فالاباء يعينون ابناءهم على الدوام.» فأصغيت بهدوء.

في النهـــايـــة بدا ان المحـاضـرة قد انتهت، وكنت على وشـك ان انهض حينما سألني ابي عن الموعد الذي نويت ان اغادر فيه. فقلت بأنني سأذهب بأقـرب وقت ممكن. قال ابي: «اسأل امـك لتختـار لك يوماً ملائماً للسفر.» قلت: «اجل، سأفعل.»

كنت مطيعـاً على نحـو غيـر اعتيـادي. ولم أرد ان اغضب ابي قبـل تركي البيت. وقبل مبارحتي الغرفة كانت كلماته الاخيرة لي: «بذهابك سوف يبـدو البيت موحشـاً مرة ثانيـة. لن يكـون فيـه أحـد سوى امـك وسـواي. تمنيت ان تكـون صحتي افضل. اما وهي على ماهي عليه، فليس بالوسع ان نقول ماذا سيحصل.»

طمأنت ابي بأحسن ما استطيع ورجعت الى مكتبي. وجلست بين كتبي التي كانت منتشـرة في جميـع ارجـاء المكـان، وفكـرت طويـلاً بكلمات ابي المتشكية وبالحزن في عينيه وهو ينطق بها. واستطعت ان اسمـع حشـرات الـزيز وهي تغرد في الخارج. وكانت هذه مختلفة عن تلك التي سمعتهـا في المـرحلة الاولى من الصيف. كانت هذه هي

حشـرات الـزيـز الصغيـرة المسماة تسوكو- تسوكو- بوشي .[1] ففي كل صيف، عنـدمـا اعود الى البيت في العطلة، اجلس غالباً واستمع الى تغريد حشرات الزيز الحاد، فأجد نفسي اسير حالة نفسية حزينة. ومع صيـاح هذه الحشـرات كنت اشعـر كأن حزنـاً كان يزحف الى قلبي. فأظل ساكناً تماماً وافكر بوحشتي.

لكن في ذلـك الصيف بدا ان طبيعـة كآبتي قد تبـدلت تدريجيـاً. وغالباً ما فكرت بقدر اولئك الذين عرفتهم، وتساءلت احياناً ان لم يكن قدرهم شبيهـاً بقـدر حشـرات الـزيـز الكبيـرة في بواكيـر الصيف والتي سرعـان ما حلت محلهـا صغـار التسوكو- تسوكو- بوشي. ففكرت بأبي الحـزين، ومن ثم بالمعلم الـذي لم يرد على رسـالتي بعد. وكان شيئاً طبيعياً ان اربط بين الاثنين في افكاري. لقد كان التناقض حاداً بينهما بحيث انني لااستطيع ان افكر بأحدهما دون التفكير بالآخر.

لم يكن هنـاك الا النـزر القليـل الذي لاأعرفه عن ابي. وان الحزن الـذي سأشعـر به اذا ما افتـرقنـا لن يكون اكثر من حزن يشعر به اي ابن مولع بأبيه. من الناحية الاخرى، كان هناك الشيء الكثير الذي لاأعرفه عن المعلم. انـه لم يخبـرني عن ماضيـه بعد كما وعدني. بأختصار، لايـزال المعلم، في نظـري، شخصيـة شبـه مخفيـة في الظلال. ولن يرضيني شيء حتى تنكشف لي شخصيتـه بالكـامل. وليس بمقدوري ان اتحمل فكرة الافتراق عنه قبل هذا الكشف.

١- هذا الاسم متطابق مع الصوت الصادر عنها

لقد استشارت امي التقويم، وقررنا اليوم المناسب لسفري.

*

قبل يومين من ميعاد رحيلي، حسب ما اظن، أغمي على ابي مرة أخرى. كان الوقت مساء وكنت قد انتهيت تواً من حزم حقيبتي المحشوة بالكتب والكساء. كان والدي قد ذهب ليستحم.

وكانت امي، التي تبعته لتفرك له ظهره، قد نادت عليَّ بصوت عالٍ. لقد وجدت ابي ممدداً بين ذراعي امي. لكن حالما عاد الى غرفته قال: «انني على مايرام الآن.» مهما يكن، جلست الى جانبه وبللت جبينه بقطعة قماش رطبة. كانت الساعة التاسعة قبل ان يتسنى لي ان اتناول وجبة خفيفة بدلاً عن العشاء الذي فاتني.

وفي اليوم التالي بدا أفضل مما توقعنا. وذهب الى الحمام وحده، دون ان يعير تحذيراتنا اهتماماً.

«انني على مايُرام الآن،» كان يقول هذا لي بتكرار، كما كان قد فعل في الشتاء المنصرم. حينذاك كان على مايرام تقريباً كما ادعى. وفكرت آملاً ان يتحقق تحسن في صحته مرة أخرى. وبالرغم من اسئلتي الملّحة لم يخبرني الطبيب بشيء سوى ان العناية الدائبة به ضرورية. وحلَّ اليوم المقرر لرحيلي، لكن بسبب قلقي على ابي، قررت ارجاء سفرتي الى طوكيو. قلت لأمي: «اعتقد انني سأبقى الى ان تتبلور الامور.»

فقالت امي متوسلة: «نعم، ارجوك ان تفعل.»

وفي كل مرة كان يُظهر فيها ابي تحسناً يستطيع معه ان يتجول في

الحديقة او الباحة الخلفية، كانت تُظهر امي تفاؤلاً مفرطاً. اما الآن فقد كانت قلقةً وعصبية اكثر من اللازم، حسب ظني.

«الست ذاهباً الى طوكيو اليوم؟» سألني ابي فيما بعد من ذلك اليوم.

«اجـل، لكنني قررت ان أطيـل مكثي قليـلاً.» فسأل: «بسببي؟» ترددت لحظة. لو اجبت بالايجاب، فسيكون اعترافاً مني بأنني أعتقد بأنـه حالتـه خطيـرة. ماأردته هو ان أرحم مشاعره ما استطعت الى ذلك سبيلا. لكن يبدو انه قد قرأ افكاري.

«آسف،» قال، واستدار صوب النافذة.

رجعت الى غرفتي وحـدقت الى الحقيبـة الجـاثمـة على الارضية. كانت مشدودة شداً محكماً وهي جاهزة للسفر تماماً. وقفت امامها فترة قصيـرة متسـائـلاً على نحـوٍ غامض ان كان من الاجـدر ان ابـدأ بفـك احزمتها.

ومضت ثلاثـة او اربعـة ايـام. كنت فيها في حالة من القلق الذهني شعـرت معـه بأنني اشبـه ما اكـون برجـل لاهوبقائم اوبقاعد. وأغمي على ابي مرة ثانية. في هذه المرة أمر الطبيب بالتزام الهدوء المطلق.

«ماذا سنفعل؟» قالت امي بما يشبه الهمس لئلا يسمعها ابي. وبان عليهـا الخـوف واليأس نوعاً ما. وكنت مستعداً لان أبعث برسالتين الى أخي الاكبـر واختي الصغـرى. بيـد ان ابي، الـذي كان ملازماً السرير الآن، لم يبد عليه انه يعاني من ألم ابـداً. واذا ما نظـر اليـه المـرء اواستمع اليه وهويتحدث ، لقال بأنه

لايعاني من شيء خطير ماعدا البرد. والا دهى ان شهيته للطعام كانت اقوى منها في الحالة الاعتيادية. وهو لم يصغ الى تحذيراتنا كلما نبهناه الى مغبة الافراط في الاكل. قال مرة: «سأموت على أية حال، فلا بأس اذاً ان أكلت الاطعمة الشهية مادمت أستطيع ذلك.» ان فكرة ابي عن «الاكلة الشهية»، لفتت انتباهي الى ناحيتين: اولاهما مضحكة وثانيتهما مُشجية. فهو لم يكن من ابناء المدينة، وعليه لم يكن يعرف ما هي الاكلات الشهية الحقيقية. وغالباً ماكان يطلب في وقت متأخر من الليل قرص رز مشوي، فيأكله بشهية متناهية.

قالت امي: «لماذا هو دائم الجوع؟ انني لأتساءل. من الجائز جداً انه لايزال يمتلك شيئاً من القوة في جسده.»

لقد اختارت امي المسكينة اخطر الاعراض لتعلق عليها آمالها. وعندما زارنا خالي لم يدعه ابي يذهب. لقد ناشده بأن يبقى ليرد عليه الوحشة طبعاً، لكن الشك راودني بأنه اراد ان يشكونا لأحد ما حول ترددنا في اعطائه صنف الطعام الذي كان يتلهف اليه.

*

ظل ابي على هذه الحال اسبوعاً او مايقاربه. وفي غضون ذلك، كتبت رسالة مطولة الى أخي في كايوشو. وطلبت من امي ان تكتب لاختي. وفكرت بأن من المحتمل ان تكون هذه هي المرة الاخيرة التي نكتب فيها لهما عن صحة ابي. ولهذا السبب راعيت بأن يتم لفت انتباههما بأن اي اتصال قادم معهما سيكون عن طريق برقية نطلب فيها حضورهما.

كان اخي كثير العمل. وكان لاختي طفل. وعليه لم نتوقع منهما المجيء الينا الا اذا تعرضت صحة والدي للخطر. من ناحية أخرى لم نرد لهما ان يتجشما عناء المجيء كله لكي يرياه، واذا بهما يكتشفان انهما قد جاءا بعد فوات الاوان. ولم يعلم احد ما مقدار القلق الذي اصابني حول مسألة تحديد الوقت الملائم لارسال برقيتين لهما. قال الطبيب الذي جئنا به من أقرب مدينة كبيرة: «لا استطيع ان اخبركما بالضبط متى ستحصل الازمة. كل ما استطيع قوله انها من الجائز ان تحصل في اي وقت.»

وبعد ان تناقشت مع امي، قررت ان اطلب من الطبيب ان يرسل لنا ممرضة يُعتمد عليها من مستشفى المدينة. ووصلت الممرضة وهي بردائها الابيض، ولما قدمت نفسها لابي نظر اليها بأستغراب. ومنذ فترة كان ابي قد عرف بأن مرضه قاتل. لكن، مؤخراً، عندما اصبح الموت قاب قوسين او ادنى، لم يبدُ عليه انه يعترف بذلك. قال: «حينما ستتحسن صحتي، يجب ان اذهب الى طوكيو مرة أخرى وأمتع نفسي. من منا يدري متى سيموت؟ ينبغي لنا ان نفعل جميع الاشياء التي نرومها ما دمنا قادرين على ذلك.» لم يكن لدى امي ماتقوله سوى: «عندما تذهب، ارجوك ان تأخذني معك.» لكن احياناً، كان الحزن يشتد على ابي فيقول لي: «عندما أموت، ارجوك ان ترعى امك.»

آنذاك تذكرت تلك الامسية في بيت المعلم، بعد تخرجي مباشرة، حينما استخدم المعلم بتكرار عبارة «عندما اموت» في حضرة زوجته.

وتـذكـرت الابتسـامـة على وجه المعلم وهو يقولها، كما تذكرت رفض زوجتـه الاصغـاء الى المـزيـد منهـا، قائلة: «ارجوك ألّا تقول هذا مرة ثانية. انه جالب للنحس.» وفي تلك الامسية كان الموت مادة للتأمل، اما الآن فقد بات شيئاً قابلاً للتحول الى واقع قريباً. لم يكن بوسعي ان اقلّد زوجـة المعلم. لكن كان يجب ان اقـول شيئـاً أحرف به ذهن ابي عن التفكير بالموت.

«ارجـوك ألّا تتحدث بهذا الشكل. تذكر، انك ستذهب الى طوكيو لتّمتع نفسك فيها عندما تتحسن صحتك. وامي ستأتي معك. لسوف تنـدهش حقـاً عنـدمـا ترى التبـدل الكبيـر الـذي جرى في طوكيـو منذ زيـارتـك الاخيـرة لهـا. مثلاً، لقد زاد عدد خطوط الترام، لكنك تعلم كيف ان هذه الخطوط تؤثر على مظهر الشوارع. كما جرت أيضاً اعادة ترتيب القصبـات. أجـل! بوسـع المـرء ان يقول بأنه لاتوجد في طوكيو اليوم لحظة هدوء، في النهار او الليل.»

وانطـلاقـاً من رغبتي بأدخـال المسـرة في قلب ابي، ربما اكون قد ثرثـرت بمـا فاق الحـد المطلوب. لكنـه، على اية حال، بدا مستمتعاً بالاصغاء اليَّ.

وبسبب مرضـه فقـد ازداد عدد زائـري بيتنـا. وغـالباً ما جاء اقرباؤنا السـاكنـون قريباً منا لرؤيته، ربما بمعدل شخص واحد في كل يومين. وحتى اولئك الاقرباء الساكنون بعيداً عنا والذين باتوا غرباء عنا، كانوا من بين الزوار.

وبعد ان رأى أبي قال أحدهم: «اجل. انه أحسن حالاً مما ظننت.

انـا واثق انـه سيكون على مايرام. وليست لديه مشكلة في الكلام، ولا ارى ان وجهه قد زاد نحافة.»

كان هناك أخرون، أضافة اليه، ممن امتلكوا الشعور نفسه ازاء حالة ابي.

ان اسـرتنـا، التي صدمتني بكـونها هادئة جداً عند عودتي، انقلبت لتكـون ذات جلبـة على نحـو مزعـج. وكـان ابي، الشخص الـوحيـد الجامد في وسط هذه الفوضى، قد ساء حالاً بأطراد. وبعد مشاورة مع امي وخـالي قررت ان ابعث بالبـرقيتين. وجـاء الـرد من اخي قائلاً بأنه سيغـادر الينـا قريبـاً جداً. ووصلتنا برقية من زوج أختي يعلمنا فيها عن قدومـه. وكـان قد حصـل اسقـاط لاختي في حبلها الاول، وقد أقسم زوجهـا انـه سيفعـل في المـرة القادمة كل ما بوسعه مما يساعد في منع حدوث هذا الامر. وعليه فقد فكرنا بأن من المحتمل انه سيأتي لوحده.

*

وعلى الـــرغم من الظـــروف غيـــر المستقـرة كان بأمكـاني ان انعم بلحظات من العزلة. واحياناً كان يتوافر لي الوقت الكافي لأن اقرأ عشر صفحـات من كتـاب دونمـا مقـاطعـة من احـد. وكـانت الحقيبة التي حزمتها قبلاً بعناية، جاثمة الآن على الارضية وهي مفتوحة. وما اكثر ما توجهت اليهـا واستللت منهـا كتـاباً كنت اريد قراءته. ولما القيت نظرة على الجـدول الـذي كنت وضعتـه لنفسي قبـل مغـادرة طوكيو، قررت بأنني سأكون قادراً على اكمال ثلث العمل الذي كان من المفروض ان

اكـون قد اكملتـه كله حاليـاً. وغـالباً ماراودني الشعور المقيت من قبل بكـوني لم أجهـد نفسي في العمل، لكنني نادراً ما انجزت عملاً قليلاً كما فعلت في هذا الصيف. فكلكلت عليَّ فكرة كئيبة مفادها ان هذه الحالة هي حالة الاشياء الاعتيادية في حياة كل انسان.

وعلى هذه الحـال جلست محـزوناً وفكرت بمرض ابي مرة أخرى. وتسـاءلت ماذا ستؤول اليـه الامـور بعد موته. ومرة أخرى، جنباً لجنب مع صورة ابي، لاحت في افكاري صورة المعلم. وبعين عقلي رمقت هاتين الشخصيتين المختلفتين عن بعضهما في الموقع والتربية والشخصية.

واطـلت عليَّ امـي من باب غرفـتي فوجـدتـني جالسـاً بين كتبي المتنـاثـرة، وذراعـاي مطـويتـان. ولم يكن قد سبق لي ان اترك جانب سريـر ابي فتـرة طويلة. قالت: «لماذا لاتغفو قليلاً؟ لابد انك تعب.» ولم يكن بمقدورها ان تلاحظ بأنني لم اكن أعاني من ارهاق جسدي. ثم انني لم اكن طفـلاً حتى اتـوقـع ان تحـدس امي حالتي النفسيـة. فشكرتها ببساطة. وكانت لاتزال واقفة في فرجة الباب. سألت: «كيف الوالد؟»

قالت: «انه نائم بهدوء تام في هذه اللحظة.» وفجأة دخلت في الغرفة وجلست الى جواري. سألت: «الم تسمع عن المعلم بعد؟»

وقبـل ان ابعث برسـالتي الى المعلم كنت قد اكـدّت لهـا بأنه سيردُّ بصـورة اكيـدة، وكـانت قد صدقتني. وحتى في ذلك الحين، لم افكر بأن المعلم سوف يكتب الرد الذي كان أبي وامي يتوقعانه. في الـواقـع

كنت قد كذبت عليها عامداً. قالت: «لماذا لاتكتب له مرة ثانية؟»

لم اكن من ذلك الصنف الذي يضنُّ على امه بشيء من الراحة التي من الجائز ان تمنحها اياها كتابتي لرسائل لاجدوى منها، مهما كان عددها.مع ذلك، كان مؤذياً لي ان اكتب للمعلم عن هذه المسألة. لقد كنت اخشى من احتقار المعلم لي اكثر مما اخشى من غضب ابي او حزن امي. في الحقيقة كنت ميالاً للشك بأن سبب صمت المعلم هو احتقاره لطلبي. قلت: «من السهل جداً ان يكتب المرء الرسائل، لكن في الواقع، لايستطيع ان يدبر اموراً كهذه بواسطة البريد. يجب ان اذهب الى طوكيو وان ابحث بنفسي.»

«لكن، وابوك على هذا الحال، ليس بوسعك ان تعرف الوقت الذي تكون فيه قادراً على الذهاب الى طوكيو.»

«انا لاانوي الذهاب الى طوكيو. انما انوي البقاء هنا، الى ان نعرف ماذا سيكون من شأنه.»

«وهذا مااقوله انا. من ذا يفكر بالذهاب الى طوكيو في وقت كهذا، حينما يكون هو مريضاً على نحو حاد؟»

لاول وهلة شعرت بالاسف من اجل امي التي فهمت شيئاً قليلاً. بعد ذاك، بدأت اتساءل لماذا هي اختارت وقتاً كهذا وأعادت طرق مسألة مستقبلي. اما انا نفسي فقد كنت قادراً ان انسى مرض ابي لحظة اولحظتين وان اقرأ وافكر في معتزلي في الغرفة. لكنني تساءلت هل كانت امي تمتلك القدرة نفسها في الامتناع عن التفكير بأبي المريض فترة وجيزة وان تقلق بالها بأمور أخرى؟ لقد بدأت امي تتحدث مرة أخرى:

«في الحقيقة. . . .»

«في الحقيقة لايسعني الا ان افكر بالراحة الكبيرة التي سيحظى بها ابوك لو انك استطعت ان تجد عملاً. طبعاً، من الجائز ان يكون الوقت متأخراً جداً الآن. لكن كما ترى، انه لايزال يستطيع الكلام دون اية صعوبة، وان تفكيره صاف تماماً. افلا تكون ابناً باراً وتحاول ان تجعله سعيداً بك قبل ان يسوء حاله؟»

لكن المؤسف في الامر ان ليس بوسعي ان اكون ذلك الابن البار الذي رغبت امي بان اكونه. فانا لم اكتب للمعلم حتى سطراً واحداً.

*

كان ابي يطالع الصحيفة في السرير عندما وصل اخي الاكبر. وكان من عادة ابي دائماً الا يدع شيئاً يمنعه من القاء ولو نظرة على صفحات الجريدة. غير ان الضجر الناشىء عن انكفائه في الفراش قد جعله اكثر التصاقاً بها من اي وقت آخر. ولم تعترض امي ولم اعترض انا على ذلك بقوة، ظناً منا بأن من الافضل ان نتركه يمارس هوايته المفضلة. قال اخي لابي: «لانني سعيد بأن اراك تبدو سليم العافية. لقد جئت الى هنا وكل ظني بأنك مريض حقاً، لكن تبدو، في الحقيقة، في صحة جيدة.»

لقد بدا لي اخي مبتهجاً جداً، وبدت لي نبرته الفرحة في غير موقعها. اما فيما بعد، عندما ترك ابي واختلى بي، بدا شديد الاكتئاب. قال: «يجب الا يقرأ الصحيفة بهذا الشكل.»

«ولا انا ايضاً اعتقد بذلك، لكن ماذا أستطيع ان افعل؟ انه يصّر

على السماح له برؤيتها . »

فأصغى اخي، الى اعذاري بصمت . ثم قال : «انني اتساءل ان كان يفهم مايقـرأ؟» بدا لي انـه انتهى الى قرار بأن المـرض قد بلّد ذهن ابي الى حد بعيـد . قلت : «بـالتأكيـد انه يفهـم بدقة جيدة . اجل ، قبل فترة قصيـرة حدثتـه عن اشياء مختلفة لمدة عشرين دقيقة تقريباً ، وكان جلياً في حينـه بأنـه يمتلك قواه العقليـة امتلاكاً تاماً . ومن الممكن ، اذا ظل على هذا المستوى ، ان يدوم بقاؤه معنا فترة اطول . »

امـا زوج اختي الـذي وصـل تقريباً في الوقت نفسه الذي وصل فيه اخي ، فقـد كان من اكثـرنـا تفـاؤلاً . وقـد سألـه ابي اسئلة عديـدة عن اخـتـي ، ثم قال : «في مثـل حالتهـا يكـون من الحكمـة تجنيبهـا المـزعجـات كالسفـر بالقطـار . ولـو كانت قد ازعجت نفسها بالمجيء لرؤيتي ، لكنت قلقاً عليها اكثر مني سروراً بها . » ثم اضاف : «على أية حال ، بوسعي دائمـاً ان ازورهـا بنفسي عنـدمـا تتحسن صحتي ، وان ألقي نظرة ملّية على الطفل . »

كان ابي هو اول من اطلع على خبـر وفـاة الجنـرال (نـوغي) .[1] في الصحيفة . قال : «واحزناه! واحزناه!»

ونحن الذين لم نطلع على الاخبار بعد ، قد أجفلنا ندبه .

قال اخي فيما بعد : «لقد ظننت حقاً بأنه قد جُنَّ اخيراً . »

١ـ لاحظ مقدمة المترجم الانكليزي . هـ . م .

ووافقه زوج اختي: «يجب ان اقول بأنني دُهشت جداً.»

في ذلك الوقت كانت الصحف مليئة بأخبار غير اعتيادية، ولذلك كنا نحن ابناء الريف ننتظر وصولها بفارغ الصبر. كنت اقرأ الاخبار بجانب سرير ابي مراعياً ألا ازعجه، واذا لم أفعل هذا، فأنني الجأ الى غرفتي بهدوء، وهناك أطالع الصحيفة من البداية الى النهاية. ولفترة طويلة لازمتني صورة الجنرال (نوغي) ببدلته الرسمية، كما لازمتني صورة زوجته وهي بزي سيدة بلاط.

لقد استفزنا النبأ المحزن كما تستفز الريح الحادة الاشجار والعشب النائم في اقصى ارجاء الريف. كان الحدث مازال طرياً في اذهاننا، حينما وصلتني، ويالدهشتي، برقية من المعلم. وفي مكان تنبح فيه الكلاب عند مرآى بدلة غربية الطراز، كان وصول البرقية حدثاً عظيماً. وبدا ان امي، التي سُلمت البرقية اليها، قد فكرت بأن من الضروري ان تدعوني الى مكان منعزل في البيت قبل ان تسلمني اياها. ولاحاجة الى القول بأنها بدت مجفلة تماماً.

«ماذا فيها؟» قالت وهي واقفة الى جانبي، وانا افضُّ غلافها. كانت رسالة بسيطة مفادها انه يرغب في رؤيتي اذا كان ذلك ممكناً، وهل سأذهب؟ فرفعت رأسي والحيرة تغشاني. فطرحت امي تفسيراً: «انا واثقة بأنه يريد ان يراك حول مسألة العمل.» ففكرت ربما كانت امي على صواب. ومن ناحية أخرى لم أستطع ان أصدق تماماً بأن المعلم اراد ان يراني لذلك السبب. على أية حال، لم استطع، وانا الذي بعثت في طلب اخي وزوج أختي، ان اترك ابي المريض

واذهب الى طوكيو. فقررت انا وامي بأن أرسل الى المعلم برقية اعلمه فيها بأنني لااستطيع المجيء. لقد شرحت بأيجاز بأن حالة ابي أخذت تسوء اكثر فأكثر. مع ذلك شعرت بأنني مدين له بشرح اكمل. وفي ذلك اليوم نفسه كتبت رسالة له اعلمه فيها بجميع التفاصيل. اما امي التي كانت على قناعة راسخة بأن المعلم قد فكّر لي بوظيفة، فقد قالت بنبرة مليئة بالحزن، «من المؤسف ان يقع هذا في مثل هذا الوقت.»

*

كانت الرسالة التي كتبتها طويلة جداً. وظننا كلانا، انا وامي، بأن المعلم سوف يكتب رداً في هذه المرة. وبعد ان بعثت رسالتي بالبريد بيومين وصلتني برقية أخرى. لقد ذكرت البرقية بأن لاضرورة لذهابي، ولاشيء غير ذلك. فأطلعت امي عليها. فقالت: «اعتقد بأنه سيكتب لك عن ذلك عما قريب. ولم يخطر على بال امي ابداً بأن من الجائز ان يكون لدى المعلم شيء اخر غير الاهتمام بحياتي المستقبلية، عندما بعث ببرقيته الاولى الي. ومع انني فكرت بأن من الممكن ان تكون امي على صواب، الا انني لم استطع الا ان اشعر بأن ليس من شيمة المعلم ان يذهب الى حد ازعاج نفسه في ايجاد عمل لي. وقلت مشيراً الى البرقية الثانية.

«بالطبع ليس من الممكن ان يكون المعلم قد تسلّم رسالتي بعد. وعليه فقد ارسل هذه دون ان يكون قد قرأ الرسالة.»

فأصغت امي بالجد كله عندما ذكرت هذه الحقيقة الجلية. قالت بعد شيء من التفكير الرصين، «نعم، هو الامر كذلك.» ولا حاجة للقول،

بأن حقيقة كون المعلم لم يتسلم رسالتي بعد عندما ارسل برقيته الثانية، ليست دليلاً على السبب الذي من اجله ارسل البرقيتين بأية حال.

وفي ذلك اليوم لم نعاود الحديث عن المعلم وبرقيتيه، لاننا كنا بانتظار الطبيب المناوب ان يأتي بصحبة الطبيب الاقدم في مستشفى المدينة.واتذكر بأن الطبيبين قررا، بعد فحص ابي، أن من الضروري اعطاءه حقنة شرجية.

وفي الايام القليلة الاولى، بعد ان أمره الطبيب بالبقاء في الفراش، وجد ابي مضايقة لاسيما في عدم الذهاب الى الحمام. لكن بدا انه قد فقد تدريجياً احساسه المألوف بالاحتشام. وكلما زادت حالته سوءاً، صار اكثر تحللاً من الحشمة. واحياناً بدا انه فقد كل إحساس في مسألة الوظائف الجسدية.

وببطء تضاءلت شهيته للطعام. وحتى عندما كان يرغب بأكله، كان يجد انه يستطيع ان يزدرد مقداراً صغيراً منها فقط. وكذلك خارت قوته ولم يعد بوسعه ان يمسك بالصحيفة التي كان يحبها كثيراً. وبقيت نظارتاه، اللتان لاتزالان موضوعتين الى جانب وسادته، في غلافهما الاسود دائماً. وحينما كان يأتي صديق طفولته الذي نسميه «ساكو-سان» والذي يقيم على مبعدة حوالي ثلاثة اميال عن منزلنا، ليراه، كان يدير نحوه عينيه الباهتتين ويقول: «اوه، هو انت، ياساكو-سان.» «انه لطف منك ان تاتي ياساكو-سان. انني احسدك على صحتك الجيدة. اما انا فقد انتهيت.»

«اسمع الآن، يجب الا تقول مثل هذه الاشياء. لعلك تعاني من مرض خفيف، وهذا صحيح، لكن ما الذي تشكو منه حقاً؟ لك ابنان يحملان درجات جامعية، اليس كذلك؟ انظر الي. فزوجتي قد ماتت، ولا اولاد لي. انني أحيا حياة لاجدوى منها. ربما انا اتمتع بالصحة، لكن ما الشيء الذي اتوق اليه؟»

بعد يومين او ثلاثة ايام من زيارة ساكو ـ سان، أعطي ابي الحقنة الشرجية. كان ابي مسروراً اذ قال بأنه بفضل الطبيبين قد شعر بالارتياح مرة اخرى. وصار اكثر ابتهاجاً، كأنه استعاد الثقة بقدرته على الشفاء. وسواء اوهمت امي بأنه قد تحسنَّ حقاً، او انها كانت تسعى فقط الى تشجيعه، لاادري، لكن على اية حال، قد اخبرته عن البرقيتين من المعلم وحدثته بما يعني ان وظيفة تهيأت لي في طوكيو كما كان يأمل. كنت آنذاك جالساً الى جانب امي، ومع انني شعرت بالضيق لكنني لم استطع ان اقاطعها بأية حال، وعليه اصغيت اليها بصمت. وبدا ابي مسروراً. وقال زوج اختي، «هذا شيء جيد جداً.» وسأل اخي: «لكن الا تعرف بعد ما هو نوع هذه الوظيفة؟»

كان الوقت قد فات لكي اقول الحقيقة. وكانت تنقصني الشجاعة. فعرضت تلميحه غامضة، وقد بلغت حداً من الغموض لم اعرف انا نفسي معناها. وتركت الغرفة فجأة.

*

لقد تفاقم مرض ابي للحد الذي بات فيه الموت وشيكاً، وفي كل ليلة كنا نذهب الى النوم مفكرين، «هل سينتظر الموت يوماً آخر ام

سيحل الليلة؟»

لم يكن يعاني من ألم شديد. ولذلك اغنانا عن التوتر الناجم عن مراقبة المعاناة. ومن هذه الناحية كانت العناية به عملاً سهلاً نسبياً. صحيح، كان يسهر احدنا، بالتناوب كل ليلة، ليراقبه، الا ان البقية منا كانوا احراراً في الذهاب الى النوم في وقت معقول.

ولقد اتفق لي في احدى الليالي انني وجدت صعوبة في الذهاب الي النوم. وبينما كنت ممدداً في فراشي، خُيل الي انني اسمع صوتاً خافتاً لحشرجة صادرة عن ابي. وبغية ان اتأكد من عدم حصول ما يريب، فقد نهضت وذهبت الى غرفته. كانت نوبة امي للسهر في تلك الليلة. لقد وجدتها نائمة على الارضية الى جانب سريره ورأسها تتوسد ذراعها المطوية. كان ابي ساكناً تماماً، كأن احداً قد هبط به على مهل الى دنيا السبات العميق. وبلا ضجيج عدت الى فراشي.

كنت واخي ننام تحت كِلّة واحدة. اما زوج اختي، الذي ربما عُدَّ ضيفاً، فقد نام في غرفة مستقلة لوحده. قال اخي، «ان من الصعب شيئاً ما بالنسبة لـ ـ سيكي سان ـ المسكين ان يمكث هنا. لقد فارق بيته لايام عديدة لحد الآن. كان «سيكي» هو كُنية زوج اختي.

قلت: «لكنه ليس كثير الشغل جداً. ومن المحتمل ان لطفه في البقاء هنا راجع الى هذا السبب. ومن المؤكد ان مكوثك غير ملائم لك اكثر من مكوثه. وحتماً انت لم تتوقع البقاء هنا طويلاً.»

«هذا صحيح، لكن ليس بوسع المرء ان يفعل شيئاً في هذا الصدد. ففي وقت كهذا لايقدر المرء ان يقلق نفسه بشؤونه الخاصة.»

وقبل ان ننام، اعتدنا ان نتحدث هكذا، ونحن راقدان في الفراش. وقد فكرنا، كلانا، بأن لا أمل لأبينا في الحياة. وأحياناً كانت تسيطر على ذهنينا فكرة فحواها، انه مادام مصيره محتوماً، فمن الخير له لو حُمَّ اجله عاجلاً. واذا جاز التعبير فقد كان الابنان ينتظران موت ابيهما. اما نحن، كأبنين، فلم نستطع بكل ما تقتضيه اللياقة ان نفصح جهراً عن افكارنا، ولو ان كل واحد منا كان يعرف تماماً الشيء الذي كان يفكر به الآخر. قال لي أخي، «يبدو ان الوالد يصرُّ على ان يكون أحسن.»

ولم يكن رأي اخي دون اساس نهائياً. وفي كل مرة كان يزور فيها جارٌ بيتنا، كان ابي يصر دائماً على رؤيته. وحينذاك كان يعبر للزائر بثقة عن اسفه لعدم قدرته على اقامة حفل التخرج على شرفي حسب ما كان مخططا له. وأحياناً كان يضيف بأنه عندما يتحسن، فمن المؤكد ان الزائر سوف يتلقى دعوة أخرى منه.

«كان شيئاً صحيحاً أن أُلغي الحفل» هذا ما قاله أخي، مذكراً اياي بتجربته التعسة.

«انت شخص محظوظ جداً. اما بالنسبة لي، فقد كان حفلي فظيعاً.» فأبتسمت بمرارة عندما تذكرت ما أنطوت عليه تلك الامسية من جلبة وعربدة. وتذكرت بمرارة كيف كان ابي يدور على الضيوف ويقسرهم على الاكل والشرب.

لم يكن بيننا قط كثير من الحب الاخوي. فلطالما تشاجرنا حين كنا صغاراً، وبما أنني كنت الاصغر، فقد كنت دائماً اخرج من الشجار

دامع العينين. والحقيقة الاخرى ان اختلاف منزعينا في الدراسة الجامعية دليل على اختلاف شخصيتينا. وحينما كنت في الجامعة، لاسيما بعد التقائي بالمعلم، كان من عادتي ان انظر الى اخي عن بُعدٍ كأنه نوع من انوع الحيوانات. وكان آنذاك يقيم بعيداً عني بالفعل، وان احدنا لم ير الآخر لسنوات عديدة. لقد غربتنا المسافة والزمن. مع ذلك، عندما التقينا مرة ثانية بعد فراق طويل، وجدنا نفسينا منجذبين الواحد للاخر بفعل شعور اخوي بدا انه جاء طبيعياً، لاادري من اين. ولا ريب ان ظروف اجتماعنا لها علاقة كبيرة بذلك. لقد شبكنا، اذا جاز القول، ايدينا فوق جسد محتضر لشخص كان اباً لكلينا.

سأل اخي، «ماهي خططك للمستقبل؟» فأجبته بسؤال:

«انني أتساءل ماذا تقرر بشأن ملكية الاسرة؟»

«ليست لدّي فكرة. فالوالد لم يقل شيئاً بعد بهذا الصدد. فيما يتعلق بالنقد، لااعتقد بان ما نملكه منه ذو قيمة مالية كبيرة.»

اما بالنسبة لامي، فقد انتظرت على مضض وصول رد من المعلم. كانت تقول مؤنبة: «الم تسمع منه بعد؟» سأل أخي: «من هو المعلم الذي طالما أسمع عنه؟»

قلت: «عجباً! لقد أخبرتك عنه قبل بضعة ايام فقط.»

لقد تضايقت منه لنسيانه بسرعة لما اخبرته به جواباً على اسئلته الخاصة.

«بالتأكيد لقد اخبرتني، هذا صحيح، لكن...»

وطبعاً كان ما يقصده بقوله هو أن المعلم لايزال لغزاً في نظره. كان

المفـروض ان يكـون تأثيـر ذلك هيّناً عليَّ سواء فهم أخي المعلم اولـم يفهمه. وبرغم ذلك غضبت وبدأت افكر بأن اخي لـم يتغير كثيراً.

وحسب طريقتـه في التفكيـر، من الضروري ان يكون الرجل الذي طالمـا اشـرت اليـه بلقب «المعلم» بأعجاب، ذا شأن او سمعة. وكان ميالاً لأن يتصور ان المعلم محاضراً جامعياً في الاقل. وبهذا الصدد، لم يكن مختلفـاً عن ابي. فقـد وجد، كأبي تماماً، بأن من المستحيل ان يصـدق بأن رجـلاً غير معروف ولـم يعمل شيئاً، يستطيع ان يكون ذا أهميـة. لكن في الـوقت الـذي كان يسـارع فيه ابي الى الزعم بأن من لايمتلكون اية قابلية هم وحدهم الذين يحيون حياة تسكع، كان اخي يعتقـد بأن الاشخـاص الذين لاينتفعون من مواهبهم هم اشخاص غير جديـرين بالاهتمـام. وقال: «هذه هي مشكلة الانانيين. انهم وقحون للحـد الـذي يظنـون فيـه بأن لهم الحق بأن يعيشـوا متسكعين. انهـا لجريمة بأن لايستخدم المرء أيما قابلية لديه الى أقصى حد ممكن.»

لقـد شعـرت بالاغـراء بأن اسأل اخي ان كان يعـرف ما الـذي كان يتحدث عنه حينما أستخدم كلمة «اناني». وأستمر قائلاً: «لكن يجب الا يتذمر المرء. فلحسن الحظ، يظهر انه عثر على عمل لك. والوالد مسرور بذلك.»

ومن دون كلمة مؤكدة من المعلم، كان من الصعب عليَّ ان أشارك اخي تفـاؤلـه بخصـوص مستقبلي. لكنني لـم أمتلك الشجاعة لقول ما جال في خاطري حقاً. في الواقع كانت أمي مندفعة جداً حين اعلنت عن استعـداد المعلم لمسـاعـدتي، غيـر ان الـوقت كان متأخـراً جداً

بالنسبة لي لأن اقول ذلك. وكنت متلهفاً كأمي لأن اسمع من المعلم. وتمنيت ان تكــون الــرسـالـة، اذا ماوردت، في مستـوى طمـوحـات عائلتي. لقد فكرت بأبي الذي كان قريباً جداً من الموت، وبأمي التي أرادت بمـا بقي لديهـا من أمـل ان تمنحـه أقصى ما بأستطـاعتهـا من الـراحـة، وبأخي الـذي بدا يفكـر بأن ليس من الانسـانية في شيء ان لايعمــل المـرء من اجـل عيشـه، وبـزوج اختي، وبخـالي، وسألت نفسي، «مـاالـذي سيفكـر به الجميع عني اذا لم يفعل المعلم شيئاً؟» وان الشيء الذي كان غير مهم في نظري، بدأ يقلقني جداً.

وعندما تقيأ ابي مادة غريبة، صفراء اللون، تذكرت تنبيهات المعلم وزوجتـه. قالت امي، «لقـد قضى وقتـاً طويـلاً ممـدداً في فراشه، فلا عجب اذا ما اضطـربت معـدتـه.» ولم يكن بوسعي ان أحبس الدموع في عيني، لما نظرت اليها. انها لم تفهم الا قليلاً.

وفي الغـرفة الصباحية التقيت انا واخي. قال: «هل سمعت؟» كان يسأل ان كنت قد سمعت بالذي قاله الطبيب له قبل مغادرته. ولم تكن هنـاك ضرورة بأن يضيف اخي شيئـاً، لانني عرفت. قال، «هل تعتقد انك تستطيع ان تستقر هنا وان ترعى شؤون البيت؟» لم انطق بشيء. وواصل اخي: «من العسير على الوالدة ان تدبر شؤون البيت بنفسها، أليس كذلـك؟» ان فكـرة انسـلالي ببطء برائحة الارض العالقة بي قد ضايقته قليلاً.

«اذا كان كل الذي تريده هو مطالعة الكتب، فبوسعك ان تفعل هذا على خيــر ما يرام هنـا. أضـافـة الى ذلـك، ليس عليـك ان تؤدي اي

عمل . وأعتقد ان الحياة سوف تلائمك جداً . »

قلت، «لكونك الاخ الاكبر، سيكون من الانسب لو انك جئت الى هنا . » فقال مغتاضاً، «كيف استطيع ان افعل شيئاً كهذا؟» لقد عرفت، ان اخي الطموح، كان مقتنعاً تماماً، بأن وظيفته الواعدة قد بدأت الآن .

«حسناً، اذا لم ترد ذلك، فأعتقد ان بأستطاعتنا دائماً ان نطلب من خالنا ان يدبر لنا امورنا . لكن، مع ذلك، ان احداً ما يجب ان يرعى الوالدة . وانها يجب ان تعيش اما معك او معي . » قلت، «تلك هي المشكلة . هل انها ستوافق قطعاً على ترك هذا البيت؟»

وهكذا، وبينما كان الوالد لايزال على قيد الحياة، تحدث الاخوان عما سيفعلانه بعد وفاته .

*

بدأ والدي يهذي . كان يقول، «هل سيغفر لي الجنرال نوغي؟ كيف يتسنى لي ان اوجهه؟ اجل، ياجنرال سأكون معك قريباً جداً . » وعندما كان ابي يقول اشياء كهذه، كان الخوف يركبها قليلاً، وكانت تطلب منا ان نتحلق حول سريره . وكان ابي ايضاً، كلما فاق من هذيانه، يريد الجميع ان يكونوا الى جانبه لكي لايشعر بالوحشة . وكان يريد أمي قبل اي واحد آخر . كان يجيل بصره في الغرفة، واذا لم يجد لها اثراً فيها، كان يسأل واثقاً، «اين اوميتو؟» وحتى ان لم يقل ذلك، كانت عيناه تطرحان السؤال . وغالباً ماكنت انهض وافتش عنها . عند ذاك كانت تترك عملها وتدخل حجرة المريض قائلة، «اما من شيء

تريده؟» وهناك اوقات لم يفه فيها بحرف، بل كان يكتفي بالنظر اليها. وهناك اوقات أخرى كان يقول فيها شيئاً رقيقاً غير متوقع، مثل، «اوميتو، لقد سببت لك ازعاجاً كبيراً.» وبغتة كانت الدموع تملأ عيني امي. فيما بعد، كانت تتذكر كيف انه صار مختلفاً عما كان عليه في الايام الماضية وتقول، «بالطبع انه يبدو يائساً الآن، لكنني أستطيع ان اقول لكما، انه كان مخيفاً.»

ومن بين الحكايات التي كانت مولعة بسردها هي الحكاية المتعلقة بصدِّه اياها بعصا المكنسة. وغالباً ماكنّا قد استمعنا الى هذه الحكاية من قبل، لكننا استمعنا لها الآن بمزيد من الاهتمام، وكأن الحكاية تذكار يستحق الاعتزاز.

وحتى عندما ألقى الموت بظله الرمادي الغامق على عيني ابي، فأنه لم ينّوه بشيء الى وصيته.

قال اخي، «الا تعتقد أننا يجب ان نتكلم معه عنها قبل فوات الاوان؟» قلت، «حسناً، لاادري.» لم اكن واثقاً ان من الصحيح ان نُقسر ابانا على النظر في هذه المسألة في تلك المرحلة. في النهاية ذهبنا الى خالنا طلباً للنصيحة، فتردد هو ايضاً.

«بالطبع، اذا كان في ذهنه أي شيء عن الموضوع، فمن المؤسف ان نتركه يموت دون ان يخبرنا بما يجول في ذهنه. ومن ناحية أخرى، لربما يكون خطأ منا لو اثرنا الموضوع.»

وقبل ان نتوصل الى قرار، غاب ابي عن الوعي. وأخفقت امي، بطريقتها المألوفة، ان تلاحظ الذي حصل فعلاً. في الحقيقة كانت

مسرورة جداً، ظناً منها بأن ابي كان ينام نوماً هادئاً. قالت، «حمداً لله انه لازال قادراً على النوم بهذا الشكل.» بوسعنا ان نسترخي الآن.»

وكان ابي يفتح عينيه بين حين وآخر وكان يسأل فجأة عما جرى لفلان، مشيراً على الدوام الى الشخص الذي كان بجانب سريره في اخر فترة لصفائه الذهني. لقد بدا بأن ادراك ابي، الشبيه بخيط ابيض نافذ في قماشة سوداء، موصول غير انه متقطع هنا وهناك ببقع من الظلام التام. فلا عجب اذا ما حسبت امي اغماءته نوماً طبيعياً.

وابتدأ ابي يفقد قدرته على الكلام. وفي الغالب، كانت جمله تتحول الى غمغمة غير مترابطة منطقياً، فنخفق تماماً في فهم ما كان يحاول قوله. ومهما يكن، كان يبدأ كل جملة بصوت اقوى مما كان يعتقد المرء ان بأمكان مريض مثله ان يقدر عليه. فضلاً عن ذلك، لم يعد بمقدوره ان يسمع جيداً، فكنا مضطرين ان نتكلم بصوت عالٍ في اذنه.

«هل تودُّ ان أبرّد رأسك؟»

«اجل.»

جددت الماء في الوسادة المطاطية، ووضعت كيسا فيه ثلج مجروش منذ وقت قريب فوق جبهته. وضعت الكيس على مهل لئلا توجعه الاطراف المدببة للثلج. وفي تلك اللحظة، دخل اخي الغرفة قادماً من المجاز، ومن دون ان ينطق بكلمة، سلّمني رسالة. وبأندهاش عظيم، اخذت الرسالة بيدي الطليقة. كانت ثقيلة جداً، واكبر من ان يسعها ظرف اعتيادي. وكانت ملفوفة بقطعة ورق كتابة

سميك، وقد غُلفت بعناية وخُتمت. وفي التو، لاحظت بأنها رسالة مسجلة. وحينما قلبتها، رأيت اسم المعلم مكتوباً بيد مرتبكة. ولما كنت جد منشغلاً بأن افض الرسالة وقتذاك، فقد دسستها في جيبي.

*

في ذلك اليوم، بدت حالة أبي على اشد ما تكون عليه من السوء. فتركت مكاني بجانب سريره وقصدت الحمام، وفي طريقي اليه التقيت بأخي في المجاز.

«الى اين انت ذاهب؟» قال اخي، وقد بدا كحارس خافر.

«انت تعلم، انه يبدو في حالة سيئة. ويجب ان تحاول البقاء الى جانبه أطول ما يمكن.»

كان اخي مصيباً تماماً. فرجعت الى غرفة المرض، تاركاً الرسالة في جيبي غير مفتوحة. وفتح ابي عينيه وسأل امي عن اسماء جميع اولئك الجالسين من حوله. وعند ذكر كل اسم، اومأ ابي برأسه، وحينما كان يبدو عليه انه لم يسمع، اعادت عليه امي الاسم بصوت عالٍ، قائلة، «أتسمع؟»

قال ابي، «لقد كنتم رفيقين بي جداً. اشكركم كثيراً.»

ثم مالبث ان غاب عن الوعي. وبصمت راقبه الاشخاص الجالسون من حوله وهو يحتضر لفترة قصيرة. بعد ذلك نهض احد افراد المجموعة ودخل في الغرفة المجاورة. وبعد فترة قصيرة نهض آخر وغادر الغرفة. اما الثالث الذي غادر، فكنت انا شخصياً. فقد رجعت الى غرفتي وفي نيتي ان أفتح الرسالة هناك. ولا ريب، كان من السهل

عليَّ ان افعل هذا بينما كنت جالساً مع ابي. غير ان الرسالة، بالحكم عليهـا من ثقلهـا، كانت طويلة جداً على نحو واضح، ولذلك لم يكن ميسـوراً لي ان اقـرأها من اولها الى اخرها في غرفة المرض بلا مقاطعة من احد. لذا، كنت انتظر فرصة كهذه لقراءتها في غرفتي من دون مضايقة.

وبحـركـة عنيفـة تقـريبـاً مزقت ورق الغلاف السميك الذي احتوى على الرسالة. وكان ظاهراً ان الرسالة مكتوبة بخط اليد الانيق، وكانت الاحـرف مرسـومـة بين خطـوط عمـودية. فسّويت الصفحات المطوية طيتين لتسهيل ارسالها بالبريد.

لم يكن امـامي الا ان استغـرب من هذا الـذي كتبـه المعلم بهـذه الافاضة. على أية حال، كنت على وشك أن اقرأ الرسالة بدقة. غير ان ذهني ظل مشـدوداً الى غرفـة المـرضى. وراودني شعـور بأن امـراً ما سيحصـل لابي قبـل ان استطيـع انهاء قراءة الرسالة. في الاقل، كنت موقنـاً ان اخي او امي اوخالي سيطلبـون حضـوري. وفي هذه الحـالة القلقة، قرأت الصفحة الاولى:

«لقـد طلبت مني مرة ان اخبـرك عن ماضيّ. في حينه لم تكن لدّي الشجاعة بأن افعل ذلك. اما الآن، فأعتقد بأنني قد تحررت من القيود التي منعتني عن اخبارك بالحقيقة عن نفسي. وان الحرية التي امتلكها الآن انما هي من النوع الدنيوي والجسدي الذي لن يدوم طويلاً. واذا لم استطع ان افيد منها ما دمت قادراً على ذلك، فلن تتوافر لي الفرصة مرة ثانيـة بأن انقـل اليـك ما تعلمتـه من تجـربتي الخـاصة، كما انني

سأحنث بوعدي لك. وبما ان الظروف قد منعتني عن اخبارك بقصتي شخصياً، لذا قررت ان اكتبها لك.»

قرأت الى هذا الحــد وادركت سبب طول الـرسـالـة. ومن بدايتهـا تقريباً عرفت بأن المعلم لم يزعج نفسه بالكتابة عن مهنتي المستقبلية. ومـا أقلقني حقـاً هو ان المعلم، الـذي كان يكـره ان يكتب، قد حمل نفسـه على كتـابـة مثل هذه الرسالة الطويلة. وسألت نفسي: لماذا لم ينتظر الى ان اعود الى طوكيو مرة أخرى؟

وكـررت مع نفسي، «انـه حر الآن، ولن يكـون حراً ابداً مرة ثانية،» وحاولت بيأس ان افهم معنى كلماته، وفجأة أصابني قلق.

وحاولت ان استمر بقراءة المزيد، لكن قبل ان استطيع فعل ذلك. سمعت صوت اخي يناديني من غرفة المرضى. فنهضت خائفاً وهُرعت على أمتداد المجاز الى المكان الذي تجمع فيه الآخرون. وكنت على أستعداد ان اعرف بأن نهاية والدي قد حانت.

*

وفي غضـون غيـابي عن الغـرفة وصل الطبيب،وفي محاولة منه لكي يجعـل ابي في حالـة راحـة، كان على وشـك ان يعطيه حقنة شرجية. وكـانت الممـرضـة، المـرهقـة بسهـر الليلة المنصرمة، قد ذهبت الى الغـرفـة المجـاورة لكي تنـام.وبـدا اخي الـذي لم يعتد على تقديم يد المسـاعـدة في مثـل هذه المنـاسبـات في حيـرة من امـره. فلمـا رآني ادخـل، قال، «هيـا، أعنّـا» ومـا لبث ان جلس بسرعة. فحللت محله وساعدت الطبيب.

وبـدا ان حالـة أبي قد تحسنت قليـلاً. وانتظر الطبيب نصف ساعة

أخـرى او اكثـر، وحينمـا اطمأن لنتـائج الحقنة قام ليغادر. وقد حرص على ان يخبرنا قبل مغادرته بأن لانتردد في استدعائه اذا ما حصل اي شيء.

ومـرة أخـرى تركت الغـرفـة وجـو الموت يزحف عليها ورجعت الى غرفتي. وهنـاك حاولتُ ان اقـرأ الـرسـالة مرة ثانية. لكنني كنت عصبياً جداً. ومـا ان جلست الى منضـدتي حتى راودني الخوف من ان اسمع صوت اخي العـالي داعيـاً أيـاي الى غرفـة المـرض، ولـربمـا للمـرة الاخيرة. وقلبت الصفحات آلياً بلا استيعاب لمعنى الحروف المكتوبة بأتقان على امتداد خطوط مسّطرة، فلم استطع ان افهم مغزى الرسالة. وفي الاخيـرة وصلت الصفحـة الاخيـرة وكنت على وشـك أن أطـوي الـرسـالـة مرة ثانيـة وان أضعهـا على المنضدة، وفجأة اجتذبت نظري جملة قريباً من خاتمة الرسالة.

«في الـوقت الـذي ستصلك فيـه هذه الـرسالة، من المحتمل انني سأرحل عن هذا العالم، وعلى الارجح سأكون ميتاً.»

فصعقت،وتجمـد قلبي فجأة بعـد ان ظل مفعمـاً بالقلق الى تلك اللحظـة. وبسرعة بدأت اقلّب الصفحات من بدايتها، قارئاً جملة هنا وجملة هناك. وحاولت يائساً أن أتشبث بالكلمات التي لاحت متراقصة امـام عيني. وجـل ما اردت ان اعـرفـه في تلك اللحظـة هو ان المعلم مازال حيـاً. وعنـدئـذٍ لم أقم وزنـاً لمـاضي المعلم، هذا المـاضي الغـامض الـذي وعـد بأخبـاري عنه. لكنني لم استطع العثور على ما كنت افتش عنه، فأعدت طي الرسالة بحنق.

رجعت الى باب غرفــة ابي لكي أعـرف ماذا صار من امـره. كانت الغرفة ساكنة على نحو عجيب. وكانت أمي جالسة لوحدها الى جانب السـريـر، وقـد بان عليهـا التعب واليأس. فأشـرت اليهـا، ولما أقبلت نحوي سألت، «كيف حاله؟» قالت، «يبدو انه صامد.» فتوجهت نحو ابي وقّـربت وجهي منــه وقلت: «كيف تشعـر؟» فأومأ برأسـه، ثم قال بوضوح تام، «اشكرك.» بدا ذهنه صافياً على نحو غير متوقع.

ومـرة ثانيـة رجعت الى غرفتي. نظـرت الى ساعتي وبدأت أفحص جدول رحـلات القطـار. ثم نهضت واعـدت ترتيب ملابسي ووضعت رسـالـة المعلم في جيبي وخـرجت من الباب الخلفي. وجريت صوب بيت الطبيب وكأنني تحت كابوس. كنت أريد ان اسأل الطبيب فيما اذا كان سيبقى ابي على قيد الحياة يومين او ثلاثة ايام اخرى. وكنت أروم ان اتوسل اليه ان يُبقي ابي حياً اياماً قليلة أخرى عن طريق حقنه اوعن طريق أيـة وسيلة أخـرى تحت طاقتـه. لكن الطبيب، لسوء الحظ، لم يكن موجوداً ولم يكن لدي متسع من الوقت لكي انتظره. على اية حال. كنت مهتـاجـاً للحـد الـذي لم اسيطـر فيه على رباطة جاشي. فقفـزت الى عربـة «الـركشة» وطلبت من الحوذي بألحاح ان يسرع بي الى المحطة.

وفي المحطـة خططت رسـالـة مستعجلة الى امي واخي وطلبت من سائق العربة ان يأخذها بسرعة الى البيت. فقد فكرت ان من الافضل ان اكتب مثـل هذه الـرسـالـة بدلاً من مغـادرتي ايـاهم بلا ايـة كلمة.

وعليـه، تحت تأثيـر الـرغبـة اليائسة بأن افعل اي شيء، فقد استقللت القطـار المتـوجـه الى طوكيـو. ولمـا جلست في عربـة الدرجة الثالثة، امتلأت اذنـاي بضجيـج المحـرك. واخيـراً استطعت ان اقـرأ رسـالـة المعلم من بدايتها حتى نهايتها.

المعلم ووصيته

في هذا الصيف تسلمت منك رسالتين او ثلاث رسائل. واذا كنت اتذكر جيداً فقد طلبتَ مني في رسالتك الثانية ان أساعدك بالعثور على وظيفة مناسبة. ولما قرأتها شعرت بأن اقل ما أستطيع ان افعله هو ان اردَّ على رسالتك. لكن يجب ان اعترف بأنني لم افعل شيئاً في نهاية الامر. وكما تعلم فأن دائرة معارفي ضيقة جداً. والحقيقة ان من الصواب القول بأنني اعيش وحيداً في هذه الدنيا. فكيف اذاً يكون بوسعي ان اكون ذا نفع لك؟ على اية حال، تلك مسألة ضئيلة الشأن. الا فأعلم، انني عندما تسلمت رسالتك كنت احاول يائساً ان اقرر ما الذي ينبغي لي ان افعله بنفسي. كنت افكر، «هل يجدر بي ان اواصل العيش كما انا فاعل الآن مثل مومياء متروكة وسط الاحياء ام ينبغي ان. . ؟» وفي تلك الايام كان الخوف الفظيع ينتابني في كل مرة افكر فيها بالخيار الاخير.

كنت مثل رجل يجري الى حافة منحدر صخري شاهق وينظر الى اسفل فيرى هوة لاقرار لها. كنت جباناً. ومثل معظم الجبناء عانيت

لانني لم استطع ان احزم الامر. ولسوء الحظ، ليس من المبالغة القول بأنني لم أشعر بوجودك الا بصعوبة في حينه. وازيد على ذلك فأن مسألة من قبيل أسباب عيشك في لمستقبل كانت بلا اهمية تماماً بالنسبة لي. لم يكن يهمني ماذا تعمل. وحسب طريقتي في التفكير لم تستحق هذه المسألة كل هذه الجلبة.

ووضعت رسالتك في حامل الرسائل وواصلت القلق على قضيتي وكل الذي فكَرتُ بأنك تستحقه مني هو نظرة قصيرة متسمة بالاحتقار. وساءلت نفسي، لماذا يبدأ انسان في وضع مريح مثلك بالانتحاب من أجل عمل ولّما يمضي على تخرجه وقت طويل؟ ولانني أشعر بأنني مدين لك بتقديم شيء من التوضيح عن تصرفي، لذلك اخبرك بهذا كله. فأنا لم اكن فظاً معك عن قصد لكي أغضبك. واعتقد بأنك ستفهم ذلك عندما تقرأ رسالتي. على اية حال، كان الاحرى بي ان امحض رسالتك الاهتمام. ارجوك ان تغفر لي اهمالي.

بعد ذلك بفترة ارسلت لك برقية. ولاعلمك بالحقيقة انني اردت فقط ان اراك مرة ثانية. كما انني اردتُ أيضاً ان اخبرك بقصة ماضيّ حسب ما طلبت مني ذلك في احدى المرات. وحينما وردتني برقيتك التي تذكر فيها عدم تمكنك من المجيء الى طوكيو شعرت بخيبة امل عميقة. واتذكر انني جلست صامتاً فترة وانا احدق اليها. ولابد انك انت ايضاً شعرت بأن البرقية لم تكن كافية، لانك قد تلطفت بكتابة رسالة في اعقاب البرقية مباشرة. وقد اوضحت الرسالة تماماً السبب الذي منعك من القدوم الى طوكيو. لذلك ليس لدّي من سبب يجعلني

استاء من عدم تلبيتك طلبي . اذ كيف يسوغ لك ان تغادر بلدتك في الوقت الذي كان فيه أبوك في حالة مرضية شديدة؟

لقد كنت انا المخطيء شخصياً . كان المفروض ان اتذكر حالة ابيك في الحقيقة ، عندما بعثت البرقية لك ، فقد نسيت تماماً كل شيء عنه . لقد نسيت هذا في الوقت الذي كنت انا الذي حذرتك مسبقاً من خطورة مرضه . الا فأعلم ، انني انسان متناقض مع نفسه . ومن الجائز ان جزءاً كبيراً من هذا التناقض لم يكن شيئاً طبيعياً في شخصيتي ، لولا تأثير ذكرى ماضيّ عليَّ . على اية حال ، فانا اعلم تماماً بفشلي . ويجب ان تغفر لي ذلك .

عندما قرأت رسالتك ـ رسالتك الاخيرة لي ـ ادركت بأنني قد اخطأت . وفكرت بأن من الواجب ان اكتب لك وان اقول هذا . وقد بلغ بي الامر ان التقط قلمي ، لكنني ارجعته في النهاية الى المنضدة دون ان اكتب سطراً واحداً . والحقيقة هي ان الامور الوحيدة التي فكرت بأنها تستحق الذكر في حينه هي الامور ذاتها التي سأذكرها هنا ، وفي حينه لم يكن الوقت قد حان بعد لكتابة مثل هذه الرسالة . وكان هذا هو السبب الذي من اجله بعثت لك ببرقية بسيطة اخبرك فيها بأن لاحاجة لك في المجيء .

*

بعدئذ بدأت بكتابة هذه الرسالة . انا لست معتاداً على الكتابة ، وقد آلمني كثيراً ان اجد أنني لم اكن قادراً على وصف العديد من الاحداث والعديد من افكاري الخاصة بالحرية التي كنت ارغب بها .

وغـالبـاً ما اغريت نفسي بترك تلك المهمة وبالتالي بأن لا ابرَّ بوعدي . وفي كل مرة طرحت فيهـا القلم ظنـاً مني بعدم القدرة على الاستمرار، وجـدت نفسي قد عاودت الكتـابة قبل مضي ساعة كاملة على توقفي . ومن الطبيعي انـك قد تفسـر هذا على انـه دليـل على احساسي القوي بالالتزام . وانني لن اعترض عليك بهذا الصدد اذا ما رأيت ذلك . وكما تعلم اني عشت حيـاة انعـزاليـة ولي احتكاك ضئيل بالعالم الخارجي . وعندما انظر حولي أجد أنني بلا ألتزامات حقيقية.وسواء كان ذلك بفعل الظـروف او بفعـل تصميمي لحيـاتي الخـاصـة ، فقد عشت على هذا المنـــوال لكي اخلص حيـــاتي من اي التـــزام . لكن هذا لايعني انني لاامتلك في نفسي الشعـــور بالالتـزام نحـو الآخـرين . على العكس ، فلأنني اشعـر بهـذا شعـوراً قوياً فقد غشت حياة سلبية من هذا النمط . فانـا لست قويـاً بمـا فيـه الكفـاية لكي احتمل الآلام التي يفرضها هذا الالتـزام على الفـرد . وسـوف تعلم بعـد حين انني لو لـم التـزم بوعدي لك ، لكنت قد شعرت بعدم الراحة تماماً . وكانت الرغبة بتجنب عدم الراحة بحد ذاتها كافية لتجعلني التقط قلمي مرة ثانية .

لكن هذا لـم يكن السبب الوحيد الذي من أجله أردت ان اكتب هذه الـرسـالة . الا فأعلم ، إن السبب البسيط لذلك ، وبغض النظر عن اي احســاس بالألتـزام ، هورغبتي بأن اكتب عن ماضيّ . وما دام الماضي قد خبـرتـه انـا وحـدي ، فلعل لي عذراً اذا ما نظرت اليه ملكاً لي ، ولي وحـدي . او ليس طبيعيـاً ان ارغب بأعطاء هذا الشيء ، الذي هو ملك لي ، الى شخص آخـر قبـل ان امـوت؟ في الاقـل ، هذا هوما أشعر به

ومن ناحية أخرى، افضّل ان أرى هذا الملك بدداً في حياتي على ان أعطيه لشخص لايريده. في الحقيقة لولم يكن هناك شخص من طينتك، لما عرف اي أحد أبداً بماضيّ حتى بطريقة غير مباشرة. اذاً، لك وحدك من بين ملايين اليابانيين. أرغب ان ابوح بماضيّ. والسبب هو انك صادق، وسبب آخر هو انك قد قلت مرة بكل صدق بأنك تريد ان تتعلم من الحياة نفسها.

بلا تردد، انني على وشك ان أقحمك في ظلال عالمنا المعتمة. لكن يجب ان لاتخف. حدّق بثبات الى الظلال واقتنص ايما شيء مفيد لك في حياتك الخاصة. وحين أتحدث عن العتمة، انما اقصد العتمة الاخلاقية. لقد ولدت مخلوقاً أخلاقياً وربيت على ان اكون رجلاً اخلاقياً. وربما كانت أخلاقي حقاً مختلفة عن أخلاقية شبان اليوم. لكنها في الاقل اخلاقيتي الخاصة. انني لم أستعرها بسبب ملاءمتها لي كما تلائم البدلةُ رجلاً. ولهذا السبب فانا اعتقد انك، انت الذي يطمح الى التطور، ربما تتعلم شيئاً من تجربتي.

ولسوف تتذكر كيف اعتدتَ على محاولة النقاش معي عن الاراء العصرية. كما سوف تتذكر أيضاً موقفي منها. ومع انني لم انكر تماماً اراءك. فيجب ان اعترف بأنني لم اقدر ان احمل نفسي على احترامها. لقد كانت افكارك بلا أساس متين، ثم انك كنت اصغر من ان يكون لك رصيد من التجربة. احياناً كنت اضحك. واحياناً كنتَ تنظر لي بأزدراء. وفي الاخير طلبت مني ان أنشر ماضيّ امام ناظريك كما انشر الصورة الملتفّة. وعند ذاك احترمتك لاول مرة. لقد انفعلت

بقــرارك، وان يكن فظــاً في التعبيـر، بأن تحـوز على ذلـك الجـانب الحيــوي في روحي. كنتَ تروم ان تشق قلبي وان ترى الــدم الــذي ينســاب فيـه. آنــذاك كنتَ مفعمــاً بالحيـاة، ولم ارد ان امـوت. ولهذا السبب رفضت طلبـك وأجّلت تلبيـة رغبتك الى يوم آخر. اما الآن فأنا نفسي موشـك على ان اشق لك قلبي وان ابلل وجهـك بدمي. وسوف يرضيني، بعــد ان يتــوقف قلبي عن النبض. ان حيـاة جديـدة سوف تسكن في صدرك.

*

لم ابلغ العشـرين بعـد حينما فقدت ابوي معاً. واعتقد بان زوجتي قد ذكـرت لك مرة بأنهمـا ماتـا بمرض واحد. وكما اخبرتكَ. اذا كنتُ اتـذكـر على نحو صحيح، بما أدهشك، اي انهما توفيا في وقت واحد تقـريبـاً. وسـرداً للحقيقـة فقد أمات التيفوئيد، ذلك المرض المفزع، ابي، كما أصابت امي العدوى منه نتيجة رعايتها اياه.

كنت ابنهمـا الـوحيد. وكانت عائلتي موسرة، لذلك ترعرعت في جو من السخـاء والـدعة. وحينما اعود بذاكرتي الى الماضي لااستطيع الا ان اشعر بأنه لو بقي والداي ـ او في الاقل احدهما ـ على قيد الحياة، لكان من الممكن ان احتفظ بطبيعتي الكريمة.

لقد بقيت بعدهما فريداً ويائساً كطفل ضائع. ولم اكن ذا خبرة ولم أسبـر شيئـاً من شؤون الدنيا. وحينما مات ابي لم يكن بمقدور امي ان تكـون معـه. وعنـدمـا كانت امي تحتضـر لم يخبـرها احد بأن ابي قد مات. ولا أدري ان كانت تعلم او أنها صدّقتنا فعلاً عندما أخبرناها بأنه

كان يتعـافى . وكـل ما اعـرفـه انها طلبت من خالي ان يأخذ كل الامور على عاتقــه . وقتـذاك كنت حاضـراً . فقـد أومأت لي برأسهـا وقـالت لخـالي ، «ارجـوك ان ترعى طفلي . » ويبـدو انها ارادت ان تضيف الى قولها ، غير انها لم تفلح بأن تقول شيئاً سوى : « . . . الى طوكيو . . . » فقال خالي بسرعة ، «حسن . يجب ان لاتقلقي . »

ولعـل كيـان امي لم يستسلم للحمى بسرعة ، ولذلك قال لي خالي فيمـا بعـد مادحـاً ايـاهـا . «انهـا امـرأة شجـاعة . » ولا ادري ان كانت الكلمات القليلة هي آخر ما نطقت بها ام لا . وطبعاً كانت تعرف طبيعة مرضها المريع وان الاصابة بالعدوى جاءتها عن ابي . اما انا فلم اتأكد ابـداً إن اعتقـدت هي بأن في هذا المـرض حتفهــا . ومهمـا كانت الكلمـات التي تحـدثت بها واضحة في اثناء ارتفاع الحمى ، فانها في الغـالب لم تتـرك في ذاكـرتهـا اثـراً عنـد خمود الحمى . ولهذا السبب انا . . . لكن لابأس . ما اريد قوله هو انني منذ ذلك الوقت بدأت أظهر علامات دالة على طبيعة الشك العميق ، هذا الشك الذي لايقبل بأي شيء بلا تحليل دقيق له . ومع ان هذا الوصف السابق غير وثيق الصلة بالجـزء الـرئيس في سردي هذا ، الا انني اشعر بأنه سوف يساعدك في فهم جانب من شخصيتي . وعليه ، اقرأ كل هذه المقاطع في ضوء هذا الوصف . وقد آلت بي طبيعتي الخاصة هذه الى الارتياب ليس بنزعات الأفراد الذاتية وحسب ، بل الى الأرتياب حتى بكمال الجنس البشري قاطبــة . وعليــك ان تقــرر بنفســك الى اي حد تفـاقمت طاقتي في المعاناة . لقد انحرفت عن الموضوع كثيراً . واذا ما اخذت موقفي بنظر

الاعتبـار، فانـا حقاً هادىء تماماً. فلم اعد اسمع حتى هدير القاطرات التي يكون صوتها مسموعاً عندما يهجع بقية الناس. وكان يصلني غناء الحشـرات الحـزين من خلال ستائر النوافذ الخشبية فأشعر بأن غناءها عن قطرات الندى المنذرة بحلول الخريف. ان زوجتي تنام ببراءة في الغـرفـة المجـاورة. ويحـدث القلم في يدي خربشـة خفيفة وهو يتابع الحروف حرف بعد حرف الى أسفل الصفحة. ويكون قلبي ساكناً وانا أجلس الى منضـدتي. واذا ما بدت ضربـات حروفي أحيـانـاً سيئـة التنظيم، فيجب ان لا يشتـط بك التفكيـر بأن السبب يعـود الى حالتي العقلية. في الواقع، يجب ان تعزو ذلك الى عدم خبرتي بالقلم.

*

على إيـة حال، لم يكن لدي خيـار، انـا الذي بقيت وحيداً، الا ان أعتمد على عمي وفقاً لرغبات امي. ومن ناحيته قَبِلَ عمي بالمسؤولية الكاملة فرعى شؤوني. وكما كنت فقد رتب لي أمر الذهاب الى طوكيو.

جئت الى طوكيـو ودخلت الكليـة. وفي تلك الايام كان طلبة الكلية اكثـر عنفـاً ووحشيـة نوعـاً ما من طلبـة اليوم. فمثلاً، اعرف عن طالب تشاجر مع غلام ممّهن في احدى الليالي وآذاه برأسه اذى سيئاً بقبقابيه الخشبيين. وكـان هذا الطـالب سكـران، ولذا لم ير الغلام حينما اخذ منه قبعة الكلية في معمعة الشجار العنيف. وبالطبع كان اسمه مكتوباً بأحـرف واضحـة على رقعـة بداخـل القبعـة. وكـان الشـرطـة متهيئين للابـلاغ عنـه الى كليتـه، لكن بفضل تدخل الاصدقاء، حيل دون ان تصبـح القضيـة علنية. اما انت فقد دخلت الكلية في ايامها المهذبة،

وعليه فلابد ان تشعر بالاحتقار نحو تلك الافعال الفظة. وحينما اعود انا بالذاكرة لتلك الايام، أشعر ايضاً بأننا كنا جميعاً حمقى.

ومهما يكن من امر، فقد تميزت الحياة الطلابية آنذاك ببساطة محببة لايجد المرء ما يماثلها اليوم. وكان المصروف الشهري الذي يرسله الي عمي اقل نسبياً مما اعتاد ابوك ان يرسله اليك. (بالطبع لقد ارتفعت كلفة المعيشة عما كانت عليه في ايام حياتي الطلابية.) لكنني أتذكر بأنني لم أحتج الى مصروف اكثر مما كنت أستلم. علاوة على ذلك، كان وضعي المالي جيداً بحيث لايتوافر لي سبب لكي احسد زملاء صفي.وحينما افكر بذلك، فمن المحتمل ان عدداً كبيراً منهم كان يحسدني. واضافة الى مصروفي المنتظم اعتدت ان استلم مصروفات للحاجات الطارئة وللكتب ـ وقد كنت مولعاً بشراء الكتب ـ واحرف من اجلها بحرية.

وبما انني كنت ساذجاً، فأنني لم أثق بعمي وحسب، بل أعجبت به وحتى حسبت نفسي مديناً له. كان عمي رجل اعمال. وفي احدى الفترات، كان عضواً في جمعية الولاية ايضاً. ويبدو انني اتذكر بأنه من خلال عضويته في الجمعية قد كّون علاقات مع حزب سياسي معين. ومع انه وابي كانا اخوين الا انه يبدو بأن شخصيتيهما قد تطورتا في اتجاهين مختلفين. كان ابي رجلاً بسيطاً ومستقيماً، وكان هدفه الرئيس في الحياة الا يمس التركة التي خلّفها له اسلافه وكان يجد متعة في جلسة الشاي وفي ترتيب الورود وكان يحب قراءة الشعر. ويبدو ان الرسوم والتحف القديمة كانت تستلفت اهتمامه أيضاً. كان بيتنا في

الريف واذكر إن بائعاً من المدينة قد اعتاد ان يزور ابي جالباً معه الرسوم ومحارق البخور وما شاكل. (كانت المدينة على مبعدة ستة اميال، وفيها كان يسكن عمي.) واعتقد ان ابي كان من النوع الذي يُنعت بكونه رجلاً غنياً، وهو رجل ريفي مهذب ذو ذوق. وعليه كان يوجد تناقض بينه وبين اخيه النشط المعني بالامور الدنيوية. ومن الغريب انهما كانا مولعين تماماً احدهما بالآخر. وغالباً ما كان يتحدث ابي عن عمي بعبارات متأججة، واصفاً اياه بأنه شخص كامل وبأن صفات اخيه اسمى من صفاته. وفي احدى المرات قال لامي ولي ايضاً:

«ان المشكلة في وراثة المرء لمال ابويه، ان ذهنه يتبلد. وان من الخطل ان لايسعى المرء من اجل رزقه»

واعتقد انه قال ذلك من اجل منفعتي. في الاقل، انه وجّه لي نظرة ذات مغزى في حينه. وهذا هو سبب تذكّري لكلماته جيداً. وكيف كان بوسعي ان ارتاب بهذا العم الذي وضع ابي فيه ثقته وأعجب به كثيراً؟ ولما مات ابي وامي لم يُصبح هذا العم شخصاً يفخر المرء به، بل اصبح ضرورة.

*

ولما رجعت الى البيت في الصيف التالي، كان عمي قد سبق ان انتقل وعائلته الى بيتنا وكان هو سيد البيت الجديد. وكان هذا الامر قد رتب بيننا قبل رحيلي الى طوكيو. ومادمت لاامكث في البيت طوال الوقت، فلابد ان ترتيباً من هذا النوع كان ضرورياً. واذكر اننا حينما اتفقنا على انتقاله الى البيت وادارته لاملاكنا في غيابي، انه قال لي

بابتسامة: «بالطبع انه من ناحية اعمالي الخاصة، فالعيش في بيتي الخاص يلائمني اكثر من العيش في بيت يبعد ستة أميال عن المدينة»

كان لبيتي تاريخ طويل ولم يكن غير معروف في الاقليم. وفي الريف، ومن المحتمل انك تعرف ذلك، يكون امراً خطيراً ان فرّطت او بعت بيتاً ذا عراقة طويلة ان كان له وريث. ومثل هذه الامور لاتقلقني الآن، لكنني كنت شاباً آنذاك، وكنت موزعاً بين الرغبة في الذهاب الى طوكيو وبين الخوف من زعزعة مسؤوليتي بالارث.

وبلا حماسة وافق عمي على الانتقال الى بيتي. واصرَّ، على اية حال، ان يُسمح له بالابقاء على سكنه القديم في المدينة لكي يكون بوسعه المكث فيه انّى دعت الضرورة لذلك. ومن الطبيعي، لم تكن لدّي اية اعتراضات: اذ انني كنت مستعداً للموافقة على اي ترتيب يمكنني من الذهاب الى طوكيو.

وبمشيئة طفلٍ احببت بيتي، وعندما بارحته اشتعلت في قلبي لهفة اليه. كنت مثل مسافر، بغض النظر عن المكان الذي يرحل اليه، لايشك ابداً بأنه سيعود الى موطن ميلاده يوماً ما. لقد جئت الى طوكيو بمحض ارادتي ولم يساورني أقل شك بأنني سأعود عندما تقبل العطلة. لذا فقد درست ولعبت في المدينة الواسعة، وانا أحلم غالباً ببيتي.

لم تكن لدّي فكرة كيف قسّم عمي وقته بين المنزلين في اثناء غيابي. على اية حال. عندما وصلت، كان عمي وجميع افراد العائلة يقيمون في بيتي. واعتقد ان بعض اولاده ممن كانوا لايزالون في

المـدرسـة كانوا يقيمون عادة في منزل المدينة وكان يؤتى بهم الى بيتنا في العطل.

كان الجميـع مسـرورين برؤيتي. وكنت انا مسروراً ايضاً لأن البيت صار مكاناً بهيجاً، ومن المؤكد انه ابهج مما كان عليه في حياة والدي. لقـد اخـرج عمي ابنـه الاكبـر من غرفتي التي كان قد احتلها واسكنني فيهـا. فأعتـرضت قائـلاً بأنـه مادام البيت مكتظاً فلا ضير من بقائي في غرفة أخرى. بيد ان عمي لم يصغِ اليَّ. قال: «على اية حال، هذا بيتك.»

وعندما فكرت بأبي وامي انتابتني لحظات حزن، لكن على العموم استمتعت بصيف ماتـع مع عائلة عمي. ومهمـا يكن، كان هناك شيء واحـد ألقى بظـل خفيف على ذكـرى صيفي هذا، الا وهـو ان عمي وعمتي حاولا اقنـاعي اكثـر من مرة، انـا الذي التحقت بالكلية حديثاً، بالـزواج. وحينمـا ذكـرا لي الـزواج لاول مرة اوشكت ان اصعق، ولما ذكراه مرة ثانية رفضت التفكير في الموضوع بشدة، اما في المرة الثالثة فوجدت نفسي مضطراً الى ان اسأل عن سبب رغبتهما في مناقشة هذا الامـر. وكـان السبب الـذي طرحاه بسيطاً جداً، اذ قالا بأنني ينبغي ان اتـزوج بأسـرع وقت ممكن لكي اخلف والدي. وكنت انا نفسي تحت تأثـير انـطبـاع مبهـج، هو انني مادمت قد جئت الى البيت لقضاء العطلة، فينبغي ان يكـون كل شيء على ما يرام. وبـالطبـع كنتُ على ألفة تامة مع عادات الـريف لم يفتني معهـا ان الاحـظ معقـوليـة رغبة عمي بأن اتـزوج وأستقـر وريثـاً لابي. وفضـلاً عن ذلـك، لااظن بأنني كرهت الفكـرة حقـاً، غيـر انني كنت قد بدأت دراسـاتي في الكليـة منـذ عهد

قريب، ولم يكن الامر في نظري اكثر واقعية من مشهد بعيد يُنظر اليه من طرف منظار غير سليم.

*

لقد نسيت كل شيء عن موضوع الزواج. وبدا لي ان لا أحد من الشباب في مجموعتي كان متخلقاً بالعادات المنزلية. فقد بدا ان الجميع كانوا يفعلون كما يشاؤون، وقد كانوا جميعهم، قدر ما اعلم، عزاباً. ومن الممكن لو تفحص المرء تواريخهم الشخصية بعناية لاكتشف بأن البعض منهم قد أقسروا على الزواج بالرغم من تصرفاتهم المستهترة، بيد انني كنت أصغر من ان ارتاب بأي شيء من هذا القبيل. علاوة على ذلك، حتى لو كان وجدَ امثال اولئك الرجال بيننا، فمن المشكوك فيه انهم كانوا يريدون الخوض في الحديث عن الزواج، وهو الموضوع الذي كان أبعد ما يكون عن افكار الطلبة الشباب. وعند التفكير بهذا الموضوع، كنت انا نفسي في مثل موقفهم، غير ان ذلك لم يقلقني، فقد افلحت في قضاء عام آخر في الكلية سعيداً.

وفي نهاية تلك السنة الدراسية حزمت حقيبتي مرة أخرى ورجعت الى مستقر ابوي. وفي بيتي، حيث كان ابي وامي قد عاشا فيما مضى من الزمن، رأيت وجوه عمي وافراد اسرته ممتلئة بشراً. ومرة أخرى استطعت ان استنشق هواء موطني، هذا الهواء الذي كان اثيراً لدي حينذاك كعهدي به قبل ذلك. كان شيئاً جميلاً ان اعود بعد عام من حياة التلمذة.

غير أنني لم أحظ بالمتعة طويلاً بالمحيط المألوف الذي صار جزءاً

لايتجـزأ من كيـاني تقـريباً . فمرة أخرى، طرق عمي موضوع الزواج . وكـانت الاسبـاب لرغبته في ان يراني متزوجاً هي الاسباب نفسها التي طرحها عليَّ في العام المنصرم . لكن في هذه المرة، كان في باله امرأة لي، وهذا ماجعل الامر اكثر ارباكاً . وكانت المرأة التي اقترحها عروساً مناسبة لي هي ابنته، اي ابنة عمي . قال: «سيكون هذا الترتيب مناسباً للطرفين . » ويبدو ان اباك، قبل وفاته، كان له رأي مماثل . »

واستطعت ان ارى جدوى مثـل هذا الارتبـاط، كمـا استطعت ان اصـدق بسهـولـة ان ابي كان على اتفاق مع عمي . بيد ان فكرة الزواج من ابنـة عمي لم تخطـر على بالي من قبـل ابداً، ولولم يشر عمي الى مغـانم هذا الـزواج، لمـا خطـرت على بالي قطعـاً . وعليـه انتـابتني الـدهشـة، ومـع ذلـك اعتـرفت لنفسي بمعقولية رغبات عمي . ولربما كنت شخصاً عديم التفكير. على اية حال، اعتقد ان المصدر الرئيس في ترددي في الـزواج من ابنـة عمي كان يكمن في عدم اهتمـامي الكـامـل بهـا . فعنـدمـا كنت طفلاً غالباً ما كنت أذهب للعب في بيت عمي في المـدينـة . واتـذكر انني في الغالب كنت اقضي ليلتي هناك . وعليـه كنت انـا وابنـة عمي اصـدقـاء طفولة . وانت تعلم طبعاً ان الاخ لايقـع في غرام اختـه . في الـواقـع، ان من الجائز انني اكرر هنا ما هو معـروف دائمـاً، لكنني بالتأكيـد اعتقـد انـه لكي ينمـو الحب لابد من جديـد يوصـل بينهمـا في المقـام الاول . وبين شخصين عرف الواحد الآخـر دائمـاً لايمكن لهمـا ان يشعـرا بالحافز الضروري للحب ابداً . ومثـل النفحـة الاولى للبخـور المحتـرق، اومثـل مذاق المـرء لكأس

الساكي الاولى ، كذلك توجد في الحب لحظة يستشعر المرء فيها بطاقته كاملة. فمن الجائز ان يكون هناك ولع وليس حباً بين شخصين عرف الواحد منهما الآخر جيداً دون ان يدركا تلك اللحظة ابداً ، ومهما حاولت فلم استطع ان اروض نفسي على اتخاذ ابنة عمي زوجة لي. وقال عمي انني اذا اصررت على ذلك، فانه على استعداد لأرجاء الزواج الى ما بعد تخرجي. واضاف، «لكن، كما يقول المثل. (لاتؤجل الاشياء الحسنة)، انني اود، اذا كان ممكناً، ان اعلن الخطوبة الآن.» وبقدر تعلق الامر بي ، لم يكن كونها خطيبة لي امراً مرغوباً به أكثر من كونها زوجة ، لذلك رفضت. فتجهم وجه عمي. وصرخت ابنة عمي لا بسبب ما احزنتها فكرة العيش من دوني وانما بسبب رفضي الزواج منها الذي آذى كبرياءها الانثوي. وعرفت جيداً بأنها لم تكن تحبني اكثر مما كنت احبها. ومرة أخرى رجعت الى طوكيو.

*

وفي الصيف التالي عدت الى موطني مرة ثالثة. وكالمعتاد انتظرت نهاية الامتحانات بفارغ الصبر، ثم مالبثت ان اسرعت بمبارحة طوكيو بأسرع ما يمكن. كان موطني عزيزاً عليَّ حقاً. وبالطبع انت تعلم ان هواء موطن المرء يبدو مختلفاً عن هواء اي مكان آخر. وحتى رائحة الارض تبدو انها تمتلك شيئاً خاصاً بها. علاوة على ذلك، وجدت ان الموطن يريحني بذكراه الرقيقة عن ابي وامي. كنت اتلهف لشهري تموز وآب. اذ كنت استطيع فيهما ان اعيش كافعى تسبت في حجرها، آمنة مرتاحة في محيطها المألوف.

كنت ساذجاً في تفكيري عندما ظننت بأن مسألة الزواج بابنة عمي قد سويت، وان لاحاجة بي لأن اقلق بصددها. واعتقدت انه مادام المرء في الحياة قد رفض جهاراً مالم يرغب به، فأنه سيترك وشأنه. وعليه، فأن عدم اذعاني لاقناع عمي لم يقلقني في الحقيقة الا قليلاً. وبعد قضائي عاماً دون اعطاء الموضوع تفكيراً كثيراً ذهبت الى موطني بحالتي النفسية المبتهجة المألوفة.

ومهما يكن، فقد تبدل موقف عمي اتجاهي. فلم يستقبلني بذراعين مفتوحتين كما كان يفعل سابقاً. وبما انني كنت شخصاً لين العريكة، فلم ألحظ هذا الا بعد ان أمضيت في بيتي أربعة اوخمسة ايام. ان حادثة ما او ما شابه وجهت انتباهي الى ذلك، وعندما نظرت حولي، لاحظت بأن عمي لم يكن وحده الذي صار غريب التصرف وحسب، بل لاحظت ان عمتي وابنة عمي صارتا مثله ايضاً. وحتى ابن عمي الاكبر الذي كان قد كاتبني قبل فترة قصيرة طالباً نصيحتي

بخصوص عزمه على الالتحاق بكلية تجارية في طوكيو بعد تخرجه من الاعدادية، بدا انه يتصرف على نحو غريب ايضاً.

كان من طبعي ان ابدأ التساؤل. «ما هو السبب الذي غيّر مشاعري؟» سألت نفسي. لكن سرعان ما صار السؤال: «ماهو السبب الذي غيّر مشاعرهم؟»وفجأة بدأت افكر بأن ابي وأمي الميتين قد رفعا الحجاب عن عيني لكي استطيع ان ارى العالم بجلاء كما هو حقاً. وانت تفهم، في مكان ما من قلبي اعتقدت بأن ابوي، ولو انهما رحلا عن هذا العالم، فأنهما لازالا يحبانني كما كانا يفعلان وهما على قيّد الحياة. ولا أحسب حتى في ذلك الحين ان الناحية العقلية لم تكن متطورة لدّي. لكن تجذرت عميقاً في كياني بذرة خرافة ورثتها عن اسلافي. واعتقد انها لازالت موجودة.

ذهبت الى التل وحيداً حيث دُفن ابواي وركعت امام قبرهما. من ناحية ركعت حزناً عليهما، ومن ناحية أخرى ركعت امتناناً لهما. وكما لو ان سعادتي المستقبلية كانت رهن ايدي هذين المدفونين تحت الصخرة الباردة، فقد رجوتهما ان يرعيا مصيري. ربما تضحك، ولن الومك ان تفعل. لكنني كنت من هذا النوع من البشر.

وعلى حين غرة تبدل عالمي. وكنت قد مررت بهذه التجربة من قبل. واعتقد ان هذا كان في سن السادسة عشرة او السابعة عشرة، اذ أكتشفت، بهزة، انه يوجد جمال في هذا العالم. وفركت عيني مرات عديدة، غير مصدق ما ارى. ثم صرخ فؤادي عالياً: «ما اجمله!» ففي عمر السادسة عشرة او السابعة عشرة يصبح الاولاد والبنات «واعين

بالحب»، اذا ما استخـدمنـا التعبيـر الشـائـع. ولم اكن لاختلف عن الآخـرين، ولاول مرة في حيـاتي استطعت ان انظـر الى النسـاء بأنهن تجسيـد للجمـال في هذا العالم. وما كان لعيني اللتين عميتا عن رؤية وجـود الجنس الآخـر الا ان تتفتحـا فجأة، وان ينكشف امـامهما عالم جديد كامل.

واظن ان وعيي ـ وعيي المباغت ـ بموقف عمي كان تجربة مماثلة. لقد اندفع هذا الوعي بلا انذار. وظهر عمي وعائلته امام عيني كائنات مختلفة كلياً. فصُعقت. وبدأت اشعر انني ان لم أفعل شيئاً فسوف أضيع.

*

لقـد فكـرت بأنني كنت مدينـاً لابوي الميتين بأن اكتشف من طريق عمي تفـاصيـل عن ثروة الاسـرة التي تركتهـا في عهـدته. وبدا لي انه مشغول جداً كما اعترف بذلك لانه لم ينم تحت سقف واحد اكثر من ليـال معـدودة في كل مرة. فمقـابل كل يومين في بيتنا كان يقضي ثلاثة ايـام في المـدينـة. وانّى رأيتـه، كنت أجـده في حالـة عصبية. «انني مشغـول جداً، مشغـول جداً. . .»، كان يقـول ذلك بصورة تلقائية ثم لايلبث ان يبـارح المكـان مسـرعاً. وقبل ان اشرع بالأرتياب به، كنت ميالاً الى الاعتقاد بأنه مشغول حقاً، اوكنت اقول لنفسي، عندما اكون ساخراً، بأن المحتمل ان يكون التظاهر بالانشغال هو آخر طراز شائع. لكن بعد ان قررت ان أعقد حديثاً طويلاً معه عن ميراثي، بدأت ارتاب بأنه كان يسعى الى تحاشي مثل هذا الحديث. على أية حال، لم يكن اتصالي به يسيراً.

ثم سمعت بأن عمي كان يحتفظ بخليلة له في المدينة. لقد بلغتني هذه الشائعة عن طريق صديق قديم كان زميلاً لي في المدرسة الثانوية. وعند التفكير بشخصية عمي وبأحتفاظه بخليلة لم أدهش ايما دهشة، الا انني صُعقت لانني لم اسمع مثل هذه الشائعات عنه في اثناء حياة ابي. وقد أخبرني صديقي عن أشياء أخرى قيلت عن عمي: منها وان كان يُظن بأن مشاريع اعماله فاشلة في وقت ما، الا انه يبدو ان وضعه قد تحسن بشكل ملحوظ في السنتين او السنوات الثلاث الاخيرة. وبذلك توافر سبب آخر للارتياب بعمي.

واخيراً عقدت مؤتمراً معه. ومن الجائز ان يبدو القول بأنني، عقدت مؤتمراً معه، غريباً. لكن كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي استطيع ان اصف بها حديثنا. لقد أصرَّ عمي على ان يعاملني كطفل، هذا بينما نظرت اليه بأرتيات منذ البداية. ومن المؤكد لم تكن هناك فرصة لانهاء حديثنا على نحو ودّي.

ولسوء الحظ، انني الآن في عجلة شديدة من أمري لااستطيع معها ان أصف نتائج المؤتمر، بتفصيل. ولكي أقول الحقيقة، هنالك شيء اكثر اهمية اريد الكتابة عنه. ولستُ بقادر البتة ان اكبح قلمي الذي يبدو متلهفاً لأن يصل الى الجزء الرئيس للقصة. وبما أنني قد أضعت للابد فرصة الحديث معك في وقت فراغي، فلا أستطيع ان اقول جميع الاشياء التي اريد قولها. فانا كاتب بطيء وغير مجرب، ولدّي وقت يسير.

وبالطبع انك لتتذكر ذلك اليوم الذي قلتُ فيه بأن لاوجود في هذا

العـالم لشيء اسمـه جنس بشـري، هذا الجنس الـذي تشكّل الرداءة الخـاصيـة الوحيدة له، وان على المرء ان يحترس دائماً أن لاينسى ان من السهـل ان يتحـول رجـل نبيل، اذا ما أُغوي، الى رجل وغد. وفي حينـه كنتَ طيبـاً بمـا يكفي لكي تشير بأنني كنتُ منفعلاً. ولما سألتني ايضـاً عن السبب الـذي يدعو الرجال الطيبين بأن يصيروا سيئين، ولما اجبتك ببساطة بأن السبب هو «المال»، بانَ عليك عدم الاقتناع. انني لاتـذكـر جيداً تلك النظرة من عدم الاقتناع على وجهك. واعترف الآن بأنني كنت افكـر بعمي آنـذاك. لقد كنت افكر بعمي، بالحقد كله في قلبي، الـذي بدا يمثـل نمـوذجاً للرجال الاعتياديين كلهم ممن تحولوا اشـراراً بسبب المـال، وممن بدوا لي مجسـدين لجميـع الاشيـاء غيـر الجديرة بثقتنا في هذا العالم.

وبالنسبة لك، انت الذي رغبت ان تسبر عالم الافكار بعمق، لابد ان جوابي كان غيـر مقنـع لكَ تمـامـاً، ولابـد انه بدا لك مبتذلاً. لكن بالنسبـة لي. كان الجـواب الذي طرحته حقيقة حيّة، الم اكن منفعلاً؟ اعتقد بأن الكلمات المنطوقة بعاطفة تتضمن حقيقة حيّة اكثر مما تفعله تلك الكلمات التي تعبر عن الافكار المدركة عقلانياً. فالدم هو الذي يحـرك الجسـد. وليس المقصود بالكلمات ان تحرك الهواء فقط: انها قادرة على تحريك اشياء اعظم.

*

باقتضاب، لقد خدعني عمي في مسألة ميراثي. وافلح في خداعي بلا صعوبة كبيرة في غضون السنوات الثلاث التي كنت فيها بعيداً عنه في طوكيـو. لقـد كنت ساذجـاً على نحـو لايصـدق اذ تركت كل شيء

تحت تصرف عمي ثقة به. وبالطبع يعتمد هذا على وجهة النظر: فالناس الذين لايعدون الانهماك في الشؤون الدنيوية فضيلة كبيرة، من الجائز ان يأخذ بألبابهم مظهر البراءة هذا. على اية حال، لااستطيع ابداً ان افكر بتلك الايام الا والعن نفسي لما كنت عليه من ثقة وبراءة. واجد نفسي اتساءل: «لماذا ولدت ذا طبع طيب؟» لكن، يجب ان اعترف، انني اتمنى احياناً لو انني لم افقد براءتي القديمة واكثر من ذلك اتمنى لو انني استطيع ان اكون ذلك الشخص الذي كنت عليه. ارجوك ان تتذكر بأنك التقيتَ بي بعد ان صرتُ قذراً. واذا كان المرء يحترم من هم اكبر منه سناً لأنهم عاشوا حياة اطول وصاروا اكثر منه قذارة، فمن المؤكد انني استحق احترامك.

ومما لاريب فيه هو انني لو تزوجت أبنة عمي كما اراد عمي لكنت قد أفدت مادياً. وبالطبع كانت اسبابه الحقيقة في رغبته بتزويجي من ابنته اسباباً انانية. في الواقع لم تكن فائدة العائلتين هي التي أضمرها في قلبه: كان المقصود بزواجنا ان يوسع من مخططاته الاساسية الخاصة. انا لم احب ابنة عمي، لكنني لم اكرهها ايضاً. وأجد الآن بأنني استمتع بقدرٍ من السرور لأنني رفضت ان اجعلها زوجة لي. لو تزوجتها لكنت حقاً ضحية خديعة، لكنني في الاقل امتلك السلوان بأنني في مسألة واحدة فقط قد فرضت ارادتي. وهذا، على اية حال، من التفاصيل غير المهمة. وبالنسبة لك. لابد ان يبدو لك بأنني غبي وسطحي نوعاً ما.

لقد تدخل اقرباء آخرون لي لكي يسووا الخصومة بيني وبين

عمي . لم تكن لدي ثقة بأي واحد منهم . في الحقيقة نظرت اليهم كأعداء لي . وحسبت ان من المفروغ منه مادام عمي قد خدعني ، فلابد انهم يفعلون فعله . وقلت مع نفسي ، «اذا كان عمي الذي اطزاه ابي كثيراً قد استطاع خداعي ، فأي سبب يدعوني اذاً ان اضع ثقتي فيهم؟»

ومهما يكن ، فعن سبيل توسطهم أفلحت في استلام كل ما تبقى لي . وقد بلغ هذا المتبقي اقل مما توقعت بكثير . وكان يوجد امامي سبيلان مفتوحان : ان اقبل بهدوء ماقدم لي وأما ان اقاضيه . كنت غاضباً ، لكنني تريثت . وخشيت ان انا سلكت السبيل الثاني ، ان أضطر للانتظار فترة طويلة قبل ان تتخذ المحكمة قراراً . كنت طالباً وكان الوقت ثميناً جداً بالنسبة لي . ولم اشأ لدراستي ان تنقطع . فذهبت الى صديق قديم من ايام الدراسة الثانوية كان يسكن المدينة وطلبت منه ان يساعدني في تحويل جميع موجوداتي الى نقد . لقد نصحني ان لاافعل ذلك ، لكنني لم اصغ اليه . وقررت ان ابارح البيت واظل بعيداً عنه وقتاً طويلاً . واقسمت ان لاارى ابداً وجه عمي مرة ثانية .

وقبل مغادرتي قمت بزيارة اخرى الى مقبرة ابوي . ومنذ ذلك الحين لم ارها . ولااظن انني سوف اراها مرة ثانية .

لقد وضع صديقي اموري في نصابها مثلما طلبت منه ، ولو انه لم يكن قادراً على انجازها قبل مضي وقت طويل بعد رجوعي الى طوكيو . فلم يكن من السهل بيع اراضي المرء في الريف . علاوة على ذلك ، دائماً ما يكون المشترون المأمولون مسارعين في الافادة من مصاعب

المرء. وفي الاخير كان المبلغ الذي تسلمته اقل بكثير مما كانت تستحقه ارضي.وبغية ان اقول الحقيقة، فقد اشتمل رأسمالي الاجمالي على عقود قليلة كنت قد جلبتها معي عندما غادرت البيت، وكذلك على نقود كنت استلمها بالتعاقب بواسطة صديقي. ولا ريب، كان ميراثي الاصلي يستحق اكثر من ذلك بكثير. وما وجدته مؤلماً بصورة خاصة هو انني نفسي لم اكن مسؤولاً عن تدني ثروة العائلة. وعلى اية حال، فمن المؤكد ان ما امتلكه كان يزيد عن الكفاية بالنسبة لطالب. وفي الحقيقة، لم استطع ان اصرف اكثر من نصف الفائدة الناجمة عن رأسمالي. ولو كنت في ظروف أقل يسراً كطالب، لما كنت قد أضطررت للتورط في مواقف لم احلم بها كالتي مرت بي فيما بعد.

*

ولما لم تعد هناك حاجة الى مزيد من العيش المقتصد كما فعلت من قبل. فقد بدأت اتأمل في فكرة مغادرة القسم الداخلي الصاخب والاستقرار في بيت خاص بي. لكنني، مع ذلك، كنت متردداً في البداية في وضع هذه الفكرة موضع التطبيق. فلم ترق لي فكرة شراء الحاجيات المنزلية الضرورية وكذلك العثور على مدبرة منزل عجوز امينة استطيع الاعتماد عليها في العناية الجيدة بالمنزل اثناء غيابي عنه. على اية حال، لقد وطدت العزم في احد الايام على أن اخرج للنزهة وان ارى في الوقت نفسه ان كانت توجد بيوت خالية يمكن ان اجد فيها ما يجذبني بصورة خاصة. فتمشيت على امتداد الجانب

الايسر لتل هونغوداي، ثم ارتقيت الى اعلى منحدر كويشيكاوا الى معبد دينزون. من ناحية المظهر تغيرت المنطقة كلها منذ بدأت القاطرات تخترقها، لكن في تلك الايام كان يوجد فقط الجدار الطيني لمستودع الذخيرة على الجانب الايسر عندما يرتقي المرء الى اعلى المنحدر، اما على الجانب الايمن فكانت توجد حقول مكشوفة فقط. توقفت لحظة، ودون ان افكر بشيء معين، نظرت بأتجاه التل على الجانب الآخر للوادي.

لم يكن المشهد مقيتاً حتى في الوقت الحاضر، لكنه آنذاك كان اكثر جمالاً. كان كل شيء اخضر على امتداد ما استطيع ان ابصر: كان مشهداً مهدئاً للنفس. حينذاك بدأت اتساءل ان كان ممكناً العثور على منزل في المنطقة المجاورة. فمشيت عبر الحقول الى ان بلغت زقاقاً ضيقاً وواصلت السير فيه بأتجاه الشمال. وحتى اليوم تتصف هذه المنطقة بمظهر مشوش يختلط فيه الحابل بالنابل. ولك ان تتصور ما كان عليه وضعها في تلك الايام الخوالي. ودرت حول المكان مخترقاً ازقة لاحصر لها الى ان وصلت الى دكان حلوى. ودخلت وسألت المرأة التي تدير الدكان ان كانت تعلم بوجود بيت صغير وانيق بوسعي ان استأجره. قالت، «حسناً، دعيني افكر الآن. . » وبدت لحظة كأنها مستغرقة في تفكير عميق. ثم قالت، «آسفة لا استطيع ان اتذكر اي بيت في هذه اللحظة. » ورأيت انه لايوجد امل وكنت على وشك ان ابارح الدكان عندما سألتني، «هل تمانع في السكن مع عائلة؟» فتوفز اهتمامي. ومع ذلك، فكرت مع نفسي، ان من المحتمل ان يكون السكن كضيف وحيد يدفع ما عليه في بيت عائلي هادىء اكثر ملاءمة

من اقتنـاء المـرء لبيت خاص به . فجلستُ وبـدأت المرأة تخبرني عن عائلة تعرفها من الجائز ان تقبل بي .

انهـا عائلة عسكـريـة اولمـزيـد من الـدقـة ، انهـا عائلة كانت في الماضي مرتبطة بالطبقة العسكرية . وكانت المرأة تعتقد بأن رب العائلة قد قتل في الحرب الصينية ـ اليابانية . وقد عاشت العائلة المنكوبة في بيتهم القـديم بالقـرب من «مـدرسـة الضبـاط» في ايشيغايا لغاية العام المنصرم ، لكنها وجدته كبيراً جداً ـ كان من نوع البيوت الذي تلحق به اسطبلات ـ وعليه فقد باعته وانتقلت الى بيت اصغر. واخبرتني المرأة بأن ثلاثـة اشخـاص يسكنون في البيت وهم : الارملة وابنتها وخادمة واحـدة . ومن الـواضـح ان الارملة قد قالت للمـرأة بأن البيت الجـديد موحش نوعاً ما وانها تود نزيلاً اذا كان بالامكان ايجاد شخص مناسب .

ففكـرت بأن البيت سيكـون هادئـاً جداً وانـه سوف يلاءمني تماماً . لكنني خشيت ان عائلة كهـذه لن ترغب بقبـول طالب لم تعـرف عنـه شيئاً . واغراني ذلك بأن اقلع عن فكرة الذهاب الى البيت . مع ذلك ، ذكّرت نفسي بأنني كطالب كنت ابدو محترماً جداً . فضلاً عن ذلك كنت ارتـدي قبعتي الجـامعيـة . بالطبـع سوف تضحـك وتقـول ، «مـا الشيء المؤثـر في قبعـة جامعيـة؟» لكن في تلك الايام ، كان يُنظر الى الطلبـة الجـامعيين بأحتـرام يفـوق ماينـالـونه الآن . وعليه فقد منحتني قبعتي المـربعـة الشكـل الثقة التي احتجت اليها . وبأتباع الارشادات التي قدمتهـا لي المـرأة في دكان الحلوى ، وبلا تقديم مناسب من اي نوع ، سلكت طريقي الى البيت .

قدمت نفسي الى الارملة واخبرتها بالغرض من زيارتي. فسألتني برقة عما يتعلق بماضيّ وجامعتي وحقل دراستي وما شابه. ولابد ان اجوبتي قد ارضتها لانها لم تتردد في القول ان بوسعي الانتقال حالما اشاء. كانت السيدة تتميز بطريقة صريحة ومباشرة. فأثرت في جداً وفكرت مع نفسي: «هل جميع زوجات الجنود مثلها؟» وفي الوقت نفسه، دهشت ان سيدة لها مثل هذه الشخصية القوية الواضحة ان تشعر بالوحشة.

*

وانتقلت مباشرة. وأُسكنت في الغرفة التي جرت فيها مقابلتنا. كانت اجمل غرفة في البيت. وقبل ذلك كنت اسكن في مكان قذر: وفي زماني كانت توجد اقسام داخلية قليلة من الدرجة الاولى في منطقة هونغو. ولقد اعتدت على السكن في غرف كانت اكثر من ملاءمة بمعايير الطلاب. غير ان غرفتي الجديدة كانت تترك في النفس اثراً اعظم من اية غرفة سكنتها قبلاً في طوكيو. وعندما انتقلت اليها اول مرة شعرت بأنها ربما كانت افخم من ان يسكن فيها طالب.

كانت غرفة ذات ثمان جدائل. ويوجد فيها فجوة، والى جانبها بعض الرفوف المزخرفة. وعلى الجانب المقابل للشرفة توجد خزانة ملابس عرضها ستة اقدام. ولا توجد فيها نوافذ، غير ان الغرفة تنفتح على شرفة مشمسة مواجهة للجنوب.

وحالما انتقلت الى الغرفة لاحظت مزهرية ورد في الفجوة.

واستندت آلة كوتو[1] الى جدار الفجوة[2] الى جانب الورد. لم يبهجني الـورد ولا آلـة الكـوتـو. ولمـا كنت قد تربيت على يدي اب كان مولعـاً بأشيـاء معينـة مثـل الشعـر الصيني والخـط وطقس شرب الشاي، فقد كنت ميـالاً، منـذ الطفـولة، الى الذوق المتسم بالجفاف. فعرفت بما انتـابني من شعـور بالتأفف من هذه المحـاولات الـواضحـة في اضفاء الجمال كالتي وجدتها في الفجوة.

وبفضل عمي اختفى القسم الاعظم من مجموعة ابي الفنية، لكن مع هذا بقيت لي منها قطع قليلة ثمينة تركت معظمها لدى صديقي في بلدتي لكي يصونها. مع ذلك، كانت توجد اربع او خمس صور درجية للتعليق كانت قد اثـارت خيـالي، لذلـك اخـرجتها من علبها الخشبية ووضعتها في قعر حقيبتي قبل ان اغادر الى طوكيو. كنت متلهفاً الى ان اعلق احـدى تلك الصـور في فجوة غرفتي الجديدة، لكن عندما رأيت الـورد والكـوتو، هان عزمي. وعندما عرفت فيما بعد بأن الورد قد وضع هنـاك بغيـة ابهاجي، سررت في سري وسخطت. والواضح ان الكوتو كانت موجودة هناك دائماً، واظن انهم لم يستطيعوا ان يجدوا مكاناً آخر لها.

ومن المحتمـل أن ظل امـرأة شابـة بدأ الان يمـر امام عين عقلك. ويجب ان أعتـرف بأنني بدأت اشعـر بحب الاستطـلاع فيمـا يخص

١ـ قيثارة يابانية.

٢ـ فجوة في الجدار.

المـرأة الشـابة حتى قبل ان انتقل. وربما جعلني هذا الفضول السمج من جانبي شاعـــراً بالـذات، اوربمـا أني لم اتغلب بعـد على خجـل الشبـاب، لكن مهمـا كان السبب، فقـد تصـرفتُ بأرتباك شديد عندما تُدمت الى اوجوسان Ojosan [1]. اما هي من جانبها فقد أحّمرت حياء.

لقد سبق لي ان كّونت في ذهني صورة عن شخصها من ملاحظتي لمظهـر امهـا وسلوكهـا. ولم تُظهرها هذه الصورة اكثر جمالاً وجاذبية. واعتقاداً مني بأن امها كانت زوجة جندي متفوق، فقد ذهب بي الخيال بأنهـا كانت ابنة جنـدي نمـوذجيـة. لكن جميـع افكاري السابقة عن اوجـوسـان تلاشت حالما رأيت وجهها. وامتلأت بوعي جديد، اعظم من اي وعي آخـر خبـرته من قبل. وهو الوعي بجبروت الجنس الاخر. بعـد ذلـك، انقطعت الـورود في الفجوة عن اثارة الاستياء في نفسي. ولم يضايقني وجود الكوتو بعد ذاك ابداً.

وفي كل مرة كانت تظهـــر فيهـا علامـات الـذبـول على الـورود في المـزهرية، كانت تدخل وتستبدلها. واحياناً كانت تدخل لتأخذ الكوتو الى غرفتهـا المقـابلة لغـرفتي على خط قطـري. عند ذاك كنت اجلس الى منضـــدتي بهـــدوء وحنكي مستقـر على يدي، فأصغي الى صوت الكوتو. ولم اكن واثقاً ان كان عزفها جيداً او رديئاً. وبما انها لم تعزف ابـداً قطعـة يبـدو عليها التعقيد فقد ملت الى الشك بأنها لم تكن بارعة

١ـ يجوز أن تُترجم هذه الكلمة «آنسة» أو «سيدة شابة» أو، «أبنة محترمة»

تماماً. في الحقيقة اعتقدت بأن من المحتمل ان عزفها على الكوتو لم يكن بأفضل من ترتيبها للورود. وانني لاعرف شيئاً ما عن الفن الاخير، لذلك استطيع القول بأطمئنان بأن اوجوسان كانت السيدة فيه.

ومهما يكن، فقد دأبت على تزين فجوة غرفتي بالورود من كل صنف، وقد زال عنها الشعور بالحياء. كانت الورود تُرتب دائماً بالطريقة نفسها وفي المزهرية عينها دائماً. مع ذلك، فالشيء الاغرب هو الموسيقى. وكان جل ما يسمعه المرء سلسلة من الاصوات المترددة والمتقطعة والناقرة، وكان عسيراً على المرء ان يميز الغناء الذي قصد به ان يصاحب هذه الاصوات. انا لا اقول بأنها لم تغنِ. غير ان غناءها كان رخواً وكان يتميز بما يمكن للمرء ان ينعته بالنغم الحميمي. وعندما تُوبخ كان يُسمع صوتها اقل خفوتاً.

على اية حال، حدقت بسعادة الى الورود المرتبة ترتيباً رديئاً وأصغيت الى الموسيقى الغريبة.

*

عندما غادرت بلدتي لاخر مرة كنت في حينه مبغضاً للبشر. وقد تجذرت في كياني عميقاً في حينه فكرةُ أن الناس لايمكن الوثوق بهم.

وحينذاك بدأت افكر بعمي وعمتي وبجميع الاقارب الآخرين الذين تهيأ لي ان اكرههم كنموذج للجنس البشري كله. وفي القطار المتوجه الى طوكيو وجدت نفسي انظر الى رفاقي المسافرين بأرتياب. وعندما حدثني اي واحد منهم صرت أكثر ارتياباً. كان قلبي مثقلاً بالهم، وشعرت كما لو أنني ازدردت رصاصاً. وكانت اعصابي منفعلة.

وانا واثق بأن وضعي الذهني كان مسؤولاً كلياً عن رغبتي في مغادرة القسم الداخلي. وبالطبع سيكون من البساطة بمكان لو عزوت الرغبة في الحصول على بيت خاص بي الى ما توافر لي من بحبوحة، لكنني مقتنع بأنني ماكنت لازج بنفسي في مشكلة الانتقال لو كان التغيير ناجماً عن سبب اقتصادي بحت.

ولفترة لا بأس بها بعد انتقالي الى كويشيكاوا لم استطع ان انل قسطاً من الاسترخاء. لقد نظرت الى كل شيء من حولي بدهاء واضح حتى انني خجلت من نفسي. ومن الغريب جداً، أني اصبحت اقل فأقل ميلاً الى الكلام، بينما زاد عقلي وعيناي من نشاطهما زيادة متفاقمة. وجلست الى منضدتي بصمت وراقبت حركات الآخرين في البيت مثل قط. واحترست جداً وشعرت بما يكفي من القناعة بأنني اذنبت بحقهم. وكنت اقول لنفسي متأففاً، «انني اتصرف كسارق جيوب لا يسرق.»

ومن المحتمل ان تسأل نفسك: «اذا كان هو حقاً في مثل هذه الحالة، فكيف كان قادراً على ان يشعر بعاطفة نحو اوجوسان؟ وكيف استطاع ان يستمتع بترتيبها الرديء للورود وبعزفها على الكوتو؟» واستطيع ان اجيب بأنني جربت حقاً هذه العواطف المتصارعة حينذاك، ولا استطيع الا ان أصف لك هذه المشاعر بكل ما استطيع من صدق. وانا واثق بأنك لعلى قدرة تامة في ايجاد التفسير المرضي لك. لكن دعني أقل هذا: لقد صرت اشكك بالناس في المسائل المادية، لكنني لم اتعلم بعد

الشـــك بالحب. وعليــه، ومـع ان هذا الامـر قد يبـدو غريبـاً بالنسبـة لشخص آخر، كما قد يبدو متنافراً حتى بالنسبة لي عندما افكر به، الا انني لم اعِ تماماً أيّ صراع بين هاتين الحالتين الذهنيتين.

كان من عادتي ان أنـادي على الارملة بـ(اوكـوسـان)[1]، ولـذلـك سوف اشير اليها بهذا الاسم من الآن فصاعداً. وكان من عادة اوكوسان ان تعلق على طبعي الهادىء - كما تسميه - وعلى هدوئي.

وفي احـدى المنـاسبـات اطـرتني بكوني مجّداً بالدراسة. ولـم تقل شيئـاً عن تقـلقـلي اومراوغـتـي. ولا ادري ان كانـت قد اخـفقت في ملاحظة تصرفي الغريب أو قد كانت من الأدب بمكان بحيث لم تذكر شيئاً، لكن يبدو من المؤكد بأنها كانت تميل الى ان تنظر لي نظرة حب.

وفي احـدى المـرات بلغ بها الامر أن تقول لي بنغمة اعجاب بأنني امتلك قلباً كريماً. وكنت صادقاً بما يكفي لأن يتورد خداي خجلاً وان اقـول بأنهـا مخطئة. فقالت بجد تام، «انك تقول هذا لانك غير شاعر بمحـاسنـك الخاصة.» ويبدو انها لم تتوقع ان يسكن في بيتها طالب. وعنـدمـا كانت قد ابلغت الجيـران عن استعدادها لاسكان نزيل، كان من الـواضـح انهـا تأمل ان يتقدم في طلب ذلك موظف مدني. واشك بأنهـا كانت مستسلمـة للحقيقـة التي مفادها بأن الموظف الضعيف ذا

١ـ من الممكن ترجمتها بـ(ربة البيت) أو (السيدة).

الراتب القليل وحده هو الذي يريد غرفة في بيت شخص آخر. وعندما وصفتني بكوني شخصاً ذا قلب كريم، فلابد انها كانت تقارنني بما في مخيلتها عن هذا الموظف المدني الرّث. وصحيح انني كنت املك مالاً واعتقد بأنني عشت بطريقة كان من المستحيل ان يعيش بها اولئك المرتبكة احوالهم المالية. لذلك كنت أسرف في المسائل المالية لكي اكون متحرراً. غير ان هذا النوع من التحرر لاعلاقة له بطبع المرء. ويبدو ان اوكوسان، بالطريقة التي عليها النساء. كانت مستعدة للافتراض بأن موقفي ازاء المال هو علامة على كرم قلبي.

*

وتدريجياً بدّلت طريقة اوكوسان نحوي حالتي الذهنية الخاصة. فصرت اقل مراوغة وبدأت اشعر بمزيد من الاسترخاء. واظن ان ما منحني راحة كبيرة هو ان اوكوسان وبقية اعضاء الاسرة لم يلحظوا تصرفي المتشكك والمنطوي. وبما انه لم يوجد اي شيء في محيطي يبرر الخدر، فقد بدأت انعم بالسكينة.

كانت اوكوسان امرأة ذات ادراك، ومن الممكن بأنها تصرفت على هذا النحو لانها عرفت وضعي النفسي. ومن الممكن ايضاً انها حسبتني حقاً شخصاً هادئاً وكريماً ومتمهلاً. والصفة الاخيرة هي الاكثر رجحاناً، لانني لااظن بأن سلوكي الظاهري قد فضح غالباً ما في باطني من اضطراب.

وشيئاً فشيئاً، وكلما زدت هدوءاً صرت اعرف العائلة على نحو أفضل. وبدأت اتبادل النكات مع اوكوسان واوجوسان.

وفي بعض الايـام دُعيت لارتشـاف الشـاي معهمـا. وفي بعض الامـاسي عنـدمـا كنت اخـرج واشتـري الحلوى كنت ادعـوهمـا الى غرفتي. وفجأة شعرت بأن حلقة معارفي قد اتسعت على نحو ملحوظ. صحيح ان ساعات كثيرة قد بُددت في الحديث وكان يجب ان تصرف من اجل الدراسة. وادهشني اكتشافه انني لم اعبأ بذلك ابداً. وبالطبع كانت اوكوسان تؤدي عملاً قليلاً طيلة النهار. لكن ما ادهشني هو انه لم يبـدُ ابـداً على اوجـوسـان الانهمـاك بالعمـل، مع انهـا لـم تداوم في المـدرسـة فقـط، بل كانت تدرس ترتيب الـورود والعـزف على الكوتو ايضـاً. وعليـه كنـا نحن الثـلاثـة على استعـداد كاف، كلمـا سنحت الفرصة، لأن نجتمع سوية يسلي بعضنا الآخر بأحاديث صغيرة.

وكـان من المألـوف ان تأتي اوجـوسان لزيارتي. كانت احياناً تظهر على الشـرفـة واحيـانـاً تأتي عن طريق غرفـة الصبـاح وتظهـر عند باب غرفتي. وكانت تقف ساكنة لحظة ومن ثم تنادي بأسمي وتقول. «هل انت تدرس؟» وفي العـادة اكـون محـدقاً بجد الى كتاب ضخم مفتوح على منضـدتي، وعليـه لابـد انني كنت ابـدو شخصـاً عالمـاً نوعاً ما. لكن، بغيـة ان اقـول الحقيقـة، لـم يكن فيَّ كثيـر من صفـات الطالب يومـذاك. ومن الجـائـز انني نظـرت في كتب كثيـرة، لكنني كنت عادة انتظـر ظهـور اوجـوسـان. واذا ما اخفقت في الظهـور بالصدفة، كنت انهض واذهب الى غرفتها واقول، «هل انت تدرسين؟»

كانت غرفـة اوجـوسـان مجاورة الى غرفة الصباح. وكانت اوكوسان تجلس في غرفة الصباح احياناً، وفي غرفة ابنتها احياناً اخرى. وكانت

السيـدتـان تستخدمان الغرفتين كغرفة واحدة كبيرة، ولم تنظر اي منهما الى احـدى الغـرفتين غرفـة خاصة بها. وكلما ناديت عليهما من خارج الباب، كانت اوكوسان دائماً هي التي تقول، «ادخل». اما اوجوسان، حتى وان كانت هناك، فمن النادر جداً ان شاركت امها في الدعوة.

واحياناً، عندما كانت اوجوسان تأتي الى غرفتي في مهمة ما، كانت تجلس بغيـة المحـادثـة. وفي مثل تلك الاوقات كنت اشعر بأضطراب غريب. وبعـد ذلـك، احاول بنجاح قليل ان اقنع نفسي بأن أضطرابي لايعدو كونه ارتباكاً طبيعياً لشاب وجد نفسه وحيداً مع فتاة شابة. انه لم يكن ارتبـاكـاً بقـدر ماكـان شعـوراً بالقلق، وكان سبب هذا القلق ذلك الشعـورغيرالطبيعي بأنني كنت على نحو ما خائناً لذاتي الحقيقية. اما هي من ناحيتهـا فقـد بدت مطمئنـة تمـامـاً. في الحقيقـة كانت رابطة الجأش حتى انني اتسـاءل، «هـل هذه هي الفتـاة نفسهـا التي أسمـع صوتها اثناء دروس الكوتو؟» واحياناً عندما كانت تطيل المكث، كانت امها تنادي عليها.

واتـذكـر في اكثر من مناسبة انها كانت ترد فقط بعبارة، «انا قادمة،» وكـانت تبقى في مكـانهـا. على ايـة حال كانت اوجـوسان طفلة. كان ذلك واضحاً تماماً بالنسبة لي. وما هوواضح في نظري ايضاً انها كانت تريد مني ان اعرف بأنها لم تعد طفلة.

*

بعـد مبـارحتهـا اتحسـر بأرتياح. وفي الوقت عينه كانت تبدو الغرفة خاليـة، وكنت أستميحهـا عذراً في داخلي للراحـة التي شعـرت بهـا.

ربما انني كنت اتصرف كأمرأة. ولابد ان يكون الامر كذلك بنظر شاب حديث مثلك. لكن الغالبية منا كنا على هذه الشاكلة في تلك الايام.

ونـادراً ما كانت تخـرج اوكوسان خارج البيت. ومتى ما كانت تفعل كانت تحرص على ان تصطحب اوجوسان معها. وليس بوسعي القول ان كانت تفعـل هذا لسبب معين او بلاسبب. ولعل من غير اللائق بي تماماً ان اقول هذا، لكن ظهر لي بصورة مؤكدة بعد ان راقبت اوكوسان بعناية فترة من الوقت، بأنها كانت تشجعني وتشجع ابنتها على ان نتآلف مع بعضنـا على نحـو افضـل. ومن ناحية اخرى، كانت هناك اوقات بدت فيهـا محتـرسـة مني. وفي المرة الاولى التي اعطتني فيها هذا الانطباع انزعجت قليلاً.

انت ترى. انني اردت ان اعـرف بالضبـط ما هو موقفهـا. من وجهة نظري في الاقل، كان تصرفها غير منطقي تماماً. وبما ان عمي كان قد خدعني مؤخـراً، لم أطق ان امنـع نفسي من الشك بأزدواجية اوكوسان ومن الافتـراض بأن احـد موقفيهـا كان خداعاً مقصوداً. ولـم استطع ان افهم سبب سلوكهـا المتضـارب ظاهـريـاً. كنت اسأل نفسي، «لمـاذا كانت تتصـرف على هذا النحـو الغـريب؟» وعنـدما لا اعثر على جواب لسؤالي، كنت اتمتم بغضب مع نفسي، «نساء!» بعد ذلك احاول ان اجد الاطمئنان بالتفكير بأن اوكوسان كانت تتصرف هذا التصرف لانها امرأة، وان النساء، على اية حال، غبيات.

وعلى الـرغم من احتقـاري للنسـاء. وجـدت ان من المستحيل ان احتقر اوجوسان. وبدا لي ان هذا السبب كان واهناً في حضورها. كان

حبي لهـا اقـرب ما يكـون الى التقـوى. وقـد تظن انه لمن الغريب ان استعمـل هذه الكلمـة، بدلالتهـا الـدينيـة، في وصف شعـوري تجاه امــرأة. لكنني اعتقــد حتى الآن ـ واعتقــد بذلـك بقـوة ـ بأن الحب الحقيقي لايبتعد كثيراً عن الايمان الديني. وفي كل مرة ارى فيها وجه اوجوسان كنت اشعر بأنني نفسي اصبحت جميلاً. وفي كل مرة فكرت بهـا كنت اشعـر بأحسـاس جديـد من السموينبع في داخلي. واذا كان هذا الشيء المبهم الـذي نسميـه حبـاً يستطيـع امـا ان يُظهـر الجانب القـدسي في الانســان او، في صورته الدنيا، ان يستثير غرائزه البدنية، فمن المؤكد ان حبي كان من النوع السامي. انا لم اقل بأنني لم اكن مثل الرجال الآخرين. فانا مخلوق من لحم ايضاً. غير ان عيني اللتين تبصرانها وخلدي الذي ضمَّ افكاراً عنها، كانا بريئين من الرغبة الجسدية.

وكما تستطيع ان تتصور جيداً، أصبحت العلاقات بيننا نحن الثلاثة معقـدة نوعـاً ما. وازددت ولعـاً بالابنة اكثر فأكثر بينما زاد عدائي للأم. وعلى ايـة حال، ما اقـل ماكنا نسمح لمشاعرنا ان تظهر على السطح، كمـا لم يُلمس علنـاً التغيـر في جو البيت. بعـد ذلـك فجأة، لسبب او آخــر، بدأت اتســاءل ان كنت قد اخطأت في موقفي من اوكـوسـان. وبـدأت افكـر ربمـا لم يكن التضارب الواضح في تصرفها علامة على الخــداع، وعلى عكس شكي الســابق، ربمـا لم يكن اي واحـد من موقفيهـا محـاولـة واعيـة لخـداعي. وتوصلتُ للاعتراف بأمكانية وجود المـوقفين المتصـارعين ظاهـرياً جنباً الى جنب، وان وجود احدهما لا

يحتاج بالضرورة الى ان يجعل الآخر مستحيلاً. وحتى عندما كان يبدو عليها الاحتراس فجأة بعد تشجيعها ابنتها أن تكون ودودة معي، قرَّ رأيي اخيراً بأنها لم تغير فكرتها حقاً: وانها منعتنا عن المزيد من التقارب الا بالقدر الذي سمح به شعورها بالتملك. ولقد شعرت تماماً، انا الذي لم أضمر نوايا غير شريفة، بأن لاضرورة لقلق اوكوسان، وعليه انقطعت عن ان احمّلها ضغينة.

بعد ذلك بوقت قصير، عندما رصدت سلوك اوكوسان نحوي في منظور مغاير، أستنتجت بأنها وضعتْ ثقة كبيرة فيَّ. فضلاً عن ذلك، توفر لي المبرر للاعتقاد بأنها بدأت تثق بي منذ اول مرة التقينا فيها. وكان هذا الاكتشاف صدمة كبيرة لي، انا الذي تعلمت ان لاامحض ثقتي لأي احد. وساءلت نفسي، «هل وهبت النساء قدرات عفوية عظيمة يعرفن بها لاول وهلة بمن يضعن اولا يضعن ثقتهن؟» وفيما بعد سألت نفسي «أليس الرجال يخدعون النساء دائماً لانهن ما نحات ثقة؟» ومن الطريف ان افكر بأنه لم يخطر على بالي آنذاك ان اتفحص ثقتي بأوجوسان، هذه الثقة التي لم تستند الى شيء سوى العفوية. ومع انني اقسمت بأن لااثق بالناس ابداً، الا انني وثقت بأوجوسان ثقة تامة. مع ذلك وجدت ثقة اوكوسان بي امراً لايصدق تماماً.

لقد اخبرتها بالنزر القليل عن بيتي. ولم اقل شيئاً عن الحدث الذي دعاني الى مغادرته. فبالنسبة لي لم يكن شيئاً محبباً ان افكر بذلك، فما بالك ان اتحدث عنه. وعليه حاولت دائماً ان اوجه الحديث عن حياة اوكوسان الماضية. لكنها لم تشأ ان تسعفني. فأصّرت مرات

كثيرة على ان تسمع عن بيتي . وفي الاخير، اخبرتهما بكل شيء . ولما قلت بأنني لن اذهب ابداً الى بيتي مرة ثانية مادام لم يبق لي شيء هناك سوى مدفن ابوي ، بدا التأثر الشديد على اوكوسان . بكت اوجوسان . وشعرت بأنني فعلت الشيء الصحيح بأخبارهما قصتي . وكنت مسروراً .

بعد الحديث ، بدأت اوكوسان تتصرف وكأن حدوسها عني قد تأكدت وبدأت تعاملني كما تعامل قريباً شاباً لها . فلم يزعجني هذا . على العكس كنت مسروراً . وعلى اية حال ، بعد فترة قصيرة ، بدأت ارتاب بدوافعها مرة اخرى .

كان شيئاً تافهاً جداً ذلك الذي جعلني في وضع ذهني مرتاب . غير ان هذا لم يمنعني من ان ازيد ارتياباً مع مضي الوقت . ان حدثاً صغيراً ما ـ نسيت ما هو ـ قد ادخل في رأسي الفكرة بأن اوكوسان كانت تفرض عليَّ ابنتها بالدوافع عينها التي دفعت عمي عندما رغب ان يزوجني من ابنته . وصارت اوكوسان التي حسبتها شخصاً حنوناً مخططة ماكرة في عيني . فأمتلأت تأففاً .

وحينما اخبرتني اوكوسان لاول مرة بأن الوحدة هي السبب بأنها ارادت نزيلاً ، صدقتها ، وبعد ان تسنى لي ان اتعرف عليها جيداً لم اجد سبباً يدعوني لتغيير رأيي . من الناحية الاخرى كانت امرأة غنية على اية حال ، وكنت طبعاً زوجاً مأمولاً لابنتها من وجهة نظر مالية .

ومرة أخرى وجدت نفسي في موقف دفاعي . وبالطبع لم اكسب شيئاً من موقف كهذا ما دمت قد بقيت غائصاً في حبي لاوجوسان . فضكحت من نفسي بسخرية . وقلت لنفسي بأنني غبي . ولو لم تشتط

بي الظنون، لما عانيت كثيراً، ولكنت قد ضحكت على نفسي بكوني أحمقَ متقلباً. غير انني بدأت اكون بائساً حقاً عندما خطر لي بأن اوجوسان ربما لم تكن اقل تخطيطاً من امها. وكان من المؤلم على نحو لايحتمل ان اتخيل ان الاثنتين كانتا تخططان من وراء ظهري. فلم اكن حزيناً فقط، بل كنت قانطاً. بيد ان جانباً آخر مني كان قد وثق بأوجوسان ثقة مطلقة. فوقفت ساكناً غير قادر على الحركة من النقطة الوسطية بين التصديق والشك. وفي نظري بدا الامران من تلفيقات خيالي، ومع ذلك بدا الأمران حقيقيين.

دأبت على حضور المحاضرات في الجامعة. لكن الاساتذة الذين كانوا يقفون على المنصات بدوا بعيدين جداً وكانت اصواتهم خافتة. ولم استطع الدراسة. وكانت الاحرف المطبوعة التي تراها عيناي تتوارى مثل دخان متصاعد قبل ان تصل عقلي. كما صرت صامتاً. واساء صديقان او ثلاثة الظن بصمتي فأبلغوا الاخرين بأنه كان يبدو عليَّ الاستغراق العميق في نوع من التأمل الفلسفي. فلم احاول ان احزرهم من الوهم. وحقاً كنت سعيداً بأن اتخفى وراء القناع الذي البسوني اياه بلافطنة. وعلى أية حال، لم اكن راضياً تماماً عن هذا الدور. واحياناً كنت أبدي نوبات من اللهو الصاخب مما كان يدهشهم على نحو ملحوظ.

لم يردُ البيت زوار كثيرون. وظهر ان لاوكوسان اقرباء قليلين. واحياناً كانت صديقات اوجوسان في المدرسة يزرنها، الا انهن كن هادئات حتى ان المرء لايشعر بوجودهن في البيت. لقد كن هادئات

من اجلي ، الا انني لم اعرف هذا . اما اصدقائي الذين كانوا يأتون الى البيت فلم يكـونـوا فطّين ، الا انهم لم يكـونـوا حيبين الى الحـد الذي يهمسـون فيـه من اجـل راحة الناس الاخرين . وفي مثل تلك الاوقات بدا انني اتمتع بجميع حقوق مالك البيت ، بينما كان موقف اوجوسان لايعدو كونه موقفاً من ضيف غير موغوب فيه .

ومهما يكن من شيء فليس لهذا شأن كبير . ببساطة انني ادّونه لأنه خطر على بالي : الى جانب ذلك فهويُفضي بي الى شيء أقل أهمية . ففي احد الايام سمعت صوت رجل قادم من غرفة اوجوسان . وبما انه ضيف اوجـوسـان فقـد تحـدث بأهدأ مما كان يفعل اصدقائي . وعليه وجـدت من المستحيـل ان اسمـع ما كان يقـول . فبقيت جالسـاً الى منضـدتي في حنق يائس . وسألت نفسي ان كان قريبـاً لهـا اومجـرد صديق . وهل كان شاباً ام عجوزاً؟ وبالطبع كان من المستحيل ان أجد أجوبة لاسئلتي هذه في غرفتي . وكان من غير الممكن ان أقحم نفسي في غرفة اوجوسان لافحص الزائر . كنتُ اكثر من مُثار : كنت في عذاب حقـاً . وحـالمـا بارح الـرجـل البيت تركت غرفتي لكي اسأل من هو . فأجابتا بجواب بسيط . كان من البساطة الى درجة لم تقنعني .

فنظـرت اليهمـا بعـدم رضىً ، وكانت تنقصني الشجاعة بأن الحف في السؤال . وبـالطبـع لم يكن لي الحق بأن اكون فضولياً جداً . وكان يجب عليَّ ان أصون كرامتي واحترام ذاتي اللتين تعلمت ان اقدرهما . غيـر ان الحقيقـة هو ان احتـرام الـذات هذا لم يفلح جيـداً في التغلب على فضـولي السمـج الـذي بان على وجهي المستاء . فضحكتا . وقد

ارتبكت في تلك اللحظة ان اكتشف ان كانتا قد فعلتا ذلك من باب السخرية او من باب الصداقة. فيما بعد سألت نفسي مراراً، «هل جعلتا مني أحمق ام لا؟»

وكنت طليقاً ان أفعل أي شيء أشاء. وبلا استشارة اي احد كنت قادراً على ترك الجامعة في اي وقت، وان اذهب انّى اشاء، وان اعيش بالاسلوب الذي يوائمني، وان اتزوج ان شئت. وفي الغالب، كنت على وشك ان اطلب من اوكوسان السماح بأن اتزوج ابنتها.

لكن في كل مرة كنت اقرر ان افعل هذا، كنت أغيّر تفكيري بسرعة. وان فكرة رفض طلبي لم تفزعني. صحيح، ان الحياة ستكون مختلفة من دون اوجوسان، لكنني فكرت بأنه في الاقل سيكون هناك تعويض بأمكانية القدرة على النظر الى عالم جديد نظرة ذات افضلية اخرى. علاوة على ذلك، فكرت بأن لدي الشجاعة الكافية لأن اتقبل مثل هذا التغيير. لكنني كرهت فكرة ان تغويني أوكوسان بأبتلاع طعمها. ومهما حصل، فقد اقسمت مع نفسي، بأن لا احد قطعاً سوف يجعل مني نسخة مطابقة لما فعله بي عمي.

*

ولما رأت اوكوسان انني لاأشتري شيئاً سوى الكتب، قالت لي بأنني يجب ان اشتري لنفسي ملابس جديدة. وحقاً، ان جميع الملابس التي كنت املكها خيطت لي في بلدتي من القطن المنسوج محلياً. وفي تلك الايام لم يكن مألوفاً ان يرتدي الطلاب الملابس الحريرية. واتذكر ان صديقاً لي تسلم مرة ثوباً حريرياً خالصاً من

اهله. وبالمناسبة كان ابوه تاجراً من يوكوهاما وكانت اذواقه متسمة بالتباهي. وعندما وصل الثوب ضحكنا جميعنا من الزميل. فأرتبك اشد الارتباك وأعتذر بجميع المعاذير. فدفع به الى داخل حقيبته ولم يرتده. وفي الأخير شجعناه على أرتدائه. ولسوء الحظ تجمع البرغوث فيه من مكان ما. ولابد ان صديقي سُرَّ بذلك فلم يضع وقتاً بالتخلص من الثوب الذائع الصيت. فلفّه على شكل صرة واخذه معه في احدى نزهاته وألقىٰ به في خندق كبير في (نيزو). وكنت معه وقتذاك. واتذكر وقوفي على الجسر وانا ارقب صديقي بأنشراح. ولم يخطر على بالي ابداً في حينه بأن افكر بأنه كان متلافاً.

لقد وقع هذا كله عندما كنت لاازال اقيم في قسم داخلي. ولقد نضجت منذ ذلك العهد، لكن لم يتولد لدّي الشعور بالملبس بعدُ لكي ابدأ بالاهتمام بكوني حسن الهندام. وكنت لاازال احمل فكرة غريبة هي ان الملابس كالشارب تأتي بعد التخرج. وهذا هو السبب بأنني المحت الى اوكوسان بان الملابس ليست ضرورية امام ضرورة الكتب. لقد عرفتْ بأنني اشتريت عدداً كبيراً من الكتب، فسألتني، «اخبرني، هل تقرؤها جميعها؟» وبالطبع كان بينها كتب ضرورية مرجعية كالقواميس، لكن كانت توجد ايضاً كثير من الكتب التي حتى لم افتحها بعد. وكنت حائراً في جوابي. وفكرت بأنني مادمت سأشتري اشياء غير ضرورية، فيجدر بي ان اصرف النقود على الملابس كما اصرفها على الكتب.أضافة الى ذلك، كنت أريد أن أشتري هدية لأوجوسان، مثل وشاح اوقطعة قماش، بحجة أظهار

تقـديـري ازاء ضروب عطفهمـا الكثيـرة . وعليه طلبت من اوكوسان ان تتلطف وتشتري شيئاً مناسباً لابنتها ولي ايضاً .

فرفضت اوكـوسـان ان تذهب بنفسها . وطلبت مني ان ارافقها . كما انهـا اصـرت ايضاً ان تأتي ابنتها . وبما اننا شببنا في جو مختلف تماماً عمـا هو عليـه الحـال الآن ، فلم نعتـد نحن الطلبـة على ان يشـاهـدنا الناس في الشوارع برفقة النساء الشابات . ووقتذاك كنت اشد ما اكون عبـوديـة للتقاليد مما انا عليه الآن . فترددت في البداية ، لكنني تغلبت مؤخراً على هواجسي وخرجت مع السيدتين .

لقـد عُنيت اوجـوسان عناية كبيرة بمظهرها . ومع انها كانت بطبيعتها ذات بشـرة شفـافـة ، الا انهـا غطت وجههـا بمسحوق ابيض على نحو مفـرط ممـا جعلهـا تبـدو منافية للذوق السليم . فحّدق اليها المارون . والحقيقـة ان ما ولّـد لي هذا الشعـور الغـريب ، هو انـه بعـد ان كانـوا ينظرون اليها نظرات ثاقبة كانوا يبدأون بالتحديق الي .

ذهبنا ثلاثتنا الى مخزن (نيهونباشي) واشترينا ما رغبنا به . وكان من الصعب ان نُقـرر ماذا نشتـري ، وامضينـا هنـاك وقتـاً اكثر مما توقعت . واصـرت اوكـوسـان على ان اعطي رأيـاً بكـل شيء كان يُعرض علينا . كانت تكسـو كتف اوجـوسان بقطعة قماش ثم تطلب مني ان اخطو الى الوراء خطوات قليلة وتقول ، «حسناً ، هل يعجبك؟»

حاولت ان العب دوري بشكل صحيح ، ولم اتخاذل قطعاً في ابداء نوع من الـرأي . فأقـول ، «لا اظن هذا يبـدو جيداً جداً» او «اجل ، هذا يناسبها تماماً .»

وفي الاخير عندما غادرنا المخزن، حان وقت الغداء. وقالت اوكوسان بأنها من اجل ان تشكرني على لطفي، فأنها تود ان تدعوني الى الغداء. فقادتنا الى شارع جانبي ضيق اسمه (كيهارادانا) حيث لاحظت وجود مسرح صغير قديم الطراز. وكان المطعم الذي دخلنا فيه ضيقاً كالشارع. لم اكن اعرف هذه المنطقة، وقد دهشت لان اوكوسان كانت على معرفة جيدة به.

كان وقتاً متأخراً جداً في المساء عندما عدنا الى البيت. وكان اليوم التالي يوم احد، وقضيته في غرفتي. وحالما ظهرت في الجامعة صباح يوم الاثنين، تقدم نحوي زميل لي وبدأ يضايقني. وقال بجدية متهكّم، «متى تزوجت؟» يجب ان اقول: ان زوجتك جميلة جداً.» لابد انه قد رآنا نحن الثلاثة في (نيهونباشي).

*

عندما وصلت الى البيت اخبرت اوكوسان واوجوسان بما قاله صديقي. فضحكت اوكوسان. ثم القت عليَّ نظرة غريبة وقالت، «لابد ان ذلك قد ضايقك نوعاً ما.» وفي التو فكرت ان من المحتمل ان تكون هذه وسيلة المرأة لكي يفصح الرجل عن افكاره الداخلية. ولربما كان حرياً بي آنذاك ان اخبرها بصراحة عن شعوري تجاه ابنتها. الا انني كنت في ريبة من الامر الى حدٍ لم الجأ فيه الى التصريح. فكبحت حافزي لاخبارها بالحقيقة، ووجهت قاصداً الحديث بعيداً عن ذاتي الى موضوع زواج اوجوسان.

حاولت ان اكتشف مخططات اوكوسان من اجل ابنتها. ومن

الـواضـح انهـا المحت الى ان اوجـوسـان سبق لهـا ان تلقت عروضـاً للزواج. واوضحت بأنـه مادامت ابنتهـا في المـدرسة فهي تشعر بأنه لا حاجـة للأستعجال. ومع انها لم تكشف عن ذلك، الا انها وضعت ثقتهـا بجمـال ابنتهـا وان بوسعهـا أن تزوجها في أي وقت تشاء. كانت أوجـوسـان ابنتهـا الـوحيـدة، وكان من الطبيعي ان تتردد في مفارقتها. وأشـك بأنهـا كانت في ورطـة فيما اذا كان ينبغي ان تسمح لها بالزواج لتصيـر عضـواً في عائلة أخـرى ام ان ترتب من اجل اختيار زوج لابنتها يصير عضواً في عائلتها.

وكلّما استطرد الحديث، شعرت بأنني أزداد علماً بأشياء ذات اهمية من اوكـوسـان. لكنني ضيعت فرصة الحديث عن نفسي. ولما فكرت بأنني لا استطيـع في هذه المـرحلة من الحـديث ان اطـرح كلمـة عن نفسي، فقد قررت ان اغادر بأسرع وقت ممكن دون ان ابدو فظّـاً كانت اوجـوسـان جالسـة بالقـرب مني عندما اخبرتهما بما قاله صديقي صبـاحـاً: وحتى انهـا قالت بجـذل، «هـذا زائـد عن الحد!» لكنهـا انسحبت بهـدوء الى ركن الغـرفـة في مجرى الحديث، وكانت جالسة وظهرها إليّ. لم انتبه الى انتقالها الى الركن الا بعد ان اوشكت على القيام لاغادر. فرأيت ظهرها لما استدرت ونظر اليها. وبالطبع كان من الصعب ان اقرأ افكـارهـا دون ان ارى وجههـا. وحتى انني لم اطق ان احـدس ما هية شعـورهـا ازاء الـزواج. لقـد جلستْ بالقرب من خزانة الملابس.

كان باب الخزانة مفتوحاً وادركت بأنها استخرجت شيئاً ما منها ووضعته في

حجرها وكانت تنظر اليه. ومن خلال باب الخزانة المفتوح لمحت قطع القماش التي اشتريتها قبل يومين. كانت قطعة القماش التي اشتريتها لها والقطعة التي اشتريتها لنفسي موضوعتين الواحدة فوق الاخرى.

لم اقل المزيد، وكنت على وشك ان اقف عندما قالت اوكوسان لي فجأة بنبرة جادة، «ماذا تظنُ؟». وللحظة كان سؤالها مباغتاً جداً فتساءلت عماذا كانت تتحدث. ثم ادركت بأنها كانت تسألني فيما اذا كان لاينبغي لابنتها ان تتزوج او ان تتزوج عن قريب. قلت، «اوه، اعتقد بأنها ينبغي انتنتظر فترة، اليس كذلك؟» فقالت اوكوسان بأنها تعتقد بذلك ايضاً.

كانت العلاقات بيننا نحن الثلاثة قد بلغت هذا الحد عندما ظهر رجل آخر في الساحة. واصبح عضواً في البيت، وبفعله هذا غيّر مجرى مصيري. ولولم يعترض هذا الرجل طريقي ابداً، فلا اظن قطعاً ان تنشأ الحاجة لأن اكتب هذه الرسالة الطويلة لك. لقد مرَّ الشيطان قبلي، اذا جاز التعبير، والقى بظله عليَّ لحظة. ولم اعلم بأن مروره هذا قد سوّدَ حياتي الى الابد. ويجب ان اخبرك بأنني انا الذي جررت هذا الرجل الى البيت لكي يسكن معنا. لقد اخبرتها بكل شيء عن الرجل ثم سألتها ان كان ممكناً ان يأتي ويمكث معنا. في البداية رفضت. لكن بينما شعرت بأنني مضطر تماماً لدعوته، بدا انها لاتملك اساساً معقولاً لاعتراضها. واخيراً، أفلحت بأقناعها. واستطعت ان افعل ما حسبته صائباً.

*

وهنـا سأطلق على صديقي اسم (ك) . كنت انـا و(ك) صديقين منذ عهـد الطفـولة . لذلك لم تكن بي حاجة للقول بأننا من الاقليم الريفي نفسـه . كان ك ابنـاً لقس من طائفـة (شينشـو) كان الابن الثـاني ، وقـد ارسـل الـى بيـت طبيب معين ليكـون ابنـاً متبنى له . كانت كنيسـة (هونغان) ذات سلطة قوية في مقاطعتي التي ولدت فيها ، وكان قسس (شينشـو) اكثر غنى من قسس أيـة طائفـة اخـرى . فمثلاً . اذا اتفق ان تكـون لقس شينشـوي أبنة بعمر الزواج ، فأنه سيواجه صعوبة قليلة في تزويجها الى شخص من اسرة مناسبة بفضل الاعانات المالية الحميدة للابرشي . وبالطبع فأن مصروفات الزواج لن تخرج من جيب القس .

ولاسبـاب من هذا القبيـل كان قسس كنيسة شينشو ناجحين واثرياء عمـومـاً . لقـد عاشت اسـرة ك عيشـة مريحـة . لكنني لا ادري ان كان لديهم ما يكفي من المال لارسال ابنهم الى طوكيو لكي يكمل دراسته . كما أنني لأأدري فيما اذا كانت ترتيبات التبني قد أتخذت لكي تتحسن فرص الثقـافـة العـالية له . ومهما كان السبب ، فقد ذهب ك آنذاك الى بيت الطبيب كأبن متبنى . لقـد حصـل هذا عنـدمـا كنـا لا نـزال في المـدرسـة الثـانوية.وحتى انني لاتذكر بدهشة الآن ، وفي اثناء المناداة على اسمائنا ، ان اسم صديقي قد بُدِّل فجأة .

كانت اسـرة(ك)الجـديـدة ثريـة ، وهي التي مولته في دراسته ، وعليه جاء الى طوكيو . ومع انني و ك لم نرحل معاً ، الا اننا حللنا في القسم الـداخلي نفسـه . وفي تلك الايام ، كانت ممارسة مألوفة ان يسكن وان

ينـام طالبـان او ثلاثـة في غرفـة واحدة وان يعملا على مناضد موضوعة الـواحـدة جنب الآخـرىٰ، كمـا فعلنـا انـا وك. لقـد كنـا مثل وحشين أصطيـدا في الجبـال، يحتضن الـواحـد الآخـر ويحـدقان بغضب من قفصهما الى العالم الخارجي. كنا نخشى من طوكيو ومن سكانها. مع ذلك، عندما نكون في غرفتنا الصغيرة، كنا نتحدث بأحتقار عن العالم قاطبة.

بيد اننا كنا جادين، وكنا ننوي بجد ان نكون من عظماء الرجال في يوم ما. وحقاً، كان كان ك جاداً. وبما انه ولد في معبد، فغالباً ما كان يتحدث عن «تكريس الذهن». وبالنسبة لي، بدا ان هذه العبارة كانت تصف حيـاتـه اليـوميـة على نحو كامل. فأمتلأ قلبي بالتبجيل لـ(ك). ومنـذ ايـام المـدرسـة كان من عادة ك ان يحيرني بطرحه قضايا عويصة مثل قضيتي الدين والفلسفة. ولا اعلم ان كان هذا نتيجة تأثير والده او نتيجـة ولادتـه في بيت يمتلك جواً غريبـاً عن المعابد. على اية حال، يبـدو لي انـه يمتلك من صفـات القس اكثـر ممـا يمتلكـه القس الاعتيـادي. ان والـدي ك بالتبني بعثـا به الى طوكيـو أصـلاً بقصـد ان يجعلا منه طبيباً. غير ان ك، الذي كان عنيداً جداً، جاء الى طوكيو مع الاصرار على الا يكون طبيباً ابداً. لقد لمته واشرت له بأنه انما يخدع ابـويـه. ووافقني بشجـاعـة،ثم، اجـاب بأنه لايبالي ان يفعل مثل هذا الشيء مادام ذلـك سيقـوده الى «الطـريق الصحيـح». وفي الاحتمال الارجح، حتى هو نفسه لم يعرف ماذا كان يقصد بـ«الطريق الصحيح» وبـالطبـع انـا لم اعـرف. لكن بالنسبـة لنـا نحن كشـابين، بدت هذه

الكلمات الغامضة مقدسة تماماً. ومع ما كنتُ عليه من جهل، كنت واثقاً من أن لا خِسَّة في قراره المتحمس بأتباع ما تمليه عليه مشاعره النبيلة، كما بدت لي. وعليه فقد وافقت تماماً على اراء (ك). ولا ادري الى اي حد شجعت موافقتي (ك). وبلاريب، ما كان لـ(ك) بما تميز به من عقلية فريدة، ان يغير رأيه مهما أفترقتُ عنه. ومع انني كنت صغير السن، أحسب انني كنت أعي تقريباً مسؤوليتي المستقبلية من خلال تشجيعي (ك) اذا ما وقع له شيء نتيجة لقراره. وتضمنت موافقتي المتحمسة انه اذا ما نشأت مثل هذه المناسبة في المستقبل وعندما ننظر بعيون ناضجة الى ما فعلناه في الماضي، فسوف اكون مستعداً تماماً لأن اتحمل نصيبي المناسب من المسؤولية، ولو انني لم اشعر في تلك اللحظة بالاستعداد التام لمثل هذه الضرورة.

*

(ك) وانا دخلنا الكلية نفسها. ودون ان تظهر عليه علامات وخز الضمير بدأ يتبع «طريقه الصحيح» المحبوب بالنقود التي كان يرسلها له والداه بالتبني، وأستطيع القول بأنه في غشه كان أقل قلقاً مني، وبدا واثقاً بأنه لن يُضبط ابداً، كما بدا واثقاً تماماً بأنه حتى اذا ضُبط فلن يأبه بذلك اطلاقاً.

ولما حان وقت عطلتنا الصيفية الاولى، لم يذهب (ك) الى بلدته. وقال بأنه سوف يستأجر غرفة في معبد في (كوماغومي). وحقاً عندما رجعت الى طوكيو في اوائل ايلول وجدته مستكناً في معبد قذر بالقرب

من (كانون) العظيم. كانت غرفته صغيرة جداً وهي قريبة تماماً من بناية المعبد الرئيسة. وكان سعيداً جداً لانه كان قادراً هناك ان يدرس على هواه. وعند ذاك أدركت بأن حياته اخذت تتحول شيئاً فشيئاً الى حياة كاهن. كان يضع سبحة حول رسغه، وعندما سألته ما الغاية منها، اراني كيف يعد الخرز بأبهامه وهو يقول: واحد، اثنان، الخ. من الواضح انه كان يعدها مرات عديدة في اليوم. الا انني لم افهم المعنى الكامن وراء هذا العد. وفكرت.. من المؤكد ان لانهاية لعد الخرز المنظومة في خيط دائري. بأية افكار في رأسه كان (ك) يعد تلك الخزر؟ والآن غالباً ما يخطر على بالي هذا السؤال عديم الجدوى.

كما انني لاحظت انجيلاً في غرفته. فدهشت قليلاً. ومع انني استطيع ان اتذكر بأنه تحدث في مناسبة عن محاورات بوذا، الا انني لااستطيع ان اتذكر انه جاء على ذكر المسيحية قطعاً. قال (ك) بأنه لايوجد سبب خاص لوجود الانجيل سوى ظنه بأن من الطبيعي ان يقرأ المرء كتاباً له قيمته العالية عند الآخرين. وأضاف بأنه ينوي قراءة القرآن عندما تسنح له الفرصة.

واخيراً ذهب الى أهله في عطلة الصيف التالية بعد ان أجبروه على ذلك. ويظهر انه لم يقل شيئاً عن حقل دراسته عندما كان في البيت ويظهر ان اهله لم يرتابوا ابداً. وبما انك شخص حسن الثقافة، فمن الواضح انك جيد المعرفة بمثل هذه الامور، غير ان الناس عموماً جاهلون على نحو مدهش بحياة الطلبة والاصول الاكاديمية وما شاكل ذلك. فالاشياء التي تكون من المعارف الاعتيادية بالنسبة لنا لاتكون

معروفة أبداً ' ى من هم خارج نطاق عالمنا . ثم اننا نحن الذين نعيش في جو منعزل نسبياً لسنا غير ملسومين تماماً اذا ملنا للاعتقاد بأن المسائل الاكاديمية، مهمة كانت ام غير مهمة، معروفة جيداً في جميع ميادين الحياة . وفي هذه المسألة بالذات يبدو ان (ك) كان اكثر مني خبرة بالحياة والناس.لقد ترك اهله دون ان يلوح عليه تشوش.كنا مسافرين الى طوكيو معاً وحالما اقلنا القطار سألت (ك) جرت الامور بينه وبين اهله . فأجاب بأن كل شيء على ما يُرام .

وفي بداية العطلة الصيفية الثالثة . وكان في نهاية تلك العطلة انني قررت مغادرة مسقط رأس والديّ الى الابد ألحفت على (ك) ان يذهب الى اهله، لكنه لم يصغ الي . في الحقيقة سألني عن سبب ذهابي الى اهلي في كل عام . من الواضح انه كان يرغب في البقاء في طوكيو وان يدرس . وبتردد تركته في طوكيو وذهبت الى بلدتي لوحدي . وفيما يتعلق بالشهرين اللذين امضيتهما في بلدتي واللذين اثرا جداً في حياتي المستقبيلية، فلن اكتب عنهما مرة ثانية ما دمت قد فعلت ذلك مسبقاً . وبفؤاد مليء بالاستياء والحزن والوحشة رأيت (ك) في أيلول مرة ثانية . ووجدت ان الظروف،بالنسبة له قد تحولت نحو الاسوأ . ودون علمي كتب الى ابويه معترفاً بخداعه اهما .

من الجلي انه كان عازماً منذ البداية على ان يكتب مثل هذا الاعتراف في نهاية الامر . ولربما كان يأمل منهم ان يقولوا بأن الوقت ا قد فات جداً لكي يغير خططه وان يسمحوا له، مهما كانوا عليه من حقد تجاهه، بأن يواصل دراسته فيما رغب فيه.على اية حال، يبدو ان (ك)

لم يرغب بخداع ابويه ما دام قد استعد لدخول الجامعة. ومن الجائز انه ادرك ان ليس بأمكانه ان يواصل الخداع بلا نهاية، حتى ان اراد ان يفعل ذلك.

*

لقد غضب والد (ك) بالتبني حينما قرأ رسالة (ك). وردَّ عليه برسالة قاسية قال فيها بأنه ليس بوسعه ان يمدَّ بالمال شخصاً غير منضبط للحد الذي يغش فيه ابويه،فأطلعني (ك) على الرسالة. وأطلعني ايضاً على رسالة أخرى وصلته في حوالي الوقت نفسه الذي وصلت فيه الاولى. وكانت من عائلته الاصلية. وكانت رسالة تقريع قاس في لهجتها كالرسالة الاخرى،وربما كان سبب القسوة عائداً الى احساس اهله بالامتنان تجاه من تبنيا (ك). على اية حال، أخبر (ك) بأنها لمضيعة وقت اذا فكر بأن احداً ما سوف يهتم بأمره. وسواء رجع الى ابويه الاصليين بسبب هذه الواقعة المؤسفة، او فكر بطريقة ما للتسوية والبقاء مع الوالدين اللذين تبنياه. فتلك مسألة متروكة للمستقبل، الا ان ما كان يتطلب اهتماماً مباشراً هو مسألة دفع اجور تعليمه.

سألت (ك) ان كانت لديه اية افكار محددة بخصوص هذه المسألة، فقال (ك) بأنه فكر بان يعلّم في مدرسة ليلية. وبالمقارنة بالوقت الحاضر، كانت الظروف سهلة في تلك الايام على نحو مدهش، ولم يكن من الصعب، كما يجوز ان تفكر، ايجاد طريقة ما في تأمين مدخول. لذلك حسبت ان (ك) سيدبر الامر على احسن ما يكون.

وفي الوقت نفسه شعرت بمسؤوليتي الخاصة في المسألة. فعندما

قرر (ك) ان يعارض رغبات ابيه بالتبني وميوله، كنت انا الذي شجعته. وفي تلك المرحلة لم يكن بوسعي الـوقـوف جانباً والنظر بلا مبالاة الى صديقي في ورطته. وفي الحال قدمت الى (ك) مساعدة مادية. فرفض (ك) بلا تردد. كان من طبعه ان يشعر بمتعة كبيرة في ان يكون قادراً على تمويل نفسه بدلاً من تلقي المساعدة من صديقه. وبأختصار، كان من رأيه انه حالما يدخل الجامعة سيكون من العيب عليه كأنسان راشد ان لايقدر على حل مشاكله الخاصة بنفسه. ولم يكن بطاقتي ايذاء مشاعر (ك) لمجرد ارضاء احساسي الخاص بالمسؤولية. وعليه فقد انسحبت وتركت (ك) يفعل ما يراه مناسباً.

بعد ذلك بفترة قصيرة وجد (ك) نوع العمل الذي اراده. ولكَ ان تتصور كم كان مؤلماً بالنسبة لـ(ك) الذي كان يثمن وقته جداً، ان يقوم بمثل هذا العمل. وبهذا العبء الجديد الملقى على كتفيه حثَّ نفسه اكثر من ذي قبل لكي يدرس كما كان يفعل في السابق. وبدأت اقلق على صحته. لكنه كان رجلاً قوي الجنان فلم يُعر تحذيراتي القلقة اي اهتمام.

وفي ذلك الوقت زادت العلاقات بينه وبين متبنيه سوءاً وصارت اكثر تعقيداً. ولما لم يكن الآن لدى (ك) وقتٌ فائض فقد تضاءلت فرص التحدث معه كما كنا نفعل من قبل، ولم اسمع بجميع التفاصيل، لكنني عرفت كم ان حل المشكلة صار عسيراً. وعلمتُ أيضاً بأن شخصاً ما قد قام بالتوسط بين الطرفين. وبالفعل فقد حاول هذا الشخص برسالة وجهها اليه ان يقنع (ك) بالمجيء الى بيته. غير ان

(ك) رفض قائلاً بأن ذلك من المستحيل على الاطلاق. ان هذا العناد من جانبه. او هكذا بدا بالنسبة للاهل في البلدة، مع انه بيّن لهم بأنه ليس بأستطاعته مغادرة طوكيو في الفترة الفصلية ـ قد جعل الموقف اسوأ، وانه لم يؤذ مشاعر ابويه بالتبني وحسب، بل اغضب ابويه الاصليين ايضاً. وبتأثير من قلقي كتبت رسالة توفيقية للتخفيف من مشاعرهم، لكن بدا إنه لم يكن لها تأثير عليهم اطلاقاً. ويبدو ان رسالتي لم تستحق الرد حتى بكلمة واحدة. فغضبت ايضاً. الى ذلك الحين جعلتني الظروف اتعاطف مع (ك)، اما الآن فقد قررت ان اقف الى جانبه، سواء اكان على صواب او خطأ.

في النهاية قرر (ك) ان يصير رسمياً عضواً في عائلته الاصلية مرة اخرى. واتخذوا الترتيبات في اعادة ما صُرف على (ك) من نقود الى ابويه المرحومين في التبني لقاء تعليمه الى حد تلك الفترة. على اية حال، لن يفعل اهله له غير هذا. وقالوا بأنهم نفضوا ايديهم منه. وبأستخدام التعبير القديم الطراز، اعتقد بأنه «طُرد من بيت ابيه.» ومن ناحية أخرى، ربما لم يقصد اهله انهاء التعامل مع (ك)، لكن (ك) في الاقل شعر بأنه حُرم من الميراث. كان (ك) يتيماً من ناحية الام، ومن المحتمل جداً ان جزء من شخصيته كان ثمرة تربية زوجة الاب له. ولا استطيع الا ان اشعر بأنه لو كانت امه على قيد الحياة، لما كان لمثل هذه الفجوة الواسعة ان تنشأ بينه وبين اهله. وسبق لي ان قلت بأن والد (ك) كان كاهناً. لكنني اعتقد بأنه في احترامه الثابت للشرف، كان اقرب ما يكون الى الساموراي منه الى رجل كاهن.

*

لقد خفت الاهتياج حول (ك) نوعاً ما عندما تلقيت رسالة طويلة من زوج اخته الكبرى. واخبرني (ك) ان هذا الرجل قريب لابويه في التبني، وعليه فقد لعب دوراً مهماً في اجراءات التبني ومن ثم في ابطاله.

في هذه الرسالة طلب مني زوج الاخت راجياً ان يعرف اذا كان (ك) على ما يرام. وقال بأن اخت (ك) قلقة عليه وانها تود ان تصلها اخبار عنه بأسرع ما يمكن. وكان (ك) يحب اخته اكثر مما يحب اخاه الاكبر الذي خلف اباه في منصب القسيس. لقد ولدا لأم واحدة لكن كان يوجد فارق مهم في السن بين (ك) واخته. وبالنسبة له كانت تبدو هي الام اكثر مما تبدو له زوجة ابيه.

اطلعت (ك) على الرسالة. فلم يعلق بشيء سوى انه نفسه قد تسلّم رسالتين او ثلاثاً بالمضمون نفسه من اخته وانه اجاب عليها بأنه لاضرورة للسق. ولسوء الطالع ان اخته لم تتزوج رجلاً من عائلة غنية. ومع انها تعاطفت مع (ك) الا انها لم تستطع ان تمنحه مساعدة مادية.

كتبت جواباً لزوج الاخت كررت فيه تقريباً ما كان (ك) قد ذكره في رسائله سابقاً. وعلى أية حال، أضفت تأكيداً مصاغاً بكلمات قوية بأن (ك) يستطيع دائماً ان يعتمد على مساعدتي متى ما كان ذلك ضرورياً. وبالطبع كنتَ صادقاً في تأكيدي. كذلك شعرت بأنه يجدر بي ان اخفف من قلق اخت (ك) بأقصى ما يمكن. ولكن ليس من شك بأنني في الحافي بقوة على انني استطيع مساعدة (ك)، كنت

بطـريقـة غير مباشرة حاقداً على ابيه وعلى والديه في التبني اللذين كما بدا قد عاملوني بأحتقار.

لقـد أُبطـل تبني (ك) في سنته الاولى في الجامعة. وعلى مدى عام ونصف عام بعد ذلك، عمل بجد لاعالة نفسه. وفي الاخير بدأت افكر بأن هذا الضغـط المتـواصـل قد اثرَّ على حالته البدنية وحالته العقلية. وبـالطبـع فأن الشجـار الـذي سبق قراره بالتخلي عن العائلة التي تبنته كان قد ترك اثراً في نفسه. فزاد عاطفية اكثر فأكثر، واحياناً كان يتحدث كأنه يحمل على ظهره سوء حظ البشرية كلها. وحينما يشير احدٌ ما الى لا معقولية هذا الموقف، كان يغضب جداً. وبعد ذاك كان يبدأ بالقلق على مستقبله الـذي لم يعـد واعـداً كما كان من قبل. من الصحيح ان كل فرد يبـدأ عمله الجـامعي ونفســه تنطـوي على طموحات كبيرة مثل رجل ينطلق في رحلة طويلة، لكن بعد ذلك بعام اوعامين يدرك معظم الطلبـة فجأة بطء تقـدمهم. ويجـدون انفسهم بعـد التخـرج ابعـد ما يكــونـون عن حالـة التحـرر من الـوهم. ولا ريب ان (ك) قد بلغ هذه المـرحلة في عمله. غيـر ان يأســه كان اعظم مما هومألوف بين زملائه الطـلاب. واخيـراً قررت بأن الشيء الـوحيد الذي افعله هو ان احاول التخفيف عنه قليلاً.

قلت له بأنه يجب ان لايعمل اكثر مما هوضروري. واخبرته بأنه من اجل مستقبله العظيم يجب ان يريح نفسه ويمتعها. ومعرفةً مني بعناد (ك) لم اتوقع ان اجد مهمتي يسيرة. لكنني ما ان بدأت حتى أكتشفت بأن مهمتي صعبـة ومسخطـة اكثر مما تصورت. كان يعتقد بأن المعرفة

الدراسية لم تكن هي هدفه. قال بأن المهم هو ان يصبح شخصاً قوياً من خلال ممارسة قوة الارادة. من الواضح ان هذا يمكن ان يتم فقط بالعيش في حالة ازمة مالية شديدة. وبالحكم عليه بمعايير شخص اعتيادي، ربما كان مجنوناً قليلًا. فضلاً عن ذلك لم يظهر ابداً ان الازمة المالية الشديدة قد زادت قوة ارادته. حقاً، ان هذه الازمة المالية قد خلقت منه رجلًا عصابياً. وبيأس تظاهرت بموافقة صادقة على ارائه. وقلت بأنه كانت لي الرغبة دائماً ان احيا حياة مثل حياته. (لم اكن غير صادق كلياً. فدائماً ما وجدت (ك) مقنعاً في النقاش وكان يستطيع اقناعي في أيه لحظة بأي شيء تقريباً.) واخيراً اقترحت بأن يسكن معي لكي يتسنى لي ان اتعلم ان احيا حياة على طراز حياته. وبسبب عناده اضطررت على الانحناء له. لكن اخيراً افلحت في الاتيان به الى البيت.

*

كانت ترتبط بغرفتي حجرة صغيرة تؤدي اليها. ولغرض الوصول الى غرفتي كان يجب المرور بهذه الحجرة من غرفة الجلوس الامامية. لذلك لم يكن موقعها مناسباً. لقد انزلت (ك) فيها. كان قصدي ان يشاركني (ك) في غرفتي وان نترك الحجرة الاخرى غير مشغولة وان نستخدمها معاً اذا لزم الامر ذلك. غير ان (ك) لم يصغ لاقتراحي قائلاً بانه يفضل ان تكون له غرفته الخاصة مهما كانت صغيرة.

وكما قلت، كانت اوكوسان ضد هذا الترتيب منذ البداية. لقد قالت بأن نزيلين في مثوى لأنسب من نزيل واحد، وان ثلاثة نزلاء لأربح من

اثنين. الا انهـا اشـارت الى انهـا لاتدير مثوى وليست لديها الرغبة بأن تقبل بنزيل آخر. فقلت لها بأن صديقي لن يسبب لها ازعاجاً. واجابت بأنها تكره وجود غريب في بيتها سواءأكان مزعجاً او غيرمزعج. فقلت لكنني انـا غريب. ايضـاً. كان جوابهـا بأنهـا قد عرفت من البـداية أن بوسعهـا ان تثق بي. فأبتسمتُ. بعـدئـذ غيّـرت نهجهـا. قالت بأنني سأنـدم فيمـا بعـد على اتياني بمثل هذا الشخص الى البيت. فسألتها لماذا فكرت هكذا. كان دورها ان تبتسم ايضاً.

حقاً لم يكن هناك سبب يدعوني للاصرار على ان يشاركني (ك) في شقتي السكنيـة. لكنني شعـرت بأنه سوف يتردد في قبول مساعدتي لو انني قدمتهـا له شهـريـاً بصـورة نقدية. كان شخصاً ذا عقلية مستقلة. لهذا السبب فكرت ان من الافضل ان اجعله يسكن معي، وان اعطي اوكـاسـان، دون علمه، ما يكفي من المال لتصرفه لقاء مأكلنا. لكنني لم اشأ ان ابلغ اوكاسان عن صعوبات (ك) المالية.

مهمـا يكن من امـر، لقد اكدّت القول بأنني قلق على صحة (ك). قلت بأنـه اذا ما ترك ليـواصـل العيش وحيـداً فمن المؤكـد انـه سيزيد انحـرافـاً في سلوكـه عمـا هوعليـه. واخبرتها ايضاً عن المشاكل التي جابهها مع ابويه بالتبني وعن طرده من عائلته اخيراً. وقلت بأنني اردت مجيئـه للبقـاء معي، امـلاً مني بمنـح الـدفء الى حيـاتـه البـاردة والمـوحشـة. وسألت ان كان بمقدور اوكاسان واجوسان ان ترعيانه وان تمنحـانـه العطف الـدافىء الذي كان هوبأمس حاجة اليه. فلم تطرح اوكـاسـان مزيـداً من الاعتـراضات. ولم اقل شيئاً عن هذا الحوار الى

(ك). وكنت مسروراً لانه لم تكن لديه اية فكرة عما قيل بصدد ولوجه حياتنا البيتية. فوصل بهيئة مترفعة وببال خالٍ. وبطريقتي الاعتيادية أستقبلته.

لقد ساعدته اوكوسان واوجوسان في فتح حقائبه، وكانتا رفيقتين به جداً. كنت مسروراً جداً - بالرغم من ان (ك) بقي على حالته النفسية المألوفة - لانني شعرت بأن عطفهما عليه قد نجم من احترامهما له.

عندما سألت (ك) عما يظنه بالبيت الجديد، كان كل ما قاله: «ليس رديئاً» لقد صدمت بجوابه لعدم لياقته، هذا اذا اخذنا بنظر الاعتبار سكنه حتى ذلك الحين في غرفة قذرة ورطبة بمواجهة الشمال. وكان طعامه قذراً مثل غرفته. وعلى حد علمي، لقد رُفع من بطن وادٍ مظلم الى ذروة جبل مضاء بالشمس. ولا ريب ان عناده مسؤول جزئياً عن لاابالية الواضحة ازاء التحول، الا انني واثق ايضاً بأنه كان لاابالياً من حيث المبدأ. وبما انه نشأ تحت تأثير العقائد البوذية فقد بدا انه يعتبر احترام الراحة المادية كنوع من الخلود.

وبما انه قرأ ايضاً قصصاً عن الكهنة الكبار والقديسين المسيحيين الذين ماتوا منذ زمن بعيد، فقد اعتاد ان ينظر الى الجسد والروح ككيانين لابد من ان ينفصلا قسراً. وحقاً بدا احياناً انه يفكر بأن اساءة التعامل مع الجسد ضرورية من اجل تمجيد الروح.

قررت بأن افضل ما افعله هو ان اتحاشى مناقشته في كل الاحوال. وقررت ان اترك قطعة الثلج تحت الشمس وانتظر لها ان تذوب وتتحول الى ماء دافىء. بعد ذلك فكرت بأنه سيبدأ برؤية خطأ اساليبه.

*

كانت اوكوسان تعاملني المعاملة نفسها ، فزدت ابتهاجاً رويداً رويداً. ولما عرفت مفعول هذه المعاملة المطبقة معي ، قررت ان اجربها مع (ك). لقد عرفت منذ مدة طويلة بأنه يعرف بوجود فرق لابأس به بين شخصيتينا ، لكنني مع هذا فكرت بأنه ما دامت حدة انفعالي قد تضاءلت منذ ولوجي الحياة البيتية ، فأن (ك) ايضاً سوف يتخفف من تلك الحدة بتأثير اجواء هذه الحياة.

كان (ك) يمتلك قوة ارادة اكثر مما امتلك. ولابد انه درس ضعفَيْ ما درست. علاوة على ذلك. كان يفوقني بذكائه الطبيعي. لكنني لااستطيع ان اقول الشيء الكثير عن مستواه الاكاديمي في الجامعة لاننا كنا في حقلين مختلفين ، لكن في المدرسة الثانوية والكلية اذ كنا في الصف نفسه كان دائماً يتقدم عليَّ. وحقاً صرت انظر الى نفسي اقل شأناً من (ك) في كل شيء. لكن عندما حدثته عن الانتقال للسكن معي اعتقدت لمرة واحدة بأنني اظهرت من الفطرة السليمة اكثر مما فعل. وبدا لي بأنه لم يلحظ الفرق بين العناد والصبر. اريدك ان تنتبه لما سأقوله الآن.

ان المقصود به هو فائدتك. فتطور - او تحطم - جسد المرء وعقله يعتمد على الحوافز الداخلية. وما لم يكن المرء محترساً جداً ، وما لم يتدبر الامر بأن شدة الحوافز تتفاقم تدريجياً. فسوف يكتشف بعد فوات الاوان بأن الجسد او العقل قد ضمر. وحسب رأي الاطباء ، لايوجد من شيء يتطلب الاهتمام اكثر من المعدة البشرية. لاتعط المعدة شيئاً

سوى العصيدة، وسوف تكتشف بوضوح يوماً ما بأنها قد فقدت القدرة على ان تهضم اي شيء آخر. وهذا هو السبب الذي من أجله يطلب منا الاطباء ان نعّود معدنا على جميع انواع الاطعمة. لكنني لا اعتقد انها ببساطة مسألة تعود. انها بأعتقادي اكثر ما تكون مسألة تزايد في كفاءة المعدة من خلال زيادة المنبهات التدريجية. ولك ان تتصور ماذا سيكون الاثر اذا ما عُكست العملية، كان (ك) شخصاً أقدر مني، لكنه بدا انه لم يَر الحقيقة البسيطة في هذا المبدأ. ويظهر ان الانطباع الذي استولى عليه مفاده: ما ان يألف المرء المشقة حتى ينقطع بسرعة عن ملاحظتها. وفي نظره ان مجرد تكرار المنبه نفسه هو حسنة. واحسب انه كان يعتقد بأن وقتاً سيأتي سوف لن يحس فيه بالمشقة. ولم يدخل في عقله اطلاقاً ان هذا الشيء قد يدمره في النهاية.

لقد اردت ان اقول هذا كله لـ(ك). لكنني عرفت بأنه سوف يختلف معي بقوة. وفكرت مع نفسي بأنه سوف يشير بلا شك، في مجرى المناقشة، الى رجال الماضي. ولما كنت حليماً في حضوره، كنت مضطراً آنذاك لان اشير الى الفرق بينه وبينهم. لكنه سوف يعد ذلك لوماً وسوف يتطرف أكثر من ذي قبل لكي يبرهن على ثباته في المبدأ. وبعد ان يفعل هذا سوف يشعر فيما بعد بأنه مضطر الى تطبيق ما كان قد دافع عنه في مناقشته معي. وبهذا الصدد كان مخيفاً تماماً ومؤثراً جداً. انه سوف يتقدم بتوقٍ نحو دمار نفسه. لكن مهما نظر المرء اليه فمن المؤكد انه لم يكن شخصاً سوياً.على اية حال كنت اعرف شخصيته جيداً الى حد انني لم استطع ان اخبره بما افكر فيه بصدق.

فضلاً عن ذلك، ان ما خشيت منه هو انه صار عصابياً مؤخراً، واذا افترضت بأنني سأقهره في مناقشة، فأنه سيظل مستثاراً جداً. لم اكن اخشى الشجار معه، لكنني عندما اتذكر الأذى الذي احدثته لي وحدتي لااجدني املك الشجاعة بأن اضع (ك)،الذي كان صديقي، في وضع من العزلة الموحشة كتلك التي كنت فيها، او اسوأ من ذلك، ان ادفعه الى وحدة اعظم بكثير من تلك الوحدة التي جربت. وعليه حاولت ان لاانتقد جهاراً ضروب سلوكه حتى بعد ان انتقل الى السكن معي. وعزمت على ان انتظر بهدوء وان ارى ماذا سيفعله تغيير المحيط بالنسبة له.

*

وفي السر ذهبت الى اوكوسان واجوسان وطلبت منهما ان تُكثرا الحديث مع (ك) ما امكنهما ذلك. وكان من رأي ان حياة الصمت التي عاشها (ك) لحد الآن قد تركت بصماتها السيئة عليه. ولم يعد بوسعي الا ان افكر بان قلبه، مثل قطعة حديد، قد صدأ بسبب عدم الاستعمال.

قالت اوكوسان ضاحكة بأن (ك) من نوع الاشخاص الذين لايمكن الاقتراب منهم. وعلى سبيل التوضيح اخبرتني اوجوسان عن مقابلة لها مع (ك). فمن الواضح انها ذهبت الى (ك) وسألته ان كانت توجد نار في موقده. قال: «كلا.»

ـ حسناً، اتريد ناراً؟

ـ كلا، اشكرك.

ـ الا تشعر بالبرد؟
ـ اجل. اشعر. لكنني لا احتاج الى نار.
ورفض ان يناقش اكثر من ذلك.
ولم يكن بوسعي الا ان اضحك من هذه الحادثة بتعليق من هذا النوع: «غريب الاطوار، اليس كذلك؟» كنت اشعر بأنني مدين لهما بتفسير من هذا النوع. حقاً، كان الوقت ربيعاً، وان النار لم تكن ضرورية جداً. لكنني لم استطع ان الوم السيدتين فيما ذهبتا إليه بأن (ك) كان شخصاً صعب المراس.
حاولتُ قصارى جهدي ان العب دور الوسيط الدائم لترسيخ علاقة منسجمة بين (ك) والسيدتين. فاذا اتفق لي ان تحادثت مع (ك) كنت اطلب من السيدتين ان تشاركانا الحديث. واذا اتفق لي ان اكون مع السيدتين، كنت احاول ان اخرج (ك) من غرفته ليكون معنا. ولكل فرصة كنت انتقي اسلوباً بارعاً وافعل كل شيء في طاقتي لاجمعهم معاً. وبالطبع لم يحب (ك) هذا. احياناً كان ينهض فجأة ويترك صحبتنا بلا كلمة واحدة. واحياناً كان يرفض الخروج من غرفته حينما ادعوه. وفي احدى المرات سألني: «لماذا تجد متعة كبيرة في حديث تافه غير ذي جدوى؟» فكنت اضحك فقط، بالرغم من انني كنت اعرف في صميم قلبي انه انما حقرني.
وبمعنى ما، من الجائز انني استحق منه هذا الاحتقار. لقد كانت وجهة نظره في كل شيء اكثر ترفعاً من وجهة نظري. انا لاانكر هذا. واذا كان الترفع فقط في وجهة نظر المرء، عند ذاك يتعوق على نحو

ميئوس منه كأنسان. فقررت بأن ما يحتاج هو اليه، قبل اي شيء آخر ان يكون انسانياً. لقد اكتشفت بأنه مهما كان رأس الانسان مليئاً بصورة العظمة، فلا فائدة منه إن لم يكن انساناً قبل اي شيء. وفي محاولة مني لاجعل منه اكثر انسانية سعيت فيما بعد ان اشجعه على تمضية اطول وقت ممكن مع السيدتين. وظننت انه عندما اعتاد على الجو الذي يخلقه حضور النساء، انه سوف يصبح اقل عزلة واكثر حيوية.

وبدا ان تجربتي قد افلحت تدريجياً. فما لاح صعباً انجازه في البداية صار اسهل فأسهل. وظننت ان (ك) قد تعلم الاعتراف بوجود عالم غير عالمهُ. وفي احد الأيام قال لي بأن النساء قبل كل شيء لسن محتقرات كما قد يحسب المرء. وكان (ك) يتوقع دائماً من النساء ان يمتلكن معرفة الرجال وثقافتهم نفسها. وفي يأسه منهن صار ينظر اليهن بأحتقار. انه لم يعرف ان هناك اسلوباً للحكم على النساء واسلوباً آخر للحكم على الرجال. قلت له. «اذا امضينا، انا وانت بقية حياتنا اعزبين نتبادل الاحاديث على الدوام، فسوف نتقدم في العمر كخطين مستقيمين متوازيين.» قال، «طبعاً.» في ذلك الوقت كان عقلي منشغلاً بأوجوسان، وكانت افكاري بالطبع متأثرة بهذه الحقيقة. لكنني لم أنطق بكلمة واحدة لـ(ك) عن السبب الاساس لهذه الاشارة.

كان من المبهج لي جداً ان اراه يخرج تدريجياً من حصن كتبه وان ارى قلبه يبدأ بالتخلص من التحفظ. كان هذا هو املي عندما اتيت به الى البيت لاول مرة، وكان من الطبيعي ان اسعد بأن ارى خطتي تنجح

نجاحاً حسناً. فأخبرت اوكوسان واجوسان ـ ولم اخبر (ك) نفسه ـ عن عظم سعادتي بأن اراه قد تغير. ولاح لي بأنهما كانتا سعيدتين ايضاً.

*

مع انني و(ك) كنا طالبين في الكلية نفسها، الا اننا كنا ندرس موضوعات مختلفة. وعليه كنا نغادر البيت ونعود اليه في اوقات مختلفة فاذا كنت الاول في العودة كنت في الواقع اجوس في غرفته لكي ابلغ غرفتي، واذا اتفق لي ان اعود بعده، حينذاك كنت اقول له كلمة او كلمتين على نحو عابر. كان (ك) يرفع بصره من ايما كتاب يقرؤه عندما يسمعني افتح الباب ويقول رداً على تحيتي، «هل عدت تواً؟» فأومىء برأسي بصمت او اقول، «نعم،» وانا امر بمنضدته.

وفي احد الايام اتفق لي ان اذهب الى (كاندا) في طريقي الى البيت، فرجعت متأخراً اكثر من المألوف. وبخطوات سريعة توجهت نحو الباب الامامي وفتحته محدثاً صوتاً قليلاً. وما كدت ان افعل هذا، حتى سمعت صوت اوجوسان. وكنت متأكداً من ان الصوت قادم من غرفة (ك). وبمواجهة غرفة الجلوس الامامية كانت تقع غرفة الصباح، ووراءها كانت تقع غرفة اوجوسان. والى يسار غرفة الجلوس الامامية كانت تقع غرفة (ك) ومن بعدها غرفتي. لقد عشت في البيت فترة طويلة بتُ فيها قادراً ان اعرف المكان الذي يصدر منه اي صوت. وبسرعة اغلقت الباب ورائي. فتوقفت اوجوسان عن الحديث. وبينما كنت اخلع فردتي حذائي ـ وبدأت ارتدي فردتي نعلي الثقيلتين ذاتي الأربطة ورائجتي الطراز آنذاك ـ لم يبق اثر لصوت في غرفة (ك).

فاستغـربت ذلـك. وبـدأت افكـر ربما انني كنت مخطئاً. لكن عندما فتحت الباب المؤدي الى غرفة (ك) «هل عدتَ تواً؟» اما اوجوسان فقد ظلت جالسـة وقـالت، «مـرحبـاً بك في البيت.» ربمـا قد خُيـل اليَّ، لكـنني أحسب انني قد استشعـرت قليـلاً من الجمـود في تحتيهـا البسيطـة. لقـد ادهشتني نغمتهـا بكـونهـا غيـر طبيعيـة شيئـاً ما. قلت لأوجـوسـان، «اين اوكـوسـان؟» لم ينطـوسؤالي على معنى ماكر. لقد سألت ببساطة لأن البيت بدا هادئاً على نحو غير اعتيادي.

وظهـر ان اوكـوسـان لـم تكن موجـودة في البيت. لقد خرجتْ برفقة الخادم. لذا كان (ك) واجوسان وحدهما في البيت. فلم استطع الا ان اعجب من هذا. فلم يحـدث ابـداً ان تركتني اوكـوسـان لوحـدي في البيت مع اوجوسان، مع العلم انني عشت معهما فترة اطول نسبياً مما عاش فيهـا (ك). سألتُ اوجـوسـان ان كانت اوكـوسـان قد غادرت في مهمـة طارئـة. فما كان منها الا ان ضحكت. كنت اكره النساء اللواتي يضحكن في مثـل تلك الاوقـات. واعتقـد ان بوسـع المـرء ان يغض الطرف عن هذا العيب وينظر اليه كشيء مألوف لدى جميع الشابات. على ايـة حال، لقـد اعتـادت اوجوسان ان تجد سبباً للضحك في اكثر الامـور تفـاهـة. ولمـا لاحظت اوجوسان التعبير المرتسم على وجهي، استرجعت رصانتها. وقالت بأنه لم يوجد هناك امر طارىء. ربما انني نزيل عندهم لم املك الحق بأن الحف في السؤال. وعليه لم ازد في القول شيئاً.

ومـا كدت ابـدل ملابسي واستقـر في غرفتي حتى عادت اوكـوسـان

والخـادم . بعـد ذلـك بفتـرة قصيـرة جلسنا الى مائدة الغداء . وقبل ان يتسنى لي ان اتعـرف على العـائلة جيداً ، كانت العادة المألوفة هي ان يجلب لي الخادم جميع وجباتي الى الغرفة في صينية . لكن سرعان ما انقطعـوا عن معـاملتي كنـزيل ، وبدأت اتناول الطعام معهما بأنتظام .
وعليـه حينمـا انتقـل (ك) الى البيت ، طلبت منهمـا ان تدعـواه الى ان يشـاركنـا في اوقـات الطعام . ولكي اظهر لهما تقديري لصدوعهما لما طلبت ، فقـد اشتـريت منضـدة طعـام خفيفـة مصنـوعـة من الخشب الخفيف السُمك ، ذات قوائم قابلة للطي . ويبدو ان مثل هذه المناضد موجودة في جميع البيوت الآن ، لكن في تلك الايام . كانت هناك قلة من العوائل تقتنيها . لقد كلفت نفسي عناء الحصول على احداها وقد صنعها خصيصاً صانع اثاث في (اوتشانوميزو) .

وبينمـا كنـا جالسين حول هذه المـائـدة اخبـرتني اوكوسان بأن بائع السمك اخفق في المجيء في ذلك اليوم في الساعة المعهودة ، وعليه فقـد خرجت لتشتـري لنـا بعض السمك . فقلت لنفسي : أجل ! لماذا تفعـل مثـل هذه الامور مادام لديها نزلاء . نظرت اوجوسان الي وبدأت تضحك . لكنها توقفت بسرعة كافية عندما وبختها امها .

*

مرة أخـرى ، بعـد حوالي اسبـوع ، رجعت الى البيت فوجدت (ك) واوجوسان يتحدثان الواحد للاخر في غرفته . وفي هذه المناسبة بدأت اوجوسان تضحك حالما رأتني . وأحسبُ انه كان يجب عليَّ ان اسألها وقتـذاك عمـا وجدته سبباً للضحك . عوضاً عن ذلك دلفت مباشرة الى

غرفتي دون ان انطق بكلمة. ولم اعط (ك) الفرصة لكي يحييني بتحيته المألوفة، «هل عدت تواً؟» بعد ذلك بوقت قصير جداً، اظن انني سمعت اوجوسان تعود الى غرفة الصباح.

بعد الغداء، اقنعت (ك) ان يتنزه معي. ومن وراء معبد (دينزوين) ذهبنا حول الحديقة النباتية ورجعنا الى قعر المنحدر في (توميزاكا). كانت نزهة طويلة نوعاً ما، لكننا قلنا شيئاً قليلاً خلالها. وكان (ك) بطبعه اقل كلاماً مني. كما انني شخصياً لم اكن ثرثاراً جداً. لكنني في هذه المناسبة حاولت ان أجري حديثاً معه. واردت على الاكثر ان اناقش معه شؤون العائلة التي نسكن معها. واردت ان اعرف كيف ينظر (ك) الى كل من اوكوسان واوجوسان. لكن كانت الاجوبة التي رد بها على اسئلتي غامضة جداً، اذ لايستطيع المرء ان يقول ان كانت ردوده آتية من الجبال او البحر. ومهما يكن من امر، وبالرغم من غموضها، كانت اجوبة بسيطة نوعاً ما. وبدا ان موضوع دراسته الخاصة قد اثار اهتمامه اكثر مما اثاره امر السيدتين. وحقاً كانت امتحانات السنة الثانية تقترب، واعتقد ان من وجهة نظر شخص اعتيادي، ان (ك) كان يتصرف كطالب اكثر مني. واتذكر انه ادهشني باشاراته الى سويدنبرغ وغيره، اما انا فلم اكن باحثاً.

وعندما اكملنا امتحاناتنا بنجاح، سُرت اوكوسان جداً بنجاحنا وقالت، «حسناً، بقيت امامكما سنة واحدة فقط.» وكان متوقعاً ايضاً ان تتخرج اوجوسان قريباً، وقد كانت هي زهو اوجوسان الحقيقي الوحيد. وقد المح (ك) لي بأن النساء يتخرجن كما يبدو دون ان يتعلمن شيئاً.

وانـه لم يمحض ايـة اهميـة مهمـا كانت الى تلك الاشيـاء التي كانت تتعلمهـا اوجـوسـان خارج المـدرسـة مثـل آلـة الكـوتـو وترتيب الورود والخيـاطـة. فضحكت من غبـائه. ومرة أخرى قلت له بأن طريقته هذه في الحكم طريقة غير مناسبة في تقويم امرأة. فلم يجادلني. من ناحية أخرى لم يبد عليه الاقتناع. فسرني ذلك. واعتبرت موقفه الذي يوحي بأن المـوضـوع لايستحق منـاقشة جادة، علامة على الاحتقار الذي ما زال ينظـر به الى النسـاء. وقـررت بأن اوجـوسـان التي كنت انظـر اليها كتجسيـد للصفـات الانثـوية، ذات اهمية ضئيلة بالنسبة لـ(ك). وكان من الواضح الآن انني كنت اغار منه قليلاً.

اقتـرحت على (ك)، انـه ينبغي لكلينـا ان نذهب الى مكـان ما في اثناء العطلة الصيفية. فقال بأنه ليس متلهفاً جداً على ترك طوكيو. ومن المؤكـد انـه لم يكن في موقف يسـاعـده على الـذهـاب الى اي مكان يشـاء، لكن لم يوجـد شيء يمنعه من اللحاق بي اذا ما دعوته. وسألته عن سبب عدم رغبته بالسفر. فقال بأنه لايوجد سبب خاص، وانه يريد فقـط البقـاء ومطـالعـة الكتب. واشرت بأن من الافضل لصحتنا لو اننا ذهبنـا الى مستجم بارد وطـالعنـا كتبنـا هنـاك. فقال لي اذا كان هذا هو السبب في رغبتي بالرحيل، فعليَّ ان اذهب لوحدي. لكنني لم ارغب ان اتركه في البيت. لقد صرت انظر الى الفته مع السيدتين بشيء من عدم الارتيـاح. لعلك تسأل، «ألم يكن هذا هوما اردتَ؟ ألم تفـرض (ك) عليهمـا؟» بالطبـع كنت أحمق. ولمـا لاحظت اوكـوسـان بأننا لا نصـل الى اتفـاق عنـدمـا نُترك وحدنا، فقد تدخلت وساعدتنا على ان

نحزم امرنا. وفي الاخير تقرر ان يذهب كلانا الى ساحل (بوشو).

*

لم يسافر (ك) كثيراً، وكانت تلك هي رحلتي الاولى الى (بوشو) وبما اننا لم نعرف شيئاً عن هذا الجزء من الريف، فقد نزلنا من السفينة بأسرع ما يمكن. ووجدنا نفسينا ـ اتذكر ذلك بوضوح تام ـ في مكان يدعى (هوتا). من الجائز ان يكون المكان مختلفاً الآن، لكن في تلك الايام، كان المكان قرية صيد بغيضة. كانت رائحة السمك منتشرة في كل مكان، وكانت الامواج تصرعنا في اي وقت نحاول فيه الاستحمام وكانت الحصى الكبيرة تصطدم بنا، فاذا ما خرجنا من الماء كانت ايدينا واقدامنا مسلوخاً عنها جلدها.

وسرعان ما ضجرت من المكان. اما (ك) فلم يبد استحساناً او استياءً. وبالرغم من انه لم يخرج من ماء البحر من غير خدوش، فقد بدا ظاهرياً في الاقل، غير مبال بمحيطه هذا. في النهاية افلحت في اقناعه بأن (هوتا) مكان بغيض، فغادرناها الى (توميورا). ومن هناك ذهبنا الى (ناكو). وكان الجزء من الساحل هناك مأهولاً بالطلبة ولم نجد صعوبة في ايجاد اماكن مناسبة للسياحة. وغالباً ما جلست انا و(ك) على الصخور القريبة من الشاطىء وراقبنا البحر الممتد بعيداً وراء الافق او القاع الرملي المنظور من خلال المياه القريبة. وكان المشهد تحت الصخور جميلاً على نحو خاص. واستطعنا ان نرى الاسماك البراقة الالوان، بعضها حمر وبعضها غامقة الزرقة، مما لا يجد المرء مثيلاً لها في سوق الاسماك، وهي تسبح في المياه الرائقة.

وفي الغالب حملت الكتب معي الى الصخور وقرأتها هناك. من جانب آخر لم يفعل (ك) شيئاً وجلس بالقرب مني صامتاً. ولم استطع ان اجزم ان كان (ك) يتأمل اويستوعب الجمال من حوله او ببساطة يحلم احلام يقظة. وبين حين وآخر كنت ارفع بصري اليه واسأله عما كان يفعل. كان يقول، «لاشيء». وغالباً ما وجدت نفسي افكر كم كان يكون جميلاً لو ان الشخص الجالس بجانبي هادئاً لم يكن (ك)، بل اوجوسان. ولسوء الحظ طالما قادتني هذه الفكرة بعيداً الى النقطة التي بدأت اتساءل فيها ان كان (ك) الجالس هناك مستغرقاً بالضبط بما كنت احلم به. حينذاك كان ينتابني القلق وانقطع عن الاستمتاع بالكتاب الذي كنت اطالعه وابدأ بالصراخ بصوت عالٍ. ولم اجد ما يرضي نفسي في اشكال الانطلاق العاطفي المعتدل من طريق ترديد قصيدة او الترنم بأغنية. بدلاً عن ذلك كنت اصرخ كما يفعل بربري غير منضبط. في احدى المرات امسكت بعنق (ك) من الخلف وقلت، «ما الذي تفعله لو انني دفعت بك الى البحر؟» لم يحرك (ك) ساكناً. ودون ان ينظر الى الخلف قال، «سيكون هذا شيئاً لطيفاً. ارجوك افعل.» وبسرعة سحبت اليد التي كانت تمسك بعنقه.

وكان يبدو حينذاك ان حالة (ك) العصبية تتحسن على نحو ملحوظ. ومن ناحية اخرى كانت اعصابي تزداد توتراً. فحسدت (ك) الذي كان اهدأ مني. كرهته. وما ازعجني هو انه لم يعبأ بي مهما فعلت. وحسبت ان هذه علامة على ثقة (ك) بالنفس. غير ان تنامي ثقة (ك) مؤخراً بعثت فيَّ قليلاً من الرضا. هل صار حقاً متفائلاً بدراساته وعمله

المستقبلي مرة أخرى؟ واذا كان الامر كذلك، فلا لزوم لوجود اي تنافس بيننا. في الحقيقة، كنت اجد رضى بأن جهودي في مساعدته لم تذهب سدى. لكن اذا كان صفاؤه الجديد قد جاء نتيجة احتكاكه بأوجوسان، فكنت اجد من المستحيل ان اصفح عنه. لقد بدا ان (ك) لم يكن شاعراً تماماً بحبي لاوجوسان. وبالطبع كنت شديد الاحتراس من الافصاح تماماً عن ذلك. لكن لانكران بأن (ك) لم يكن حساساً بمثل هذه الامور. ويجب ان اعترف انه بسبب شعوري بانتقاء هذه الحساسية فيه كنت اقل تردداً مما كان ينبغي حين دعوته للسكن معنا.

*

لقد قررت ان أُفضي بسري الى (ك). في الحقيقة كنت اريد ان افعل هذا منذ فترة. لكنني وجدت نفسي غير قادر حين التحدث الى (ك) باقتناص اوخلق اللحظة المناسبة لعرض الموضوع بشكل عرضي. وعندما افكر بالمسألة الآن، ارى ان اصدقائي آنذاك كانوا غريبي الاطوار نوعاً ما. فلم يكن بينهم احد قد اظهر اي ميل لمناقشة مشكلاته الرومانسية دون تحفظ. واظن ان عدداً كبيراً منهم حقاً لم يكن لديه ما يتحدث عنه. على اية حال يبدو ان العادة كانت ان لايتبادلوا الافضاء بالاسرار المتعلقة بالنساء. اما انت الذي اعتدت على جو فيه مزيد من الحرية لابد ان تحسب ذلك غريباً. وسواء كنا لانزال تحت تأثير التعاليم الكونفشيوسية اوكنا خجلين، فسأتركك تقرر هذا بنفسك.

كنت انا و(ك) صديقين حميمين، ولم يكن بيننا الا القليل الذي

نشعـر بأننـا غير طليقين بأن يناقشه الواحد منا مع الآخر، وفي مناسبات نادرة تحـدثنـا عن الحب، الا ان المـوضـوع لم يتجـاوز ابـداً التنظيـر المجـرد. وكمـا قلت، نادراً ما ناقشنـاه. وقـل ما تحـدثنـا عن امور غير الامور المتعلقة بأعمالنا في المستقبل وطموحاتنا ووسائل تنظيم افكارنا واهتمـامـاتنـا الـدراسية والكتب وما شاكل ذلك. ومع اننا كنا صديقين جيـدين، الا ان صداقتنـا اتسمت بالشكلانية الجامدة وكان من العسير عليَّ ان اخترق جدار هذه الشكلانية. لقد اتخذت صداقتنا هذا الطابع ومـا عِاد بوسعنـا ان نتقـارب اكثـر الا في حدود ضيقة. وفي مرات كثيرة كنت على وشـك ان احـدثه عن اوجوسان، لكنني دائماً ما تقيدت لأن جداراً منيعـاً كان يقف بيننـا. وفي الغـالـب، في حالـة قنـوط، شعرت برغبتي بأن احفـر فجـوة في مكـان ما من رأسـه، لكي تهب من خلالها نسمة رقيقة ودافئة.

لابـد ان هذا كله يبـدو سخيفـاً في نظرك. الا انني وقتذاك كنت في حالة عذاب عظيم. لم اكن بأقل جبناً مما كنت في طوكيو. راقبت (ك) بدقـة آمـلاً ان يمنحني الفـرصة لافضي له بسري. لكنه لم يفارق، ولو مرة واحـدة، عزلتـه البغيضـة. وكأن قلبـه قد غُطي بطبقة من ختم اسود وكـانت الطبقـة اسمـكَ من ان يختـرقهـا دم حار. وكـانت هناك اوقات وجـدت فيهـا بعض العـزاء لمـا لمستـه فيه من نبل الافكار الواضحة. وكنت اندم لما كان يراودني من شك في شخص مثله، وكنت اعتذر له في داخلي. وعنـد ذاك كنت ابـدأ بالحقـد على نفسي لمـا انا عليه من سوء الطوية. لكن هذا الشعور بالاثم لم يلازمني طويلاً. اذ سرعان ما

تهجم عليّ الشكوك القديمة نفسها. وفي مثل هذه الاوقات كنت اقارن نفسي بـ(ك)، مقارنة غير منصفة طبعاً، لأن الرغبة بالمقارنة صادرة عن الشك. وكنت اقول لنفسي انه من المؤكد احسن مظهراً مني وان طبعه ايضاً، الذي بدا اقل اهتياجاً مني، لابد ان يكون اكثر جاذبية لدى الجنس الآخر. اما بصدد مظهره العقلي الساهي، افلا تقول النساء عنه بأنه دليل على قوة الرجولة؟ صحيح، اننا كنا ندرس موضوعات مختلفة، لكنني اعرف جيداً بأنني لم اكن نظيراً له في القدرة الذهنية. واجمالاً قررت بأنني لست شخصاً جذاباً مقارنة به. وفي الحال كانت تحل مخاوفي القديمة محل راحتي العابرة.

لقد لاحظ (ك) حالتي غير المستقرة وقال بأن لامانع لديه اذا عدنا الى طوكيو. وحينما قال هذا، اصبحت فكرة العودة الى طوكيو فجأة مقيتة في نظري. من المحتمل انني لم ارد ان اسمح له بالعودة. على اية حال، قررنا مواصلة رحلتنا. وذهبنا الى البر الرئيس في (بوشو). وواصلنا السير ونحن نئن تحت وطأة حرارة شمس منتصف الصيف. وبدأ السير يبدو لي غير ذي معنى، وعبرت عن ذلك بطريقة شبه هازلة. فأجاب (ك)، «اننا نمشي لاننا نملك سيقاناً.» وعندما اشتد الحر علينا خلعنا ملابسنا وقفزنا الى البحر. وفي نهاية النهار أخذ منا التعب مأخذه بسبب السباحة والحر اللاهب.

*

ان سيراً شاقاً كهذا لايمكن الا أن يؤثر على جسد المرء. وحالة الجسد هذه لاتشبه حالة مرضية. في الواقع ان المرء يشعر كأن روحه

وجـــدت لنفسهـا ملاذاً غريبـاً . وتحـدثت مع (ك) كالمعتـاد، غيـر ان مشاعري تبدلت بشكل ما. واكتسبت عاطفتي وكراهيتي نحو (ك) صفة خاصـة بسبب هذه النـزهـة على الاقـدام. ومـا اقصده هو ان علاقتنا، وربما بسبب الحرارة والسباحة والمشي، قد انتقلت مؤقتاً الى مستوى مختلف. كنا مثل بائعين متجولين جابا مسافات شاسعة وقد التقيا على الطـريق بالصـدفـة. وتحـدثنـا مع بعضنا، لكننا لم نقل شيئاً ذا اهمية جدية بالنسبة لنا.

وعلى هذه الشـاكلة وصلنـا الى (تشوشي) اخيراً. مع ذلك، حصل حدث استثـنـائي واحـد لازلت اذكـره. وقبـل تركنـا (بوشو)، توقفنا في مكان يُدعى (كوميناتو) وذهبنا لنرى (خليج تاي).[1] والى ذلك الحين كانت قد مضت سنـوات طويلة لم اهتم فيهـا ابـداً بمثل هذه الاشياء، ولـذلـك لا استطيع ان اتذكر بوضوح، لكن يبدو ان (نيتشيرين)[2] كان قد ولد في (كوميناتو). وطبقاً للاسطورة المحلية فأن سمكتين من نوع (تـاي) قد قُذف بهمـا الى الشـاطىء في وقت ولادتـه. واحتـراماً لهذه الاسطورة دائماً ما امتنع القرويون عن الصيد في الخليج. وبما اننا قد سمعنـا بأن الخليـج مليء بأسمـاك التـاي لهذا السبب، فقد استأجرنا قاربـاً صغيـراً وخـرجنـا الى البحـر لنـرى هذه الاسمـاك. لقد انبهرت بالمشهــد تحت المـاء وشعـرت بأنني لن أكِّـل ابـداً من التفـرج على

١ـ تاي: سمك أحمر من فصيلة الشبوط، وهو في اليابان رمز للخط الجيد.

٢ـ نيتشرين (١٢٢٢ ـ ١٢٨٢): واحد من الشخصيات العظيمة في تاريخ البوذية اليابانية.

الاسماك ذات اللون البنفسجي وهي تتلوى وتدور تحت الامواج. وبدا (ك) غير مولع بالاسماك مثل ولعي بها. كما بدا انه كان يفكر بـ(نيتشرين). ووجدنا في القرية معبداً اسمه (تانجوجي).[3] واظن انه سمي بهذا الاسم لان (نيتشرين) ولد هناك في (كوميناتو). ومما لاريب فيه انه معبد مؤثر. وقال (ك) بأنه يريد مقابلة الكاهن الاول. واذا اردت الحقيقة، كنا رثّي الثيابَ وقتذاك. وبدا (ك) مخزياً جداً. كانت قبعته قد طارت اثناء سيرنا على الاقدام على امتداد الساحل وكان يرتدي الآن قبعة مصنوعة من البردي. وكانت ملابسنا متّربة وتفوح منها رائحة العرق. فقلت لـ(ك) بأنني لااعتقد ان الكهنة سوف يرحبون بنا. لكنه كان عنيداً ولم يصغ لي. «اذا لم ترد الدخول، فبوسعك الانتظار هنا»، قال هذا، عندما وصلنا بوابة المعبد. فاضطررت الى مرافقته الى داخل البهو الامامي. وكنت متأكداً تماماً بأنهم سيرفضون قبولنا. الا انني كنت مخطئاً. لقد اكتشفت بأن الكهان بصورة عامة اكرم مما يتوقع المرء. فأدخلونا الى غرفة جميلة وكبيرة وهناك استقبلنا رئيس الكهان. في تلك الايام كانت اولاعي مختلفة عن اولاع (ك) وعليه لم اصغ بعناية لما كان يقوله (ك) والكاهن، لكنني اتذكر جيداً بأن (ك) سأله اسئلة كثيرة عن (نيتشرين).

٣ـ يعني: «معبد الميلاد».

وعنـدمـا اشـار الكـاهن الى ان نيتشـرين كان استـاذاً كبيراً في خط الحـروف الصينيـة المتصلة، اتذكر أن (ك) الذي كان خطاطاً متواضعاً قد نظـر اليـه برمـاً. واعتقـد بأنـه اعتبـر مثـل هذه الحقـائق ثانوية وغير مناسبة. من الواضح، انه اراد من الكاهن ان يقول شيئاً اهم من ذلك عن الـرجـل العظيم. انني لم اعـرف ان كان (ك) راضيـاً عن هذه المحادثة ام لا: على اية حال، عندما خرجنا من المعبد بدأ يلقي عليَّ محـاضـرة عن نيتشـرين. كنت تعبـاً وحـاميـاً فلم اعـره اهتماماً كبيراً، وكانت تعليقاتي فاترة وضجرة. وفي الاخير انقطعت عن قول اي شيء البتة.

واعتقد اننا تناقشنا في المساء التالي. فقد تناولنا طعامنا في الفندق وتهيأنا للنوم. واكتشفت بأنه قد استاء من قلة اهتمامي بتعليقاته عن نيتشـرين في اليـوم السـابق وبدأ يهاجمني بسبب تفاهتي قائلاً بأن اي انسان لايمتلك طموحات روحية انما هو احمق. لقد جعلتني مخاوفي على اوجوسان ان اكون اكثر احساساً بها من احساسي بتلميحات (ك) المهينة لي. وبدأت ادافع عن نفسي.

❊

اتـذكـر انني استخـدمت كلمة «انساني» باستمرار دفاعاً عن موقفي ومهاجمة لموقفه. واصرَّ (ك) بأنني كنت احاول اخفاء ضعفي كله وراء هذه الكلمـة. والآن، ارى انـه كان مصيباً. لكن في محاولتي الاشارة الى التـزامـه بحـدوده صرت عدائيـاً ولم اعد في حالة نفسية اكون فيها موضـوعيـاً عن نفسي. وصـرت اكثـر حزمـاً من السابق. وفي النهاية،

سألني عن السبب الذي دعاني لان اعتبره غير انساني. فأخبرته بأنه انساني حقاً، وربما انساني جداً، الا ان المرء لن يخمن ذلك ابداً من كلماته. فضلاً عن ذلك، قلت له بأنه يحاول جاهداً ان يعيش ويتصرف بطريقة غير طبيعية بالنسبة للبشر.

عندما قلت هذا، لم يناقشني. كل ما قاله هو ان النقص في تربيته كان مسؤولاً عن الرأي القاصر الذي يبدو انني احمله عما كان يحاول انجازه. لم تبعد هذه الملاحظة الريح عن اشرعتي وحسب، بل انني بدأت أأسف على ما قلت. فتوقفت عن النقاش آنذاك. واصبحت نغمة (ك) اكثر هدوءاً. وقال بحزن، «لو انك فقط عرفت رجال الماضي اولئك كما اعرفهم، لما كنتَ منتقداً لي هكذا.» وبالطبع لم يكن رجال الماضي الذين اشار اليهم ابطالاً بالمعنى التقليدي، بل كانوا زهاداً ظلموا ابدانهم من اجل حرية ارواحهم وجلدوها عسى ان يجدوا الطريق. قال، «كم اتمنى ان تتمكن من فهم معاناتي».

ذهبت انا و(ك) الى سريرينا. وفي اليوم التالي عادونا سيرنا المرهق والملتوي. مرة أخرى، صارت علاقتنا مثل علاقة بائعين متجولين في الطريق. على اية حال، فكرت في اثناء السير بين حين واخر، بمناقشة الليلة السابقة ولعنت نفسي لتضييعي مثل هذه الفرصة الجيدة في الافضاء اليه بسري. وقلت لنفسي كان ينبغي ان اكون اكثر صراحة، وبدلاً عن توجيه النقد اليه بكونه غير انساني وما شابه، كان من الواجب ان اعترف له بصراحة عن السبب الحقيقي لحزني. لقد كانت اوجوسان جوهر الأمي وكان من مصلحتي الخاصة ان لااحاول اخفاء

هذه الحقيقـة تحت عمـوميات شبه حقيقية . لكن يجب ان اعترف بأن صداقتنا اصبحت ذات مسحة عقلانية ولم اكن امتلك الشجاعة للتمرد علناً ضد هذا النموذج الراسخ لصداقتنا . لعلك تعزو هذا الضعف من جهتي الى التصنع او الخيلاء . واذاما حاولتَ أن تفهم بأنه ليس من ذلك النوع الاعتيادي من التصنع او الخيلاء ، فلن اجد بأساً .

وعـدنـا الى طوكيـو اسودين تقريباً من لفح الشمس . وتبدلت حالتي الـذهنيـة آنـذاك وتـوقفت الافكـار التافهة عن خصال (ك) الانسانية او انتقـائهـا فيـه ، عن اقـلاقي كثيـراً . وافتقـد (ك) ايضـاً الكثير من روحه الدينية . واشك ان كانت مشكلة الجسد والروح قد سببت له قلقاً بعد ذاك . ومثـل بربـريين حدقنـا الى مشهـد الازدحـام حولنا . وتوقفنا عند مطعم (رايـوغـوكـو) ، وبالرغم من حرارة الجو، امتعنا انفسنا بوجبة من الـدجـاج . ويبـدو ان هذه الـوجبـة قوّت (ك) فأقتـرح ان نسير المسافة بطولها الى (كويشيكاوا) . كانت بنيتي الجسدية اقوى منه ، فوافقت بسرعة .

وعندما رأتنا اوكوسان ادهشها منظرنا . لم نكن اسودين وحسب ، بل ان المشي انحفنـا جداً . وحـالما زايلتها الصدمة ، كان شيئاً لطيفاً منها ان تقـول بأننـا بدونـا في صحـة تامـة . «انـك تناقضين نفسك تماماً ، » قالت اوجـوســان وضحكت من امها . شعرت بالبهجة ونسيت بأنني لم أتـرك طوكيـو دون مشـاعـر استياء نحوها . برغم ذلك ، فأنا لم ارها منذ وقت ، واعتقد ان المناسبة سعيدة .

*

سرعان ما لاحظت بأن اسلوب اوجوسان قد تبدل نحوي. وبعد مثل هذا الغياب الطويل كان يوجد الشيء الكثير الذي يجب القيام به قبل ان يكون بوسعنا الاستقرار من جديد في وضعنا المألوف. واقبلت السيدتان على مساعدتنا. وطبعاً كان اوكوسان اكثر عوناً. غير ان ما سرني على نحو خاص هو ان اوجوسان ابدت اهتماماً اكبر باحتياجاتي اكثر مما فعلت نحو (ك). والآن، لو انها فعلت ذلك بأسلوب خشن لأصابني الارتباك، لا بل انزعجت. الا انها اظهرت حساً عظيماً، وحمل فعلها ايحاءً رقيقاً بالتودد مما جعلني مسروراً جداً. كانت لطيفة معنا نحن الاثنين، الا انها منحتني القسط الاوفر من لطفها الطبيعي بطريقة أحس بها انا وحدي. وعليه لم يكن هناك من داع لانزعاج (ك)، وبقدر ما يتعلق الامر به، لم يحدث شيء خارج المألوف. لقد سجلت انتصاراً على (ك)، فأمتلأ قلبي بحس الظفر.

واخيراً بلغ الصيف منتهاه. وحوالي منتصف ايلول بدأنا نحضر من جديد المحاضرات في الجامعة. مرة أخرى كانت جداولنا مختلفة، فكنا نذهب ونعود في اوقات مختلفة في اثناء النهار. واتذكر ان (ك) كان يعود الى البيت قبلي ثلاث مرات تقريباً في الاسبوع، لكنني لم اجد اوجوسان مرة واحدة في اثناء الاسابيع القليلة الاولى من الفصل في غرفته عندما كنت اعود. كان (ك) يحييني بتحيته المعهودة، «هل عدت تواً؟» وكان ردي ايضاً آلياً وبسيطاً وبلا معنى تقريباً.

لقد اتفق في احدى الصباحات ـ وكان ذلك حوالي اواسط تشرين

الاول، حسب ظني ـ ان استغرقت في النوم. ولما لم يتوافر لي الوقت في ارتـداء زيي الجـامعي فقد اندفعت خارجاً ببدلة يابانية. وبدلاً عن ارتداء الحذاء ذي الرباط، ارتديت نعالاً. وفي العادة. في ذلك اليوم من الاسبوع كانت محاضراتي تنتهي قبل محاضرات (ك)، وعليه فقد رجعت الى البيت ظانـاً ان (ك) لم يعـد بعـد. وعنـدمـا فتحت البـاب الامـامي سمعت صوت (ك). ثم طرق صوت ضحكـة اوجـوسـان سمعي. وبمـا انني كنت مرتـديـاً النعلين في ذلـك اليوم وليس الحذاء الذي يحتاج فك رباطه وقتاً طويلاً، فقد دخلت غرفة (ك) في الحال. وجـدت (ك) جالسـاً الى منضـدتـه كالمعتـاد. لكن اوجوسان لم تكن هناك. لقد فتحت الباب في الوقت المناسب تماماً ولمحتها وهي تغادر مسرعة. فسألت (ك) عن سبب عودته المبكرة. فقال بأنه لم يكن على ما يرام ولذلك قرر البقاء في البيت. ذهبت الى غرفتي وجلست. وبعد دقـائق قليلة جاءت اوجـوسـان ومعها كوب الشاي. قالت، «مرحباً بك في البيت.» كنت سمجـاً فلم ابتسم لهـا وعلقت «حسناً، لماذا هربت مني الآن؟» وطبعـاً لم اكن انـا من الصنف الـذي يخفف من حادثـة كهذه. لقد بقيت معي دقيقة او دقيقتين فقط. ثم نهضت وتركت غرفتي من طريق الشـرفـة. ووقفت خارج غرفـة (ك) وبـادلتـه كلمات قليلة. واحسب انهمـا واصـلا الحـديث الـذي قطعته عودتي. ولما لم اسمع الجزء الاول منه، فلم استطع ان اخمن عماذا كان يدور.

وبمضي الـوقت زاد اسلوب اوجـوسـان بعـدم الاكتراث، ولاحظت بأنهـا صارت اكثـر مجـاهرة في ابداء الود نحو (ك). وحتى عندما اكون

في البيت كانت تنادي بأسم (ك) من الشرفة، ومن ثم تدخل غرفته ويتبادلان حديثاً طويلاً. لكنك قد تسأل: بأي اسلوب يمكن لشخصين يعيشان تحت سقف واحد ان يتصرفا؟ ويجب ان اعترف بأن من الصعب ان تتجنب الدخول الى غرفته، فهناك، برغم ذلك، اشياء مثل رسائله وملابسه المكوية التي كان يجب ان تأخذها اليه. لكن بالنسبة لي، انا الذي نويت ان احتكر صحبتها، فقد بدا لي انها كانت تراه اكثر من اللازم. واحياناً لم يكن بيدي حيلة سوى الانطباع بأنها كانت تتحاشى صحبتي عن قصد لكي تكون مع (ك). وقد تسأل، «علام اذن لم تطلب منه مغادرة البيت؟ لكن كنت انا الذي اجبرت (ك) على المجيء والعيش معي لمنفعته الخاصة. وكان الطلب اليه بأن يغادر البيت شيئاً غير اصولي ومهيناً.

*

في يوم مطير وبارد من ايام تشرين الثاني، سرت متوجهاً الى البيت كالمعتاد عبر اراضي معبد (كونياكو ـ ايما) وصعدت الى الزقاق الضيق المؤدي الى البيت. كان معطفي مبتلاً وكنت اصطك من البرد. لم يكن (ك) في غرفته ولازال قدر جيد من النار في موقده. وتطلعاً مني لأن اجد مثل هذه النار في موقدي، هُرعت الى غرفتي. لكن كان يوجد فيها فقط رماد بارد ابيض حيث توقعت ان اجد فحماً احمر الجمرات. فألمّ بي الانزعاج.

ثم سمعت وقع خطوات تدنو من غرفتي. كانت اوكوسان. رأتني واقفاً بصمت في وسط غرفتي. لابد انها شعرت بالاسى نحوي، لانها

دخلت وساعدتني بأستبدال زيي ببدلة يابانية. ولما شكوت من البرد، دخلتْ الغرفة المجاورة وعادت ومعها موقد (ك). وعندما سألت اوكوسان فيما اذا كان (ك) قد عاد قبلي، اجابت بأنه عاد، لكنه خرج مرة ثانية. وفي ذلك اليوم كانت محاضرات (ك) تتأخر عن محاضراتي، ولذا عجبت من سبب عودته قبلي. فقالت اوكوسان بأن المحتمل ان لديه شغلاً يقضيه.

جلست وحاولت ان اقرأ. لم يكن في البيت صوت اسمعه. وبدا ان برد الشتاء المبكر وشعوري بالوحدة قد استحوذا على بدني كله. طرحت كتابي ونهضت. واعلمْ ان رغبة مفاجئة بالذهاب الى مكان لهو قد راودتني. ويبدو ان المطر قد انقطع، الا ان السماء لازالت تبدو باردة ومثقلة بغيم كألواح الرصاص. وقررت ان اخرج حاملاً مظلتي. فنزلت من التل صوب المشرق بمحاذاة السياج الخلفي لـ(ارسنال). ولم تكن سلطات المدينة آنذاك قد اخذت على عاتقها بعد تحسين الطرق في تلك المنطقة، ولذا كان المنحدر وقتذاك اكثر انحداراً مما هو عليه الآن. كما كان الطريق اضيق وغير مستقيم مثلما هو الحال اليوم. وبسبب رداءة المجاري وانتصاب الابنية العالية في الجانب الجنوبي التي اعترضت ضوء الشمس، فقد بدا الطريق موحلاً جداً حينما بلغت الوادي. وكان الطريق على اسوأ ما يكون بين الجسر الحجزي الضيق و(يانا غيتشو). وكان عليك أن تحترس في كل خطوة حتى وان كنت مرتدياً قبقاباً مطرياً عالياً او جزم (ويلنغتون). وكان يوجد شريط ضيق من الارض المداسة جيداً في وسط الطريق، وهو جاف نسبياً، وكان

عليــك ان تمـشي بحــذر لكي لا تزلق الى وراء. لم يكن عرض هذا الشـريـط اكثـر من قدم او قدمين، لذا كان المشي عليـه كالمشي على شال امـرأة مُدَّ على امتـداد الطـريق. ببطء وبطابور فردي سلك المشاة الطـريق خائضين في الـوحل. على هذا الشريط الضيق التقيت (ك). لم الاحظه وهو يسير صوبي، لان التزامي بسلك هذه الطريق استغرق انتبـاهي كله. فلمـا رأيت شخصاً امامي رفعت بصري ووجدت نفسي واقفــاً وجهـاً لوجـه امـام (ك). سألت، «اين كنت؟» فأجـاب بنغمتـه المألـوفـة، الجافة والمقتضبة، «في الطريق.» وانحشرنا بتقاطع سيرنا المتعاكس. ومن ثم اكتشفت بأن شابة كانت تقف على مبعدة خطوة او خطـوتين خلف (ك). وبمـا انني كنت قصير النظر فقد لزمني ان احدق اليهـا قبـل ان ادرك، ويـالـدهشتي. انني كنت انظـر الى اوجـوسـان. فخجلتْ قليـلاً وحيتني. وفي تلك الايـام لم تسـرح النسـاء شعورهن فوق جباههن، الا انهن كن يعقصنه في لفات شبيهة بالتواءات الافعى فوق رؤوسهن. فوقفت ساكنـاً وحـدقت بنظـرات فارغة الى رأسها. ثم تذكرت بأن احدنا كان يجب ان يتخذ خطوة جانبية لكي يسمح للاخر بالمـرور. تحـركت بسرعة ووطأت الوحل، وهكذا سمحت لاوجوسان ان تمر من جانبي.

واخيـراً وصلت الشـارع العـام في (يـاناغيتشو)، لكنني ماكدت ان اصـل الى هنـاك حتى وجـدت نفسي لا استطيع ان اقرر المكان الذي اذهب اليـه. ويبـدو انني لم اعبأ بالمكـان الـذي اذهب اليه. فمشيت بغضب ودون هدف في الوحل، غير آبه ان تلوثت برشاش الوحل ام لم.

اتلوث . بعد ذلك ذهبت الى البيت .

*

سألت (ك) ان كان قد خرج مع اوجوسان . فردّ بالنفي . وواصل موضحاً بأنه التقى بها صدفة في (ماساغوتشو) ومن ثم سار معها الى البيت . وكان لابد لي ان اكبح نفسي عن طرح مزيد من الاسئلة . على اية حال ، عند العشاء لم استطع ان امتنع عن سؤال اوجوسان عن المكان الذي ذهبت اليه عصر ذلك اليوم . فأجابت بضحكة ، بضحكتها تلك التي اكرهها جداً . ثم قالت ، «سوف ادعك تخمن . » في تلك الايام ، كنت شخصاً شديد الحساسية ، وكان يغضبني تماماً ان تعاملني امرأة شابة بمثل هذه الطريقة الفظة . كانت اوكوسان هي الشخص الوحيد حول المائدة الذي لاحظ ذلك . وكالمعتاد لاح (ك) غير مكترث بما يحيطه . اما بخصوص اوجوسان فلم استطع ان اتيقن فيما اذا كانت تزعجني عن قصد ام انها كانت تداعبني ببراءة . بالنسبة لا مرأة شابة كانت عموماً مراعية لمشاعر الآخرين ، ولكن لانكران بأنها كانت تمتلك بعض الخواص الشائعة عند جميع الشابات وهي خواص كنت اكرهها . علاوة على ذلك ، بدأت ألاحظ هذه الخواص فقط بعد انتقال (ك) الى البيت . وقلت لنفسي ربما لم تكن هذه الخواص الا من اختلاقات خيالي وسببها غيرتي من (ك) ، اوربما كانت حقيقية تماماً وقد نشأت عن غنج شابة في حضور رجلين . اذكّرك ، انه ليست لدي نية في نكران الحقيقة بأنني كنت غيوراً . وكما اخبرتك غالباً كنت وقتذاك واعياً تماماً بوجود غيرة عظيمة في حبي لاوجوسان . اكثر من

ذلـك، صرت اغـار لاسبـاب كان يجب ان تبـدو تافهة عند الآخرين. انني هنا أنحرف عن الموضوع الرئيس، لكن ألا تعتقد بأن هذا النوع من الغيـرة حالـة مصـاحبة ضرورية للحب؟ لقد لاحظت منذ الزواج، انني صرت اقـل فأقـل خضوعاً لنوبات الغيرة. ولاحظت ايضاً أن حبي ليس مشبوباً على الاطلاق كما كان من قبل.

مرة أخــرى، كان هنـاك ما يغـريني الى الكشف عن سر قلبي وان اقـذف به الى صدرهـا. وبكلمـة «صـدرهـا» لااقصـد اوجـوسـان بل اوكوسان. ومرة ثانية بدأت افكر بأن اطلب من اوكوسان يد ابنتها. غير انني لم أقـدر أن أحمـل نفسي على التحـدث اليها عن الزواج. ولابد انـك تظنني شخصـاً متردداً. واذا ما ظننت ذلك، فظنك هذا لايقلقني كثيراً. ان كل ما اريد ان اشير اليه هنا هو ان ترددي هذا لـم يكن بسبب ضعف ارادتي. وقبـل انتقـال (ك) الينـا، كان الخوف من ان أُخدع هو الـذي اوقفني من التقـرب الى اوكوسان بخصوص ابنتها. وبعد دخول (ك) الى الســاحــة، كان الشــك بأن اوجــوســان قد تفضله عليَّ هو المسؤول عن تراخّي. وفكــرتُ، وانت تفهم، اذا كان (ك) يعني حقـاً بالنسبة لها اكثر مما اعنيه، فأن حبي بعد ذاك لايستحق البوح به.

يجب ان لاتفكـر بأنني كنت اخشى الخـزي. ببسـاطة كرهت فكرة العيش مع امرأة كانت تفضل عليَّ بالسر شخصاً آخر. وانني اسلم بأنه يوجد كثير من الرجال الذين يبدون سعداء بما يكفي لان يتزوجوا نساءً يسحـرن عقـولهم، غيـر آبهين فيما اذا كان الجنس الآخر راضياً بهم او غير راضٍ. وكنت مقتنعاً اقتناعاً راسخاً بأن امثال اولئك الرجال اما ان

يكونوا اكثر مني خبرة بالناس واطيب في دوافعهم البشرية، او ان يكونوا اغبياء محتقرين لايفهمون الطبيعة الحقيقية للحب. كما انني كنت ايضاً متحمساً في حبي الى حد اوحيت فيه لنفسي مثلاً، بأننا حالما نتزوج فأن جميع المشكلات سوف تتوارى. بعبارة أخرى، لم تكن تنقصني كثيراً القناعات النبيلة عن الحب، لكن عندما اكتشفت بأن الحب ينطوي بالضرورة على اتخاذ فعل حاسم من جانبي، ترددت وجبنت وراوغت نوعاً ما.

وفي غضون الفترة الطويلة من الوقت التي عشنا فيها في البيت نفسه، كانت توجد، بالطبع، امامي مناسبات كثيرة لأن اخبر اوجوسان مباشرة كيف كان شعوري نحوها، لكنني أغفلت هذه المناسبات عن قصد. حينذاك كنت شاعراً جداً - ربما كثيراً جداً - بتلك الحقيقة:

ألا وهي ان التحدث مع اوجوسان عن الزواج قبل التحدث الى اوكوسان سوف يكون خرقاً فاضحاً للعادة اليابانية. من ناحية اخرى لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي منعني من الاعتراف بحبي لاوجوسان. وكنت اخشى ايضاً بأنها اذا لم تقبل بي زوجاً لأي سبب كان، فانها لن تقول ذلك بصراحة. وفكرت بأن اليابانيين، لاسيما النساء اليابانيات، كانت تنقصهم الشجاعة لأن يكونوا صريحين تماماً في مثل هذه المناسبات.

*

وهكذا وقفت ساكناً ولم اجسر على اتخاذ خطوة في اي اتجاه. كنت مثل شخص مريض في الفراش يغرق في نوم قَلِقٍ اثناء النهار.

ومن ثم يفتـح عينيـه بعد ان يفيق من نومه، فيرى بجلاء ما يدور حوله. بعد ذلك، للحظة اولحظتين. يغمره شعور بأنه وسط هذا العالم الذي يتحـرك، هو الشخص الـوحيد الساكن. كنت محاصراً بخوف من هذا النوع، ولو ان الآخرين لم يعرفوا به.

وبلغت السنــة القـديمـة نهـايتهـا. وذات يوم، اثنـاء موسم السنـة الجديدة، قالت اوكوسان بأنه ينبغي لنا جميعاً ان نلعب ورقاً، وسألت (ك) ان كان يرغب بدعـوة صديق له ليشـاركنـا اللعب. اجاب، «لكن ليس عنــدي اصـدقـاء.» فصُـدمتِ اوكـوسـان. حقـاً ليس عنـد (ك) اصـدقـاء. بالطبـع كان يوجـد عدد قليل من الطلبة الذين كانت له بهم معـرفـة ضئيلة، لكنـه لم يعـرف اياً منهم بما يكفي لأن يطلب منهم ان يشـاركـوه ويشـاركوا العائلة في لعب ورق. ثم التفتت اوكوسان نحوي وقـالت، «حسنـاً، في هذه الحالة. لِمَ لاتجلب انت زميلاً لك؟» وبما انني لم اكن في حالة نفسية مهيأة للالعاب المرحة، فقد اجبت بجواب غير ملزم. على اية حال، في تلك الامسية سحبتنا اوكوسان من غرفتينا واجبـرتنـا على ان نلعب الورق معهما. ولما لم يكن هناك ضيوف كان التجمع صغيراً، فمارسنا لعبة[١] هادئة جداً. وبما ان (ك) لم يعتد على قضاء وقت فراغ مرح، فقد جلس كلوح خشب. قلت له، «ألا تعرف

١ـ في هذه اللعبة التي تُلعب في السنة الجديدة تُطرح الاوراق ذات الصور على الارض. وتتطابق كل ورقـة منهـا مع قصيـدة تنتمي الى مجمـوعـة اسمهـا (هياكونين اسهو). وبعد أن تُقرأ القصيدة بصوت مرتفع يحاول الشخص أن يكون الاول في التقاط الورقة المناسبة. انها لعبة بريئة تستلزم مهارة قليلة، والقصد منها هو اللعب بمرح بالغ.

قصائد هياكونين اسهو؟» اجاب، «ليس جيداً.» ولابد ان اوجوسان ظنت بأنني لم اكن رفيقاً بـ(ك). ومن الواضح انها بدأت تساعده كلما استطاعت، وسرعان ما تحولت اللعبة الى منافسة بيني وبينهما معاً. كان من الممكن ان اتشاجر معهما لولا طريقة (ك) التي لم تنم عن بهجة عندما بدأت اوجوسان تؤيده. فتمكنا من انهاء اللعبة بسلام.

واعتقد انه بعد يومين او ثلاثة غادرت اوكوسان واوجوسان البيت في الصباح الباكر قائلتين بأنهما ذاهبتان في زيارة لقريب لهما في (ايتشيغايا). بقيت انا و(ك) في البيت، لاننا مازلنا في عطلة. لم تكن عندي نية للخروج. جلست بالقرب من الموقد واسندت مرفقي عليه وبدأت افكر بطريقة مبهمة وغير مترابطة. وكان ك ايضاً، الذي هو في غرفته، هادئاً جداً. لم يعط احدنا الاخر اية اشارة بأنه ما زال في البيت. على اية حال، لم يزعجني الصمت: كنا انا و(ك) معتادين عليه.

وفي حوالي العاشرة انفتح الباب بين غرفتينا فجأة، فرأيت (ك) ينظر اليّ من فرجة الباب: قال، «ما الذي تفكر به؟» لم استطع بكل صراحة ان اقول بأنني كنت افكر بشيء ما على الاطلاق. واذا كان الارتباك في ذهني آنذاك يسمى «تفكيراً»، فأفترض اذن انه يجوز لي ان اجيب، «اوجوسان.» ويجوز ان اضيف، «كنت افكر بأوكوسان ايضاً، وفي الحقيقة، بك، انتَ الذي يبدو اخيراً قد جعل الامور بالنسبة لي اكثر تعقيداً مما كانت عليه مسبقاً. اجل، انت شخص مزعج وغامض، ترفض ان تتركني وشأني. كنت افكر فيك شخصاً مزعجاً ولعيناً.» لكن

كان من الصعب ان اقول هذا كله في وجهه. فواصلت النظر اليه بصمت. بعدئذ خطى (ك) الى داخل الغرفة وجلس مقابلاً لي. ابعدت مرفقي من حافة الموقد ودفعته قريباً منه.

بدأ (ك) يتحدث معي عن اوكوسان واوجوسان. فدُهشت لانه لم يظهر اي ميل من قبل للتحدث عنهما. سأل «من يزوران في ايتشيغايا؟» فقلت من المحتمل جداً انهما ذهبتا لزيارة خالة اوجوسان. سأل، «ماذا تعمل هذه الخالة؟» فشرحت بأنها ايضاً كانت زوجة عسكري. قال، «أليست العادة بالنسبة للنساء ان يقمن بزيارات السنة الجديدة بعد منتصف كانون الثاني؟ انني أعجبت لماذا ذهبتا مبكرتين؟» واضطررت ان ارد، «ليست عندي فكرة.»

*

واستمر (ك) يسألني عن اوكوسان واوجوسان. في الاخير وجدت نفسي غير قادر ان اجيب على اسئلته التي صارت معقدة وشخصية على نحو متزايد. لم افكر بأن سلوكه كان مزعجاً اكثر منه غريباً. في السابق، كنت دائماً انا الذي احاول ان اطرح موضوع السيدتين في حديثنا. وعليه لم يكن من بد ان الاحظ الاهتمام المفاجىء الذي اظهره (ك) نحوهما. اخيراً سألته، «لماذا في هذا اليوم بالذات تسألني هذه الاسئلة كلها؟» وبغتة لاذ الى الصمت التام. ورأيت فمه يرتعش. في العادة ان (ك) هو رجل الكلمات القليلة. وكان من عادته ايضاً ان يفتح ويغلق شفتيه، مثل مصراع آلة التصوير، قبل ان يفوه بشيء، كما لو انهما ليستا تحت سيطرة ارادته تماماً. وربما كانت هذه الصعوبة

مسؤولـة جزئيـاً عن الانطباع بالاهمية التي تبلغها كلماته لدى السامع. وعنـدمـا كان صوتـه يختـرق هذا الحاجز، كان اقوى من صوت الرجل الاعتيادي بمرتين.

وعند رؤية ارتجاف شفتيه عرفت بأنه يوشك ان يقول شيئاً ما. لكن، بالطبـع، لـم احـدس ما سيقـول. وعليه صُدمت. تصور رد فعلي لو ان (ك)، بطـريقتـه الثقيلة، قد اعترف لي بحبه المعذب تجاه اوجوسان. وشعـرت كأنني تحـولت الى صخرة بعصا ساحر. ولـم استطع ان احرك شفتي مثلما فعل (ك).

وقتـذاك لـم اكن متأكـداً بالضبـط بأيـة عاطفـة شعـرت. ربما كانت خشيـة او ربمـا كان ألمـاً مفـزعـاً. ومهمـا كانت، فقـد جعلني تأثيرها الطبيعي اشعر بالتيبس من قمة رأسي الى اخمص قدمي، كما لو انني كنت قطعـة حجـر او حديد. ولا اعتقد بأنني تنفست آنذاك. من حسن الحـظ، لم تدم هذه الحـالة طويلاً. بعد لحظة اولحظتين بدأت اشعر بالحيوية من جديد. وكانت فكرتي الاولى هي:

«لقـد سبقني الى المـوضـوع.» ولم استطـع ان افكر بشيء اقوله او افعله سوى هذا. واظن انني لـم اكن متماسكاً بعد بما فيه الكفاية لكي أفكر بتسلسل منطقي.

جلست ساكنـاً، شاعـراً بالعـرق البـارد ينضح من خلال ملابسي. وبطـريقتـه التأمليـة المألـوفـة واصل (ك) اعترافه. وكان الالـم بداخلي لايطـاق تقـريبـاً. وفكـرت، «من المؤكـد انه يلوح على وجهي.» في الحقيقة، ان ما شعرت به حينذاك لم يكن اقل وضوحاً من اعلان كبير

ملصق على رأسي، وانـا واثق، حتى (ك) نفسـه كان يمكن ان يلاحظ ذلـك، لو ان الظـرف كان اعتيادياً. لكنني اعتقد بأن انشغاله بالحديث عن مشـاكله الخـاصـة لم يفسـح له الـوقت بأن يلاحـظ رد فعلي على كلماته. لقد نطق باعترافه بالنغمة الرتيبة نفسها من البداية الى النهاية، وان السمـة التأمليـة في الاعتراف اضفت على المتحدث مسحة قوة لا تتزحزح. لم اصغ لما كان يقوله بدقة. ذلك لأن قلبي كان يصرخ طوال الـوقت، «مـاذا سأفعل؟ ماذا سأفعل؟» مع ذلك كنت احس تماماً بنبرة صوتـه التي بدت تتـواصـل برتـابة لامتناهية وتتلاطم على وعيٍّ كأمواج البحر. ولهذا لم اشعر آنذاك بالعذاب وحده بل بنوع من الخوف. انه خوف الرجل الذي يرى امامه نداً اقوى منه.

عنـدمـا انقطـع (ك) عن الكلام اخيراً، وجدت نفسي غير قادر على قول اي شيء. اريدك ان تفهم بأنني لم اسكت لانني كنت اناقش نفسي فيمـا اذا كان ينبغي ان اؤدي اعتـرافاً مماثلاً لـ(ك) أم ان ألوذ بسياسة اكثر حكمة فلا اقول شيئاً عن حبي لاوجوسان. ببساطة لم اكن قادراً على الكلام. اضافة الى ذلك، لم تكن لدي الرغبة في كسر الصمت.

في الغـداء واجـه احـدنـا الآخـر عبر المائدة. وقامت الخادمة على خدمتنـا. وبـدا لي ان الطعام خال من المذاق على نحو غير اعتيادي. وقـل ما تحـدثنـا انـا و(ك) مع بعضنـا طوال فترة الوجبة. ولم تكن لدينا فكرة متى ستعود اوكوسان واوجوسان.

*

عدنا الى غرفتينا. كان (ك) هادئاً كهدوئه في الصباح. وجلست انا ايضاً ساكناً مستغرقاً في التفكير.

قلت في نفسي انني ينبغي ان اكـون صريحـاً مع (ك) واخبـره بأنني وقعت ايضـاً في حب اوجـوسـان. مع ذلك ما كان باليد حيلة سوى ان اشعر بأن الوقت قد فات جداً لفعل هذا. وبدأت ألعن نفسي لانني لم اقـاطـع اعتـراف (ك) باعترافي الخاص. وفكرت لو انني فعلت ذلك، لكنت قد احبطت منـاورتـه. وبـدت حقيقـة امتناعي حتى عن محاولة اخباره بالحقيقة عن نفسي بعد توقفه عن الكلام، خطأً فظيعاً. اكثر من ذلـك، شعـرت بأن الشـروع بالافصـاح عن سري له في هذه المرحلة سيكـون شيئـاً غيـر مناسب على نحو ما: سيبدو غير طبيعي ولربما امراً ملفقاً. ولم ار مخرجاً من هذه الحيرة. وبدا اليأس والندم يخفقان في رأسي.

وتمنيت مرة اخرى ان يفتح (ك) الباب ويلج الى غرفتي. في ذلك الصباح باغتني (ك) على حين غرة ولم اكن مستعداً للامر تماماً. رغبت ان يتكرر المشهد لكي استقبل (ك) هذه المرة بمبادرة من جانبي. ومرة تلو مرة، حدقت الى الباب لكنه لم ينفرج. وبدا الصمت في غرفة (ك) سرمدياً.

في النهـايـة قادني السكـون الى الخبل تقريباً. ولم استطع ان امنع نفسي من التساؤل بعصبية عما كان يفكر به (ك) في الغرفة المجاورة. قبـل ذلـك اليـوم كنـا نمضّي ساعـات عديـدة دون احـداث صوت،

واكتشفت انه كلما طال امد الصمت كلما صار ايسر لي نسيان وجود (ك). اما ان ذلك كان له تأثير عكسي عليَّ في عصر ذلك اليوم، فيظهر كم ان اعصابي كانت منهكة. صحيح، انه كان بوسعي ان انهض وافتح الباب بنفسي الى غرفة (ك)، لكنني لم استطع ان افعل ذلك وبما انني ضيعت الفرصة في ذلك الصباح لأن افضي بسريرة نفسي الى (ك)، فقد اضطررت للانتظار سلبياً حتى تحين فرصة أخرى.

بدأت اشعر انني اذا بقيت في غرفتي فترة اطول، فقد افقد فجأة السيطرة على نفسي واندفع الى غرفة (ك). وعليه نهضت وخرجت الى الشرفة. من هناك دخلت غرفة الصباح، ولعدم وجود شيء افضل افعله، فقد سكبت شيئاً من الماء الحار في الغلاية الموضوعة في الموقد في كوب وشربته. ثم ذهبت الى البهو الامامي. ولغرض ان افلح بتحاشي غرفة (ك) اتخذت طريقي الى الشارع. لاحاجة بي الى القول، انني لم اعبأ بالمكان الذي سأذهب اليه، مادمت خارج غرفتي. وبلا هدف سرت في الشوارع التي جملتها زينات السنة الجديدة. ومهما طال بي السير، ظل (ك) هو الموضوع الوحيد في فكري. اريدك ان تفهم بأنني لم اتجول لكي انس (ك). في الحقيقة قد يجوز القول بأنني كنت اجوب الشوارع مطارداً صورة (ك).

يجب ان اعترف بأن (ك) كان لغزاً بالنسبة لي. سألت نفسي: «لماذا افضى (ك) بسره لي على اية حال؟ لماذا سمح لحبه لهذه الفتاة ان يصبح شديداً حتى لم يعد بوسعه ان يحتفظ به سراً؟ ماذا حصل لـ(ك) الذي اعرفه؟» لم استطع ان اجد جواباً سهلاً لاي واحد من هذه

الاسئلة. كنت اعرف بأنه قوي العقل وجاد ومخلص. لكن كان يوجد الكثير الذي لم اعرفه عنه، وادركت في حينه. بأنني قبل ان استطيع اتخاذ القرار فيما يجب ان افعل، كان يجب علي ان اعرف اكثر مما اعرف عن (ك). وفي الوقت نفسه. شعرت بداخلي خوفاً غريباً - تفاقم الى رعب خرافي تقريباً - من الشخص الذي صار منافساً لي. ومع صورة (ك) وهو جالس بهدوء في غرفته والماثلة امام عين عقلي، جبت الشوارع بارتباك. واظن انني استطعت ان اسمع صوتاً هامساً في اذني: «لن تتخلص منه ابداً. . . .» لربما بدأت افكر به على انه نوع من الشيطان. وفي لحظة تملكني الشعور بأن شبحه سوف يصاحبني بقية حياتي.

وعندما وصلت البيت منهكاً، لاحظت بأن غرفته هادئة كالسابق. وقد يفكر المرء بأنه لايوجد أحد فيها.

*

بعد ذلك بوقت قصير سمعت عجلات عربة (الركشو) وهي تقترب من البيت. في تلك الايام لم تكن لعجلات (الركشو) اطارات مطاطية كما هي الحال الآن. لذلك كانت تحدث جلبة على نحو مزعج، وكان بوسع المرء ان يسمع صوتها على مسافة بعيدة. وبعد دقيقة او دقيقتين، توقفت عربة (الركشو) امام البيت.

بعد ذلك بنصف ساعة فقط دعينا الى الغداء. وعندما مررت بباب اوجوسان في طريقي الى غرفة الطعام، رأيت ملابس خروج السيدتين ملقاة بكومة ملونة غير منتظمة على الارض. من الواضح انهما سارعتا

بالعودة الى البيت لكي تتمكنا من اعداد غدائنا. وقد اغرقتنا اوكوسان بعطفها. وفي اثناء الوجبة، تصرفت كأن الكلمات بضاعة نفيسة لايمكن ان ابذرها، وكنت مرحاً مع السيدتين. وكان (ك) مقلاً في الكلام اكثر مني. من ناحية أخرى كانت السيدتان اللتان عادتا من نزهة نادرة، مبتهجتين بافراط، مما جعل سلوكنا الكئيب ملحوظاً جداً.

سألت اوكوسان عما دهانا. فأخبرتها بأنني لست على ما يرام. واؤكد لك، انني كنت صادقاً تماماً. ثم سألت اوجوسان (ك) السؤال نفسه. فأعطى (ك) جواباً مختلفاً: اذ قال بأنه ببساطة غير ميال للكلام. سألته، «لِمَ لا؟» رفعت عيني الكابيتين والمثقلتين ونظرت الى (ك). كنت فضولياً جداً ان اعرف ما سيقول. مرة أخرى ارتعشت شفتاه قليلاً. بالنسبة للعيون البريئة سوف يترآى لها انه كان يعاني من صعوبته المألوفة مع الكلمات. ضحكت اوجوسان وقالت بأنه لابد كان يفكر بشيء عميق جداً. فتورد خدا (ك) قليلاً.

في تلك الليلة ذهبت الى الفراش مبكراً. وفي حوالي العاشرة اذ تذكرت اوكوسان قولي بأنني لست على ما يرام، جلبت لي بصدر رحب عصيدة الحنطة السوداء. لقد وجدتُ غرفتي في ظلام دامس عندما فتحت الباب. نظرت الى داخل الغرفة وقالت، «حسناً». ومن خلال الباب الآخر الذي كان مغلقاً تسللت حزمة ضوء من المصباح الموضوع على منضدة (ك). من الواضح انهِ ما زال مستيقظاً. جلست اوكوسان الى جانب سريري ومدت كوب العصيدة وقالت، «خذ. اشرب هذه. سوف تعطيك دفئاً. من المحتمل انك أُصبت بالبرد. لم

اجرؤ على الرفض، فشربت السائل الثخين بينما كانت ترقبني.

وفي الظلام رقدت مفكراً حتى ساعات الصباح الاولى. وبالطبع كانت مشكلة (ك) واوجوسان هي كل ما استطعت ان افكر فيه. فجأة بعد ذلك، اردت ان اعرف ما الذي كان (ك) يفعله في غرفته. وبعفوية تقريباً صحت، «هي!» اجاب، «نعم». ففكرت اذن لم ينم (ك) بعد هو الآخر قلت، «ألم تنم بعد؟» ببساطة اجاب، «سأفعل قريباً». ثم سألت، «ماذا تفعل؟» في هذه المرة، لم يأتني جواب. بعد خمس او ست دقائق سمعته يفتح باب الدولاب ومدَّ فراشه على الارض. سألت، «ما الوقت الآن؟» اجاب (ك)، «الواحدة والثلث.» وسمعته يُطفىء المصباح بالنفخ. كان البيت مظلماً تماماً الآن. وفجأة شعرت بالصمت من حولي.

لكنني لم استطع النوم. لم تنغلق عيناي وحدقتا الى الظلام. مرة أخرى سمعت صوتي يصيح، «هي!» ومرة ثانية اجاب (ك)، «نعم.» ولما لم استطع كبح جماح نفسي اكثر من ذلك، قلت، «اسمعني. اريد ان اتحدث معك حديثاً مسهباً... انت تعرف.. عما قلته هذا الصباح. ما رأيك بذلك؟» بالطبع، لم تكن لدي رغبة بأن اواصل معه حديثاً متشابكاً من خلال الباب المغلق: ان كل ما اردته هو جواب بسيط من (ك). وفجأة شفت كلماته من عدم الوضوح. «حسناً، ربما..» قال بهدوء وبلا رغبة. مرة أخرى، راودني الخوف.

*

ظل موقف (ك) غير واضح طوال اليوم التالي واليوم الذي تلاه. انه

باقتضـاب، ارجـو ان تفهم بأنني بعـد تردد طويـل جداً قررت اخيراً ان انتظـر اللحظـة المنـاسبـة للتحـدث مع (ك). تذكر ان قراري هذا قد خفف، على اية حال، الوطأة عن ذهني المكروب.

واخـيـراً انـتهت عطلتنـا. وفي الايــام التي كانت تتـوافق فيهـا محـاضـراتنـا، كنا نذهب الى الجامعة سوية. وغالباً ما نعود الى البيت معـاً ايضـاً. ظاهرياً كنا صديقين ودودين كالسابق، لكنني واثق بأن كل واحد منا كان جد مستغرقاً في مشكلاته الخاصة. وذات يوم، بينما كنا نسيـر صوب البيت سألتـه بغتـةً، «هل انا الوحيد الذي يعرف سرك؟ ام انـك اخبـرت اوكـوسـان واوجوسان ايضاً؟» فكرت بأن الاساليب التي اتبنـاهـا في المستقبـل سوف تعتمـد على جوابـه. اجاب بأنه لم يخبر بذلـك احـداً غيـري. قلت لنفسي بأنني كنت مصيبـاً على ايـة حال، فشعـرت بشيء من السـرور. كنت اعـرف جيـداً بأنه اكثر وقاحة مني. كمـا انـه اكثـر جرأة. من ناحيـة اخـرى وثقت به بطريقة غريبة. وحتى حقيقة كونه قد خدع والديه بالتبني مدة ثلاث سنوات لم تفسد ثقتي به أبداً. في الحقيقة زادت ثقتي به اكثر بسبب ذلك. وبالرغم من طبيعتي المرتابة لم اشعر بالميل الى الشك بكلمته. سألت، «ماالذي تنوي ان تفعـل؟ هل ستحتفظ بحبـك لاوجـوسـان سراً، ام انـك ستفعـل شيئاً بصدده؟» في هذه المرة، لم يجب. لقد اخفض عينيه وواصل السير. فرجوته، «من فضلك لاتخفي عني اي شيء. ارجوك اخبرني بما تنوي ان تفعل.» قال، «لاحاجة ان اخفي عنك اي شيء.» الا انه رفض ان يخبـرني بمـا اردت ان اعـرف. كان من الصعب ان اوقفـه في وسـط

الطريق وان اجبره على ان يكون اكثر وضوحاً . وواصلنا السير بصمت .

*

بعد ايام قليلة قمت باحدى زياراتي النادرة الى مكتبة الجامعة . لقد اخبرني مشرفي بأن اطلع ، قبل الاسبوع التالي ، على حقائق معينة تتعلق بمجال تخصصي . كان يجب علي ان اقوم من مقعدي في غرفة المطالعة وان اعود الى الرفوف مرتين اوثلاث مرات قبل ان استطيع تحديد الكتب التي اريدها . لقد جلست الى طرف المنضدة الطويلة وبدأت اقرأ بعناية البحث في الجريدة الاجنبية التي وصلت حديثاً . وارسلت الشمس اشعتها من خلال النافذة وبعثت الدفء في الجزء الاعلى من جسمي . ثم فجأة سمعت شخصاً يهمس بأسمي من الجانب الآخر للمنضدة . رفعت بصري فرأيت (ك) واقفاً هناك . انحنى على المنضدة كيما يكون اكثر قرباً مني . وكما تعرف ، لم يكن مسموحاً لنا ان نزعج الآخرين في المكتبة بالتحدث بصوت عال ، وعليه فقد فعل (ك) ما كان ينبغي لأي طالب آخر ان يفعله في موقف مشابه . مع ذلك بثَّ فيَّ تصرف (ك) شعوراً غريباً .

سأل وهو مازال هامساً ، «تدرس؟» قلت ، «هناك شيء ابحث عنه . » لم يتحرك (ك) . كان وجهه يبعد عن وجهي بوصات قليلة فقط . قال ، «هيا نخرج في نزهة» قلت ، «سأفعل . لكن يجب ان تنتظر . » «حسناً ، » قال هذا ، وجلس على الكرسي الخالي المقابل لي . فاكتشفت بأنني لااستطيع التركيز على البحث اكثر . واقلقتني فكرة ان (ك) قد جاء ليناقش معي مسألة مهمة . اقلعت عن محاولة القراءة ،

وبعـد ان اغلقت المجلة تحـركت كأنني انهض. بهـدوء سألني (ك)، «انتـهيت؟» اجبت، «كــلا، لكن لايهم.» ارجعت المجلة وتــركت المكتبة بصحبة (ك).

لم تكن في ذهننـا وجهـة معينـة. مشينـا عبـر (تاتسووكاتشو) صوب (ايكينــوهــاتــا) ومن ثم دخلنـا متنـزه (يـونـو). وفجأة بدأ يتحـدث عن المسألـة. وبالحكم على الطريقة التي عرض بها الموضوع، يبدو بأنه طلب مني الخـروج بصـورة خاصـة لغرض التحدث اليّ عنه. وعرفت بأن المـوقف، من حيث جميـع الاغـراض العمليـة، ظل بلا تغيير منذ الوقت الذي اعترف به اليّ. سأل بغموض، «ماذا تعتقد؟» ما رغب ان يعرفه هو انني كيف انظر اليه وقد غرق في الحب عميقاً. اراد ان يعرف رأيي عنه وهو في حالته تلك. شعرت بأن رغبته في اكتشاف فكرتي عنه كانت دليلاً اكيداً على انه لم يكن في حالته النفسية المعهودة. اريد ان اؤكـد هنـا ـ ولـوانـك قد تظن بي الـولـع بتكـرار ـ أن (ك) كان شخصاً مستقـل التفكيـر عادة، ولـم يهمه كثيراً ما يظنه الاخرون به. كانت لديه الشجــاعــة والقـوة لأن يفعـل أي شيء اذا اعتقـد بأنـه على صواب. لاحظت هذه الخصلة فيه بوضوح تام في معاملاته مع ابويه في التبني. لاعجب اذن ان اعتقدت بأن سؤاله في المتنزه غير مناسب.

سألتـه عن سبب اعتقـاده بضـرورة معـرفـة رأيي. بنبـرة مغتمـة غير اعتيادية قال، «وجدت بأنني رجل ضعيف وانني خجل.» ثم اضاف، «انت ترى. انني ضائـع. صرت لغـزاً حتى في نظـر نفسي. اي شيء آخـر استطيـع ان افعـل سوى ان اطلب منـك رأيك الصريح؟» سألت

بسـرعـة، «مـاذا تقصد بأنك ضائع؟» قال، «اقصد بأنني لااستطيع ان اقـرر فيمـا اذا اخطـو الى امـام او انقلب الى وراء.» مرة أخـرى سبرت غوره، «قل لي، أتستطيع حقاً ان تنقلب الى وراء اذا شئت؟» فجأة بدا ضائعـاً في ايجـاد جواب. كل ما قالـه هو: «لااستطيع ان اتحمل هذا الالم.» وعندما قال هذا، كان تعبيره متسماً بالعذاب حقاً. ولو لم تكن اوجـوسـان ضمن المـوضـوع، فمن المؤكـد انني كنت سأتحدث معه برفق ولحـاولت التخفيف من عذابـه. كان بحـاجـة الى الكلمـات الـرفيقـة، كحـاجـة الارض للمطـر. لكنني لم اكن في حالتي النفسية المألوفة حينذاك.

*

راقبته بعناية كأنه منافسي في المبارزة. لم يكن فيّ جزء غير متيقظ. ولم أرخِ، لحظـة واحـدة، عينيّ اوقلبي اوجسـدي. وسـوف يكـون القـول بأن (ك) لم يحّض نفسـه جيـداً قولاً مقصوداً به التقليل من شأن الحقيقة. وفي براءته وضع نفسه تحت رحمتي كلياً. وقد تسنى لي ان اراقبه في وقت الفراغ وان ألاحظ بعناية اكثر نقاطه ضعفاً.

استطعت ان افكـر بشيء واحـد فقـط الا وهو ضعف دفاع (ك). انه كان يحوم بلا يقين بين عالم الحقيقة وعالم مثالياته. وفكرت بأن الوقت قد حان الآن لاحطم منـاوئي. ولم انتظـر طويـلاً لأقـوم بالاختـراق. فأستـدرت نحـوه بهيئة رصينة. صحيح ان الرصانة جزء من مناوراتي، لكنها من المؤكد كانت متطابقة مع الطريقة التي احسست بها. وكنت

مشدود الاعصاب الى حد لم ار أي شيء هازل او مخزٍ فيما انا فاعل. وقلت بقسوة، «احمق من لايملك طموحات روحية.» هذا هوماقاله (ك) لي عند سفرنا الى (بوشو). لقد قذفت بوجهه الكلمات عينها التي استخدمها مرة لاهانتي. حتى نبرة صوتي كانت النبرة نفسها لصوته حينما أبدى هذه الملاحظة. لكنني أُصرّ على انني لم اكن انتقامياً. وأعترف لك بأن ما حاولت فعله كان قسوة شديدة اكثر منه مجرد انتقام. لقد اردت ان احطم ايما أمل كان لديه في حبه لاوجوسان.

ولد (ك) في معبد (شينشو). لكنني اتذكر، في المرحلة الثانوية، انه اظهر علامات الابتعاد عن مبادىء طائفة عائلته. وانني لشاعر تماماً بجهلي المتعلق بالمبادىء البوذية المختلفة. لكن كان من الواضح لي، في الاقل في قضية علاقة الرجال بالنساء، ان (ك) على خلاف مع تعاليم (شينشو).[1] وكان (ك) مولعاً دائماً بعبارة، «تركيز الذهن.» وعندما سمعت (ك) يذكرها اول مرة، فكرت بأن من المحتمل ان «تركيز الذهن» ينطوي، من بين اشياء اخرى، على «ضبط العواطف». ولما عرفت فيما بعد بأنها تتضمن شيئاً اكثر من ذلك، دُهشت. كانت عقيدة (ك) هي وجوب التضحية بكل شيء من أجل «الطريق الصحيح». وحتى الحب بلا رغبة جسدية يجب تجنبه. ولم تتطلب متابعة «الطريق الصحيح» الامتناع عن الرغبة وحسب، بل تتطلب التقشف الكلي. لقد جعل (ك) كل هذا واضحاً لي عندما كان

---

١ ـ شينشو: طائفة بروتستانتية لاتشجع العزوبة.

يعيش وحده وهو يعول نفسه. وفي ذلك الوقت كان قد سبق لي الوقوع في هوى اوجـوسـان، واعتـدت ان اناقشه كلما طرح موضوع «الطريق الصحيـح». وكـان (ك) يصغي لي بنظـرة رثاء على وجهه. ودائماً كان الاحتقـار يكمن وراء رثـائـه: وقلمـا وجـدت اثـراً للتسامح الودي فيه. وبسبب كل ماقاله الواحد منا للآخر في الماضي، عرفت بأن ملاحظتي آذت (ك) كثيراً. ولم تكن لي نية في تحطيم عقائده القديمة. لقد قلت ما قلت لكي اجعله اكثر استقامة مما كان عليه من قبل. وبالطبع همني قليلاً فيما اذا تبع «الطريق الصحيح» حقاً اولم يتبعه، او اذا بلغ السماء في اي وقت. وكان ما اخشاه هو ما يسببه لي من اذى اذا ما قرر ان يبدل طرائقـه. في الحقيقـة ان الحرص على المصلحة الشخصية هو الذي حضّني على هذه الملاحظة.

قلت مرة ثانيـة، «احمق من لايمتلك طمـوحـات روحيـة.» وراقبت (ك) بدقة اردت ان اعرف تأثير كلماتي عليه.

اخيراً قال، «احمق. . اجل، انا احمق.»

وقف ساكنـاً عنـدمـا تكلم وحدق الى قدميه. وفزعت فجأة لأن (ك) قرر في حالة يأس قبول الحقيقة بكونه أحمق. وارتبكت مثل رجل يجد مناوئـه الـذي طرحـه ارضاً للتو، يوشك ان ينهض بسلاح جديد بيده. على ايـة حال، بعـد دقيقـة، ادركت بأن (ك) قد تكلم حقاً بنبرة صوت يائسـة. اردت ان ارى عينيـه، لكنـه لم ينظـر باتجاهي. وببطء، بدأنا نسير مرة ثانية.

*

مشيت الى جانب (ك) منتظراً اياه ان يتكلم مرة ثانية. كنت بانتظار فرصة أخرى لأيلامه. لقد تربصتُ به لكي أوقعه على حين غرة. لكنني لم اكن رجلاً جاهلاً ولست بلا ضمير. ولو ان صوتاً همس في اذني، «انت جبان،» لكان من الممكن في تلك اللحظة ان اعود الى سجيتي الاعتيادية. ولو ان ذلك الصوت كان صوت (ك)، لكان من المؤكد ان يتورد خداي خجلاً. الا ان (ك) لم يكن من النوع الذي يعاتب. كان صريحاً جداً وبسيطاً جداً ومستقيماً جداً الى حد انه لم يبال ان يستشف ما في باطني. ثم لم اكن انا في حالة نفسية أكبر فيها فضائله. على النقيض، وجدتها مجرد معايب.

بعد فترة قصيرة التفتَ (ك) نحوي وخاطبني. في هذه المرة، كنت انا الذي توقفت عن المشي. ثم توقف (ك) ايضاً. واخيراً كنت قادراً ان انظر في عينيه. كان اطول مني، لذا كان يتوجب عليَّ ان ارفع بصري اليه. كنت مثل ذئب رابضاً لحمل.

قال، «دعنا لانخوض في هذا بعد الآن.» لقد تأثرت تأثراً غريباً بالألم البّين في عينيه وكلماته. وللحظة لم اعرف ماذا اقول. بعدئذ، بنبرة اكثر توسلاً، قال مرة ثانية، «ارجوك ان لاتتحدث عن هذا.» كان ردي قاسياً. لقد قفز الذئب ممسكاً بحنجرة الحمل.

«حسناً. اذن انت لاتريدني ان اتحدث عن هذا. ألا قل لي، من ذا الذي طرح الموضوع على اية حال؟ اذا كنت اتذكر جيداً، فأنت الذي فعلت. وطبعاً اذا اردت مني ان اتوقف حقاً، فسوف افعل. غير ان عدم الحديث عنه لن يحل المشكلة، أليس كذلك؟ هل تستطيع

انت نفسك ان تقرر التوقف عن التفكير به؟ هل انت مستعد لأن تفعل ذلك؟ ماذا حصل لجميع مبادئك التي كنت تتحدث عنها دائماً؟»

بدا (ك) يضعف امام عيني. وبدا لي طوله نصف ما كان عليه سابقاً. وكما قلت مسبقاً، فأنه شخص عنيد جداً، لكنه كان صادقاً جداً مع نفسه الى حد انه لم يتجاهل تقلبه اذا ما اشار اليه شخص آخر بحدة. ولاحظت التأثير الذي تركته كلماتي عليه، فأرضاني ذلك. ثم قال فجأة، «هل أنا مستعد. . . ؟» وقبل أن أقول أي شيء أضاف، «لِمَ لا؟ استطيع ان اوقف نفسي. . . » بدا كمن يحدث نفسه. وترآى لي كأن الكلمات كانت تُنطق في حلم.

وبصمت بدأنا السير صوب البيت في (كويشيكاوا). لم يكن الجو بارداً في ذلك اليوم، لأن الريح قليلة. مع هذا كان الوقت شتاء* وبدا المتنزه مُضَبباً. أدرت رأسي مرة الى الخلف ونظرت الى اشجار الارز. كانت مسودة، وبدت كأن الصقيع قد التهم كل خضرتها. وفوقها امتدت سماء رمادية. ولاحت برودة المشهد كأنها تصل في عمودي الفقري. وعلى ضوء الشفق اسرعنا بالمشي فوق تل (هونغو). وبعد بلوغنا بطن الوادي وبعد ان بدأنا المشي صعوداً الى التل في (كويشيكاوا) بدأت اشعر بالدفء تحت معطفي.

وقل ما تحدث الواحد منا للآخر في طريقنا الى البيت. ربما كان السبب في ذلك هو اننا كنا في عجلة من امرنا للعودة. وعند العشاء، سألتنا اوكوسان، «لماذا تأخرتما هكذا؟» فقلت بأن (ك) طلب مني ان اذهب معه الى (يونو). دُهشت اوكوسان وقالت، «الا ان الجو بارد

جداً!» وسألت اوجوسان، «ولماذا (يونو)؟ هل يوجد شيء في (يونو) اردتما رؤيته؟» قلت، «كلا. بكل بساطة كنا نتنزه.» وفي تلك الليلة تحدث (ك) اقل من المألوف. وحادثته اوكوسان وضحكت عليه اوجوسان، الا انه لم يستجب. فازدرد طعامه وعاد الى غرفته تاركاً ايانا جالسين الى المنضدة.

*

في تلك الايام لم تكن العبارات من امثال «عصر اليقظة» و«الحياة الجديدة» قد راجت بعد. لكن يجب ان لا تفكر بأن عجز (ك) في رفض طرائقه القديمة والابتداء بحياة جديدة كان راجعاً لنقص في مفاهيمه الحديثة. يجب ان تفهم بأن الماضي بالنسبة لـ(ك) بدا شيئاً مقدساً لم يقدر على خلعه كما تُخلع بدلة قديمة. ومن الممكن ان يقول المرء بأن ماضية هو حياته، وان انكار هذا الماضي معناه ان حياته التي عاشها لحد الآن خالية من هدف. واذا كان (ك) متردداً في حبه، فان هذا لايعني ان حبه فاتر بمعنى ما. انه لم يكن قادراً على الحركة بالرغم من عنف عاطفته. وبما ان زخم عاطفته الجديدة لم يكن كبيراً الى حد يسمح له ان يتناسى نفسه، فقد أُضطر الى ان ينظر الى الوراء وان يذّكر نفسه بما كان يعنيه له الماضي. وبفعله هذا لم يستطع الا ان يواصل الطريق التي سار عليها لحد الآن. علاوة على ذلك كان يمتلك عناداً وصبراً غير معروفين في تلك الايام. واعتقد بأنني الى هذا الحد قد فهمت رد فعل (ك) ازاء ورطته فهماً جيداً.

في تلك الامسية، بعد مسيرتنا الى (يونو)، شعرت براحة غير

اعتيادية. وبسرعة نهضت عن المائدة وتبعت (ك) الى غرفته. جلست بجانب منضدته وبدأت اثرثر عن مسألة تافهة. فبدا متألماً. ومن الممكن ان عيني قد فضحتا ما كنت اشعر به من انتصار آنذاك. انني اعرف ان صوتي كان يحمل نغمة تهنئة الذات. بعد دقائق قليلة سحبت يدي من الموقد ورجعت الى غرفتي. ولاول مرة في حياتي شعرت بأنني اكثر من ند لـ(ك) في مسألة واحدة في الاقل.

سرعان ما استغرقتُ في نوم عميق. وبغتةً أيقظني شخص يناديني باسمي. انفتح الباب ورأيت شخص (ك) المظلل واقفاً في الممر. مازال المصباح يشتعل في غرفته. كان التحول من النوم الى اليقظة مفاجئاً جداً، فبقيت راقداً لحظة او لحظتين في حالة دوار غير قادر ان اتكلم.

سأل (ك): «هل كنت نائماً؟» كان (ك) نفسه يذهب دائماً الى الفراش متأخراً. خاطبت ظله، «أتريد شيئاً؟» قال، «كلا، لاشيء. قبل دقيقة ذهبت الى الحمام، وفي طريق عودتي تساءلت مع نفسي ان كنتَ لاتزال ساهراً ام لا.» كان النور وراءه، وعليه لم أستطع ان ارى وجهه بوضوح. لكنني استطيع القول، من نغمة صوته، بأنه كان هادئاً على نحو غير اعتيادي.

خطا (ك) راجعاً الى داخل غرفته وأغلق الباب. وساد الظلام الغرفة مرة ثانية. أغلقت عيني في الظلمة لكي أعود الى احلامي الوادعة. فنمت في الحال: وفي الصباح التالي فكرت بالحادثة وبدأت أستغرب لماذا سلك (ك) سلوكاً غريباً. كنت شبه ميّال الى الاعتقاد بأن كل

شيء حلم. وعند الافطار سألت (ك) ان كان قد فتح الباب حقاً في منتصف الليل وناداني. اجاب، «اجل، فعلت.» سألته، «لماذا؟» لم يرد على سؤالي. وبعد صمت قصير سألني سؤالاً لم اتوقعه، «هل تنام نوماً جيداً هذه الايام؟» استثار سؤاله فيَّ احساساً غريباً.

غادرنا المنزل معاً لأن محاضرتينا تبدآن في الوقت نفسه في ذلك اليوم. كانت حادثة الليلة السابقة لاتزال تزعجني. بدأت اسأله مرة ثانية اثناء سيرنا باتجاه الجامعة. غير ان (ك) لم يرد عليَّ بصورة مرضية. واخيراً قلت، «هل انت متأكد بأنك لاتنوي مواصلة حديث الامس؟» قال، «بكل تأكيد، لا.» شعرت بأن جوابه المقتضب كان السبيل الى تذكيري بما قاله في المتنزه في عصر اليوم السابق وهو، «دعنا لانتحدث بهذا اكثر.» ثم تذكرت كيف ان (ك) كان متعالياً بشدة وبدأت الكلمات التي تمتم بها تحزنني وهي، «هل انا مستعد؟ . . لِمَ لا؟ . . .»

*

كنتُ أعي تماماً ان (ك) كان يمتلك طبعاً متسماً بالحزم. وفهمت ايضاً لماذا في هذه المسألة بالذات لم يكن (ك) قادراً على التصرف بحسم. لكن سرعان ما ادركت بأنني لم اعرف (ك) مثلما ظننت. وعرفت ان تصرف (ك) لايمكن التنبؤ به في حالة التوتر كما هو الحال في حالة الظروف الاعتيادية. وكلما أطلتُ التفكير بكلمات (ك) الاخيرة في المتنزه، كلما بدا معناها أقل وضوحاً. وفكرت بعدم ارتياح بأنه ربما كان واثقاً من نفسه كالسابق، وربما كان مستعداً لئلا ينكر حبه

لـ«اوجوسان» لكنه مستعد لان يرفض ماضيه نهائياً كي يتحرر من جميع الشكـوك والمعـاناة. ان ادراكي بأن كلمات (ك) يمكن ان تُفسر هكذا جاء صدمـة لي. لقـد عكست الصـدمـة لي مدى حمقي في القفز الى النتـائـج عن (ك) وربما كان الاحرى بي ان اسأل نفسي. «لكن أليس من الممكن انه مازال هناك معنى خفي وراء كلماته؟» لسوء الطالع لم اكن قادراً ان ارى الاشيـاء بوضـوح آنـذاك، وانه لمن المحزن أن افكر كم كنت اعمى. على ايــة حال اقنعت نفسي بأن نيــة (ك) كانت هي الاستسـلام لحبـه لـ(اوجـوسـان). وصـرت مقتنعـاً بأن (ك)، بطريقته الحازمة المألوفة، سوف يفعل الآن كل ما يستطيع من اجل الفوز بها.

سمـعت صوتــاً يهمس في اذني، «ان من شأنــك انت ان تتخــذ الخطـوة الاخيـرة.» فمنحني الصـوت شجـاعة جديدة. وفكرت بأنني يجب ان اتحــرك قبــل ان يتحــرك (ك) ومن دون علمـه. وقـررت ان احادث (اوكوسان) عن ابنتها عندما يكون كلا (ك) و(اوجوسان) خارج البيت. وبهـدوء انتظـرت اللحظـة المناسبة: مرَّ يومان، ثم ثلاثة ايام، ولم تحن اللحظــة. عنــدمـا اكـون في البيت كان يوجـد دائمـاً احـد الاثنين. فنفد صبري تماماً.

ومضى اسبـوع ورأيت انني لااستطيـع مزيداً من الانتظار.لم استطع التفكيــر بخطــة افضـل من ادعـاء المـرض والتخلف في البيت طوال النهـار. جاءت اوكـوسـان ومن بعـدهـا اوجوسان واخيراً (ك) نفسه الى غرفتي لانهاضي من الفراش: فلم أعطهم اجابات ملزمة عن اسئلتهم وتــركتهم يغــادرون بانطبــاع مفـاده انني لم اكن على ما يرام. كانت

الساعة حوالي العاشرة عندما تسللت اخيراً خارج فراشي. كان كلا (ك) و(اوجوسان) قد خرجا. وكان الصمت مخيماً على المنزل. وعندما رأتني (اوكوسان) قالت، «انك لست بصحة جيدة. لِمَ لاتبقى في السرير؟ سأجلب لك شيئاً تأكله.» بالطبع كنت اشعر بكامل الصحة ولم تكن بي رغبة للعودة الى السرير. غسلت وجهي وتناولت فطوري في غرفة الصباح كالمعتاد. وجلست (اوكوسان) الى الجانب الآخر من الموقد الطويل وقامت على خدمتي. كانت وجبة غريبة اذ لم تكن فطوراً او غداءاً، وكنت في اثنائها ساكتاً ومتسائلاً بقلق كيف ينبغي لي ان اصوغ كلمات طلب الزواج. ولا ريب عندي ان (اوكوسان) اساءت فهم انهماكي بالتفكير على انه علامة مرضية. وعندما انتهت الوجبة اشعلت سيجارة. فاضطرت (اوكوسان) على البقاء جالسة الى جانب الموقد: وكان من الصعب عليها ترك الغرفة قبل ان اتركها. نادت الخادمة وطلبت منها ان تحمل الصينية. ولكونها لم تجد شيئاً افضل تفعله فقد سكبت ماءً حاراً في الغلاية المعدنية وبدأت تلمّع الموقد. قلت، «اوكوسان! هل انت مشغولة؟» قالت، «كلا،» ثم اردفت، «لماذا تسأل؟» قلت، «حسن. هنالك شيء أحب ان احدثك عنه.» قالت، «نعم؟» ونظرت اليَّ. كانت طريقة (اوكوسان) فاترة جداً حتى انني بدأت أفقد الشجاعة.

أخيراً، بعد دقيقة أو دقيقتين من الحوم حول الموضوع، قلت، «هل قال لك (ك) أي شيء مؤخراً؟» بدت (اوكوسان) مبهورة بسؤالي.

قالت، «مـاذا تقصـد؟» وقبـل أن أستطيع الاجابة قالت، «هل قال لك شيئاً ما؟».

لم أكن أنوي اخبارها عما قاله (ك) لي في غرفتي في ذلك اليوم وعليه قلت، «كــلا.» وفي التــو شعــرت بالخجـل من كذبتي.ولأخفف عن ضميـري أضفت، «مـا أريـد ان أقول لاعلاقة له بـ(ك). انه لم يطلب مني ان أقول أي شيء نيابة عنه.» قالت، «أهو كذلك؟» وانتظرت. لم يبق أمـامي ما أفعله سوى ان أطـرق المـوضوع. فقلت من غير تفكير، «اوكـوسـان. اريـد ان اتـزوج اوجوسان.» لم تكن نصف متعجبة كما توقعت. على ايــة حال، بدت في حيــرةٍ من ردهـــا وحـدقت الي في صمت. لقد اندفعت الآن الى حدٍ لم أعد اخشى معه صمتها. قلت، «من فضلك. دعيني أتـزوجهـا. انني اريـد اوجـوسان جداً.» وبما ان (اوكوسان) كانت اكبر مني سناً فقد كانت اربط جأشاً. قالت، «اذكرك بأنني لم اقـل كلمـة لا. لكن الامـر كله مبـاغت...» قلت بسـرعة، «اريـد ان اتـزوجهـا في القـريب العاجل،» فبدأت تضحك. ثم قالت بجـد، «هـل فكـرت بالمـوضـوع بعنـاية؟ هل انت واثق؟» اكدّتُ لها بعبـارات لايشـوبهـا الشـك بأنه مهما بدت طريقتي في الطرح متسمة بالتسرع، الا ان (اوجوسان) كانت في خاطري منذ زمن طويل.

كان هنـالـك المـزيـد من الاسئلة والاجـوبة القليلة، لكنني نسيت ماهيتهـا. كانت (اوكـوسـان) امـرأة يسهـل التحـدث معهـا في مناسبة كهـذه: فلا شيء من المـراوغة في حديثها. وبهذا الصدد كانت اقرب

شبهــاً بالــرجــل منهــا بالمــرأة. قالت اخيـراً، «حسن. يمكنـك ان تتـزوجهـا.» ثم قالت بنبرة اكثر رسمية، «طبعاً، انني انا التي يجب ان اسأل. من انـا حتى اقـول: «يمكنـك ان تتزوجها؟ كما تعرف انها فتاة بائسة ويتيمة الاب.»

لااظن ان المحـادثـة بأكملهـا دامت اكثـر من خمسـة عشـر دقيقة. ظلت المحـادثـة بسيطـة ومبـاشرة في تواصلها. ولم تضع اي شروط. وقـالت بأنـه لاحـاجـة هنـاك لاستشـارة اقربائها، ولو انها بالطبع سوف تحيطهم علماً بالقرار. وبدا انها ايضاً ترى انه امر مفروغ منه ان ابنتها لن تثيـر ايـة اعتـراضـات. وفي هذه النقطـة راودتني بعض الهواجس. وبالرغم من ثقافتي الا انني كنت تقليدياً اكثر منها فقلت: «انني لااعبأ بالاقارب، لكن ألا تظنين ان من الافضل ان تسألي (اوجوسان) اولاً؟» فأكـدّت لي انـه ليس هناك من داع لأن اقلق. وقالت بأنها ليست لديها اية نيات في اجبار ابنتها على ان تتزوج اي واحد لاتحب.

رجعت الى غرفتي. وفكـرت بشيء من القلق بأن من المؤكـد ان المسألـة لايمكن ان تكـون بمثـل هذه السهـولة. ومهما يكن من امر، وجـدت راحـة جديـدة في التفكيـر بأن مستقبلي قد استقـر في الاقل. وعموماً كنت راضياً.

وعدت الى غرفة الصباح عند الظهيرة تقريباً وسألت (اوكوسان) متى تعـزم ان تبلغ (اوجـوسـان) عن طلبي يدها. قالت، «هل يهم حقاً متى ابلغها؟» «الشيء المهم هو ان اعرف عن ذلك، ألا تظنين هذا؟» لقد جعلني هذا اشعر بأنني نوعاً ما مثل امرأة اكثر منها. وكنت على وشك

ان انسحب بارتبــاك عنـدمـا قاطعتني وقـالت، «حسن، ما دمت تبـدو متسـرعـاً فسوف اخبرها اليوم ان شئت. سوف اتحدث معها عندما تعود من دروسهــا. هل يفي هذا بالمـرام؟» «اجـل. اشكـرك،» قلت هذا ورجعت الى غرفتي. ان فكــرة الجلوس بهــدوء الى منضـدتي بينمـا تتهامس السيدتان الواحدة مع الاخرى في غرفتهما، اثارت اعصابي. فارتـديت قبعتي وبـارحت. والتقيت بـ(اوجـوسـان) عنـد سفح التل. فذُهشت عنـد رؤيتي. نزعت قُبعتي وقلت، «انت عائـدة اذاً.» فقـالت بنغمـة حائـرة، «هـل شُفيت؟» قلت، «اوه، أجـل. انني بصحة جيدة الآن... جيدة جداً.» وابتعدت مسرعاً صوب (سويدوباشي).

*

من (سـاروغـاكـوتشو) دخلت شارع (جيمبوتشو) الرئيس واستدرت باتجاه (اوغاواماتشي). كان من عادتي ان أستعرض الكتب المعروضة للبيــع في دكــاكين الكتب المستعملة كلمــا وجـدت نفسي في هذه المنطقة، لكنني لم اكن في ذلك اليوم في مزاج يسمح لي باستعراض الكتب القديمة. فكرت بلا انقطاع بما كان يجري في المنزل. فكرت بـ(اوكـوسـان) وبمـا قالتـه لي في ذلـك الصباح، ثم حاولت ان اتصور المشهـد في المنـزل بعـد رجـوع (اوجوسان). واصلت السير ولم اعبأ بأي مكـان قادتني اليـه قدمـاي. كان ذهني محشواً بالافكار عن هاتين السيدتين. وكنت اتوقف فجأة في منتصف الطريق وافكر، «لابد انهما تتحـدثـان في الموضوع في هذه اللحظة،» او، «انهما انهيتا حديثهما عن الموضوع الآن.»

اجتـزت جسـر (مـانزي) وصعدت المنحدر ماراً بمعبد (مايوجين). ومن تل (هونغو) هبطت الى وادي (كويشيكاوا). وفي اثناء هذه المسيرة ـ وقـد شكـل مسـاري دائـرة تقـريباً بقطعي ثلاث قصبات منفصلة ـ لم امحض (ك) الا القليل من التفكير. لماذا؟ لاادري. أليس غريباً انني لم افكر به؟ حقاً، لقد شعرت بتوتر شديد عصر ذاك، لكن اين هو ضميري؟

عدت الى المنـزل. وكالعادة اخترقت غرفة (ك) لكي أبلغ غرفتي. حينـذاك شعـرت بالـذنب لاول مرة. كان بالطبـع جالسـاً الى منضدته يقـرأ. ومثلمـا هو دائمـاً رفـع بصره اليَّ. لكنه في هذه المرة لم يحيني بتحيتـه المألـوفـة وهي، «هـل عدتَ تواً؟» وعوضاً عن ذلك قال، «هل تشعـر أحسن الآن؟ هل راجعتَ طبيبـاً؟» بغتـه اردت ان اركـع امـامـه واطلب غفـرانـه. وقتذاك شعرت بعاطفة عنيفة. واحسب انني لو كنت مع (ك) وحـدنـا في قفـرٍ ما، لكنت قد أصغيت الى صرخـة ضميري. لكن كان يوجد آخرون في البيت. وسرعان ما تغلبت على حافز نفسي الطبيعية بأن اكون صادقاً مع (ك). انني اتمنى فقط لو ان فرصة أخرى مثل هذه قد سنحت لي لكي اطلب الغفران من (ك).

رأيته مرة ثانية عند الغداء. جلس بهدوء غارقاً في تفكير حزين. لم تلح أقـل علامـة على الشـك في عينيه. وكيف يمكن ان تلوح، إذا لم يعرف ما حصل في غيابه؟ وبدت (اوكوسان)، وهي جاهلة بحقيقتنا، في غاية السعادة. انا وحدي الذي أعرف كل شيء. لقد وجدت مشقة في ابتـلاع طعـامي. كان اشبه بالرصاص. وفي تلك الامسية لم تظهر

(اوجوسان)، التي اعتادت ان تأكل معنا، في غرفة المائدة. ولما نادت (اوكـوسـان) عليهـا اجـابت من الغـرفة المجاورة: «نعم. انا قادمة.» فاستغـــرب (ك). في الاخيـــر سأل (اوكـوسـان): «مـا بالهـا؟» ألقت (اوكـوسـان) نظرة صوبي وقالت: «من المحتمل انها مرتبكة.» وهذا ما جعل (ك) اكثر استغراباً. اراد ان يعرف فقال، «لماذا هي مرتبكة؟» ما كان من (اوكوسان) الا ان تبتسم، وتنظر نحوي مرة ثانية.

لقـد خمنت حالمـا جلست الى المـائـدة سبب نظـرة (اوكـوسـان) المسرورة. ان آخر شيء اردتُ منها ان تفعله هو ان تشرح الموقف كله لـ(ك) في حضوري. وان فكرة كون (اوكوسان) معتادة على اظهار قليل من التحفـظ في مثـل هذه المسـائـل سببت لي ازعـاجاً حاداً. لحسن الحـظ صمتَ (ك) مرة ثانيـة. وان (اوكوسان)، بالرغم من حالتها بالغة البهجة، لم تفصح عن السر ابداً. وبعد ان تأوهت بارتياح رجعت الى غرفتي. بيد ان قلقي لم يتوقف بخصوص علاقاتي المستقبلية بـ(ك). سألت نفسي، «مـا الـذي سأقوله؟» فكرت بعذر بعد آخر، لكن اياً منها لم يرضني. في النهـايـة، اصبـح مجـرد التفكيـر بشرح تصرفي لـ(ك) كريهاً الى نفسي. كنت انساناً خسيس الروح.

*

مر يومـان او ثلاثـة. لاحـاجـة بي للقـول بأنني بقيت اشعر بالخشية التـامـة. ومـا جعـل الامـور اسـوأ هو المـوقف المتبـدل لـ(اوكـوسان) و(اوجـوسـان) نحوي. وقد فعل هذا الموقف فعلَ مذكِّر مستديم ومؤلم بأن اقل ما كان علي ان افعله هو اخبار (ك) بالحقيقة. وقد أضاف هذا

شيئـاً الـى شعـوري بالـذنب. علاوة على ذلـك، كنت أخشى ان (اوكـوسـان) بما تميزت به من اسلوب صريح نادراً ما يوجد عند النساء سوف تَعـزم في احـدى الامسيـات على اخبار (ك) بالنبأ السعيد عندما نكون نحن جميعاً مجتمعين حول مائدة العشاء. ولم أستطع التأكد من ان (ك) لن يبدأ التأمل بتصرف (اوجوسان) الذي بدا لي قد تبدل بجلاء. كنت مضطراً للاعتراف بأن من الواجب اخبار (ك) عن العلاقة الجديدة بيني وبين العـائلة. وبمـا أنني اعرف ضعف موقفي فقد فكرت بأن من الشاق عليَّ ان اواجه (ك) واخبره بنفسي.

وبيأس بدأت اقلّب فكرة الطلب الى (اوكوسان) بأن تُخبر (ك) عن ارتبـاطنـا. (وبـالطبـع يجدر بها ان تكلمه عندما اكون خارج البيت) على أيـة حال، اذا قصـدت (اوكـوسان) ان تخبره بكل شيء بصدق، فسـوف لايبـدو تصـرفي اقـل خزياً مما لو انني كشفت له النبأ بنفسي. ولايبدو ان في الامر سلوى كبيرة اذا ما عرف (ك) الحقيقة عني بطريقة غيـر مبـاشرة. فضلاً عن ذلك، من المؤكد ان (اوكوسان) سوف تطلب ايضاحاً مني اذا ما طلبت منها ان تعرض على (ك) وصفاً كاذباً ومناسباً عن الكيفيـة التي تمت فيهـا الخطبـة بيني وبين ابنتهـا، وعنـد ذاك لن اعرّض نقطة ضعفي الى من ستكون حماتي وحسب بل الى الشخص الذي احببت ايضاً. وبطريقتي الساذجة والجادة اعتقدت بأن مثل هذا الفضـح سوف يؤثـر جديـاً في رأي السيدتين بي مُستقبلاً. ولم أُطق ان اتحمـل التفكيـر بأن اخسـر حتى نزراً يسيـراً من ثقة حبيبتي بي قبل ان نتزوج.

وعليـه وبـالـرغم من رغبتي الصـادقـة بأن اتابع طريق الامانة، فقد ضللت السبيـل عنـه. كنت احمق او ان شئتَ، كنت وغداً ماكراً. واذا تركت نفسي جانباً، فالسماء وحدها كانت تعرف ماهيتي. وما دمت قد فعلت فعلاً مضللاً مرة. وجدت انني لااستطيع ان اردَّ قيمة نفسي دون ان اخبر كل فرد عن خداعي. واردت يائساً ان أُبقي على خزيي سراً. وفي الوقت عينه شعرت بأنني يجب ان اربح استرداد احترامي لذاتي. وعندما وجدت نفسي أسير هذه الحيرة، وقفت ساكناً.

بعد ذلك بخمسة او ستة ايام سألتني (اوكوسان) فجأة: «هل اخبرت (ك) عن الخطبة؟» اجبت، «كلا، لم افعل بعد.» فسألتُ، «لِمَ لا؟» شعرت ان جسدي كله يتصلب. ولم انطق بحرف.

قالت، «لاعجب ان بدا غريبـاً عنـدما اخبرته.» صدمتني كلماتها. لازلت اتذكرها بوضوح. واصلتْ قائلة، «ينبغي لك ان تشعر بالخزي من نفسك. على اية حال، انه صديق حميم جداً لك، أليس كذلك؟ حقاً يجب ان لاتعامله بقلب قاس.»

سألت، «ماذا قال (ك)؟» قالت، «اوه، لاشيء ذا اهمية.» الا انني الحفت عليهـا بأن تخبـرني بالتفصيـل عما قاله (ك). وبالطبع لم يكن لدى اوكوسان سبب يدعوها لاخفاء اي شيء عني. وبعد ان قالت بأنه لايـوجـد هنـاك حقاً المزيد مما تخبرني به فقد استرسلت في وصف رد فعل (ك) ازاء النبأ.

يبـدو ان (ك) استقبـل ضربتـه النهـائية برباطة جأش كبيرة. وطبعاً، لابـد انـه كان منـدهشـاً. وعنـدمـا اخبـرته بخطبتي لـ (اوجوسان) قال

ببساطـة ، «أهـو كذلـك؟» عنـد ذاك قالت له (اوكـوسـان) ، «قل انك مسرور. » من الواضح انه نظر اليها هذه المرة وابتسم ، «تهانينا . » وفي الـوقت الـذي غادر فيـه غرفـة الصبـاح تماماً استدار وقال ، «متى يكون الزواج؟ احب ان اقدم هدية ، لكن ما دمت لا املك نقوداً فأخشى ان لااستطيع . »

وبينمـا كنت جالسـاً مقـابل اوكوسان ، مصغياً الى كلماتها ، شعرت بألم خانق يتصاعد في قلبي .

*

كان (ك) قد عرف ذلـك منـذ اكثر من يومين ، الا انه لم يكن بوسع امـرىء ما ان يخمن ما يعـرف من تصـرفـه . ولم استطع الا ان أعجب بهدوئه مهما كان هذا الهدوء سطحياً . وبدا لي بأنه اكثر استحقاقاً لها . قلت مع نفسي ، «لقد كسبت عن طريق المكر. لكن خسرتُ كرجل . » ثم صار احســاسي بالهـزيمـة عنيفـاً جداً حتى بدا انـه يدور في رأسي كدوامة . ولما تصورت كم كان (ك) يحتقرني ، استحيت من الخزي . واردت ان اذهب الى (ك) واعتــذر عمـا بدر مني ، غيـر ان كبـريـائي ـ وخوفي من الاذلال ـ منعاني .

في النهاية تعبت من عدم قدرتي على اتخاذ قرار سواء في التحدث الى (ك) او في البقاء صامتاً . واتذكر انه في ليلة سبت قلت مع نفسي ، «غداً سأحزم امري اما بهذا الشكل او ذاك . » لكن في تلك الليلة قتل (ك) نفسـه . وحتى الآن لاأستطيـع ان اتـذكر المشهد دون فزع . انني لااعـرف ما هي العـوامل الغريبة الفاعلة في تلك الليلة لانني انا الذي كنت انـام دائمـاً وقـدمـاي باتجـاه الغرب ، قررت في تلك الامسية ان

مسار حياتي للابد. ومن مكان ما في الظل لاح لي ان صوتاً يهمس، «فات الأوان. فات الأوان...» وبدأ كياني كله يرتجف.

لكن حتى في تلك اللحظة لم استطع ان انسى صالحي. ولاحظت رسالة ملقاة على منضدة (ك). ورأيت انها معنونة لي مثلما أمّلت. بجنون مزقت الغلاف. لم يكن فحوى الرسالة يتضمن حتى القليل مما توقعت. وخشيت ان اجد فيها كثيراً من الامور التي سوف تسبب لي ألماً فادحاً. وخشيت ان تكون محتوياتها ذات طبيعة ترى فيها (اوكوسان) و(اوجوسان) ما يحتم عليهما الانقطاع عن النظر اليّ باحترام. وعندما قرأت الرسالة بسرعة من بدايتها الى نهايتها كانت فكرتي الاولى هي، «انني في امان.» (كنت افكر بسمعتي فقط. وقتذاك بدا لي ان ما يفكر به الآخرون ذا اهمية كبيرة.)

لقد كُتبتْ الرسالة ببساطة. وشرح (ك) عملية انتحاره بطريقة عمومية جداً. قال بأنه قرر ان يموت لانه بدا له ان لاأمل له بأن يكون ذلك الشخص الثابت والحازم الذي اراد دائماً ان يكونه. وشكرني على العديد من افعالي العطوفة في الماضي، وطلب مني فضلاً اخيراً هو ان ارعى كل شيء بعد مماته. وطلب مني الاعتذار نيابة عنه لـ(اوكوسان) لما سببه لها من حرج كبير. واراد مني ان أُشعِر اقرباءه بموته. وفي هذه الرسالة القصيرة والعملية لم يكن يوجد ذكر لـ(اوجوسان). في الحال ادركت أن (ك) قد تجنب قاصداً اية اشارة لها. لكن ما اثّر بي كثيراً هو جملته الاخيرة التي ربما كان قد كتبها كفكرة خطرت له فيما بعد وهي: «لماذا انتظرتُ كي اموت؟»

بيدين مرتجفتين طويت الرسالة وارجعتها الى الغلاف. واعدتها الى المنضدة عامداً، الى مكان يستطيع كل فرد ان يراها عليه. ثم نظرت حولي، ورأيت لاول مرة الدم على الجدار.

*

امسكت برأسه ـ احتضنته تقريباًـ ورفعته قليلاً. أردت ان أُلقي نظرة واحدة على وجهه وهو ميت. انثنيت نحو الارض ورمقت وجهه من تحت. وبسرعة سحبت يدي. لم يملأ المشهد قلبي بالفزع وحسب، بل ان رأسه بدا ثقيلاً ايضاً. جلست هادئاً فترة قصيرة وانا انظر الى اذنيه الباردتين اللتين لمستهما تواً، والى شعره الكثيف المقصوص الذي بدا انه يعود الى شخص حي. لم اشعر برغبة في البكاء. شعرت بالخوف فقط. ولم يكن سبب الخوف الذي عانيت منه هو وجودي قريباً من جسد ملطخ بالدم. ان ما افزعني حقاً هو مصيري انا: فقد بدا لي ان هذا الصديق الراقد بارداً وبلا حياة امامي، هو الذي خط هذا المصير الذي لافكاك منه.

لم استطع ان افكر بأي شيء افعله افضل من العودة الى غرفتي. وهناك بدأت اخطو بقلق ذهاباً واياباً. ومع لاجدوى ذلك، أمرني عقلي ان افعل هذا. وقلت لنفسي، «يجب ان افعل شيئاً.» ثم أضفت، «لكن ماذا استطيع ان افعل؟ فات الآوان.» كان من المستحيل عليَّ ان اجلس هادئاً. ومثل دب في قفص كان عليَّ ان اواصل الحركة.

وخطر لي ان اذهب واوقظ (اوكوسان). لكن، في الوقت نفسه، شعرت بأن من الخطأ ان اسمح لها برؤية المشهد المفزع في الغرفة

المجـاورة. كنت راغبـاً جداً ان لاترى اوكوسان المشهد. وعرفت بأنها ستُصدم جداً لو فعلتْ.

أشعلت النور في غرفتي. وبين حين وآخـر نظرت الى ساعتي. كم بطيئـاً بدا عقـربـاهـا يتحـركـان في تلك الليلة. ولم استطـع ان اتأكـد بالضبـط متى ايقظني التيـار، لكنني عرفت بأن ذلـك كان قريبـاً من الفجـر. وهكـذا تمشيت ذهـابـاً وايـابـاً منتظـراً بفـارغ الصبـر شروق الشمس. واعتقدت احياناً بأن ليس لهذا الليل من آخر.

كان من عادتنـا ان ننهض في السـابعـة لأن كثيـراً من محـاضـراتنـا الصباحية كانت تبدأ في الثامنة. لذا، كان على الخادمة ان تنهض في السـادسـة. وفي وقت قبـل تلك السـاعـة قررت ان اوقظهـا. على ايـة حال، في طريقي الى غرفتها اوقفتني (اوكوسان). قالت، «انت تعرف هذا هو يوم الاحد.» كانت قد سمعتني أمشي في الدهليز. قلت، «بما انـك مستيقظـة الآن، فهـل تتكـرمين بالمجيء الى غرفتي؟» وبسرعة لبست معطفـاً فوق ثوب نومهـا وتبعتني. حالمـا دخلت غرفتي اغلقت البـاب المؤدي الى غرفـة (ك). بعـد ذاك قلت لـ(اوكـوسـان) بهمس تقـريبـاً: «وقـع شيء مريـع.» سألت، «مـاذا تعني؟» فأومأت برأسي صوب البـاب المغلق وقلت، «يجب ان تضبطي اعصـابـك.» صار وجههـا شاحبـاً. قلت، «اوكـوسـان، ك.. قتل نفسه.» وقفت ساكنة تمـامـاً وحـمـلقت اليَّ بصمت. وعلى حين غرة ركعت على الارض وأحنيت رأسي امـامهـا وقلت، «من فضلك سامحيني. انهـا غلطتي كلها. هل ستغفرين لي انت واوجوسان؟» لغاية تلك اللحظة لم اشعر

بأي ميل لأن اقول اشياء كهذه لـ(اوكوسان). كان هذا فقط عندما رأيتها تحدق الي اذ شعرت برغبة ملحة مباغتة بالركوع والتمتمة بالاعتذار. ارجوك ان تفهم بأنني كنت مضطراً للاعتذار من (اوكوسان) و(اوجوسان) لانه لم يعد بوسعي بعد ذاك ان اعتذر من (ك) نفسه. لقد اجبرني ضميري على الاعتذار بالضد من ارادتي. لحسن حظي لم تعرف (اوكوسان) السبب الحقيقي الذي من اجله طلبت منها الغفران. ومع ان وجهها ما زال شاحباً، قالت بوداعة، «يجب ألا تلوم نفسك. من ذا كان يتنبأ بأمر كهذا؟» على اية حال، بالرغم من وداعتها استطعت ان ارى امارات مؤكدة للخوف والصدمة في عينيها.

*

ومع شعوري بالحزن تجاه (اوكوسان)، الا انني فتحت الباب الذي كنت قد اغلقته قبل قليل. كان مصباح (ك) مطفأً وكانت الغرفة في ظلام دامس تقريباً. رجعت الى غرفتي والتقطت مصباحي. ولما بلغت الممر مرة ثانية استدرت ونظرت الى (اوكوسان) مشت ببطء نحوي وحدقت بفزع من فوق كتفي الى داخل الغرفة الصغيرة. الا انها لم تدخل. قالت، «يجب ان تفتح نوافذ العاصفة وتدع النور يدخل.

وعلى مدى ذلك اليوم كان تصرف (اوكوسان) مثالياً مثلما يتوقع المرء من زوجة عسكري. وصدوعاً مني لأوامر (اوكوسان) ذهبت الى الطبيب ومن ثم الى الشرطة. وفي الفترة ما بين مجيئهم وذهابهم لم تسمح لأي احد ان يدخل غرفة (ك). كان (ك) قد قطع الشريان السباتي بسكين صغيرة فمات في الحال. لم يكن بجسمه جرح آخر.

وعـرفت بأن الـدم الـذي رأيته على الجدار في شبه الظلام ـ كما لو في حلم ـ قد انبجس في تدفق هائل . نظرت الى اللطخات مرة ثانية ، في ضوء النهار هذه المرة ، وعجبت من طاقة الدم البشري .

نظفت انا و(اوكوسان) الغرفة بأفضل ما نستطيع . لحسن الحظ كان لحاف الفراش قد امتص معظم الدم ، وان القليل جداً منه لامس حصُرَ الارض . نقلنـا جسـد (ك) الى غرفتي وطـرحنـاه في وضعيـة نوم . ثم خرجت لكي ارسل برقية الى عائلته .

ولمـا رجعت وجـدت عيداناً من البخور تحترق الى جانب وسادته . وملأت رائحتهـا ، المذكرة بالموت ، الهواء . كانت السيدتان جالستين في جو متسم بالضبـاب الـرقيق . لم ارَ (اوجـوسـان) منـذ المسـاء الماضي . كانت تبكي . ولابد ان (اوكوسان) قد بكت ايضاً لأن حافات اجفانها كانت محمرة . اما انا الذي لااتذكر انني ذرفت دمعة واحدة منذ موت (ك) ، وجـدتني اشعـر بالاسى لاول مرة . انـك لاتملك فكرة كم منحني هذا الشعـور من راحـة . وبـدا قلبي الـذي اثقله الالـم والخوف آنذاك قد وجد راحة في الاسى .

بصمت جلست بجـانب السيـدتين . قالت (اوكـوسان) ، «قدم عود بخـور . » اطعتهـا بصمت . لم تكلمني (اوجـوسـان) . تبادلت كلمات قليلة مع امهـا له علاقـة بشأن حازب . انهـا لم تستطع ان تحمل نفسها على الكلام عن (ك) كلما تذكرته . كنت مسروراً لانها لم تشهد المنظر المريع بعد وفاته مباشرةً . كنت اخشى ان امرأة جميلة مثلهـا لاتستطيـع ان ترى اي شيء قبيـح ومخيف دون ان تفقـد شيئاً من جمالها نوعاً ما .

وحتى عندما كان الخوف يتفاقم بداخلي الى حد يبدو فيه انه يلامس جذور شعري، كنت ارفض ان اتحرك، غير مجترىء ان اعرّض جمالها للبشاعة. فكرت بأن المساعدة في تحطيم جمال كهذا لن يكون اقل قسوة وتفاهة من ضرب وردة جميلة وبريئة بالارض.

وحينما وصل والد (ك) واخوه الاكبر اعربت عن رأيي بالمكان الذي ينبغي ان يدفن فيه. فغالباً ما كنت انا و(ك) نذهب مشياً الى (زوشيغايا). وكان (ك) مولعاً بهذا المكان. واتذكر انني قلت له مازحاً، «حسن. سأتدبر الامر واتولى دفنك هنا.» فكرت مع نفسي، «اية فائدة سوف يحققها تذكري وعدي هذا لـ(ك) ؟» لكنني اردت ان يدفن (ك) في (زوشيغايا)، لكي يكون بمقدوري ان ازور قبره في كل شهر وان اطلب غفرانه. لم يطرح والده واخوه اية اعتراضات. اعتقد انهما شعرا بأنني انا الذي املك الحقّ في اقرار المكان الذي ينبغي ان يكون قبراً له، لانني انا، وليس هما، الذي رعى (ك) قبل موته.

*

وفي طريق عودتنا من الدفن، سألني صديق لنا، «لماذا انتحر؟» لقد سؤلت هذا السؤال المؤلم نفسه مرات عديدة من قبل . . . سألتني (اوكوسان) و(اوجوسان) وسألني ابوه واخوه وسألني الاصدقاء الذين أبلغوا بموته، وحتى كتّاب تقارير الصحف الذين لم يعرفوه قط سألوا هذا السؤال. وفي كل مرة أُسألُ فيها هذا السؤال كان ضميري يخزني. بدا ان السؤال في الواقع اتهام. وبدا ان السائل كان يقصد ان يقول، «لِمَ لاتكون صادقاً وتعترف بأنك قتلته؟»

كان جوابي واحداً على الدوام. انني كررت فقط ما قاله (ك) في رسالته الاخيرة اليَّ. ان صديقي الذي سألني السؤال بعد الدفن اخرج صحيفة من جيبه عندما اعطيته الجواب المعتاد. واشار الى التقرير المنشور عن وفاة (ك). وشرح التقرير بأن عائلته قد تبرأت منه وانه قتل نفسه في نوبة من نوبات الكآبة. طويت الصحيفة واعدتها الى صديقي. عند ذاك اخبرني بأن صحيفة أخرى عزت انتحار (ك) الى الجنون. لم اعرف بهذا كله لانني كنت منشغلاً جداً الى حد لم اقرأ فيه الصحف. مع ذلك كنت اتساءل عما يقولونه عن موت (ك). كنت اخشى من انهم قد يقولون شيئاً ما فيه توريط للسيدتين. ان مجرد التفكير بذكر اسم (اوجوسان) وربطه بالقضية اقلقني. سألت، «وأي شيء آخر رأيته في الصحف؟» اجاب، «اوه، لاشيء غير ذلك.»

بعد الدفن بفترة قصيرة انتقلنا نحن الثلاثة الى البيت الذي اسكنه الآن. كلا (اوكوسان) و(اوجوسان) كرهتا فكرة البقاء في البيت القديم، ولم استطع انا ان اتحمل ما يذكرني دوماً بتلك الليلة.

بعد ذلك بحوالي شهرين افلحت في التخرج من الجامعة. وبعد التخرج بنصف عام تزوجنا انا و(اوجوسان) اخيراً. ظاهرياً في الاقل اعتقد ان الزواج كان مناسبة سعيدة. على اية حال، لقد تحققت آمالي. وبدت (اوكوسان) و(اوجوسان) سعيدتين. اعترف بأنني كنت سعيداً ايضاً. لكن لاح فوق سعادتي ظل داكن. وبدا ان رضاي سريع الزوال لايؤدي الى اي شيء غير المستقبل الحزين.

بعد الزواج بقليل اقترحت (اوجوسان) - التي سأسميها «زوجتي»

من الآن فصاعداً ـ لسبب ما ان نزور قبر (ك) معاً. كان حرياً بي ان اعرف الامور على نحو افضل، لكن الشك راودني في الحال. سألتها، «لماذا هذه الرغبة المفاجئة بالذهاب الى هناك؟» قالت، «حسبتُ ان (ك) سيكون مسروراً.»
حدقت الى وجهها البريء بصمت. استرددت رباطة جأشي عندما قالت، «لماذا تنظر الي بمثل هذه النظرة؟»

استجبت لطلب زوجتي وذهبنا الى (زوشيغايا). غسلت شاهدة القبر بالماء وازحت عنه الغبار. وضعت زوجتي بعض الورود وعيدان البخور امامه. ثم أحنينا رأسينا في دعاء صامت. من المحتمل كانت زوجتي تخبر (ك) عن سعادتها الجديدة. كل ما استطعت ان افكر به هو القول، «انني مخطىء.. انني مخطىء...»

لمستْ زوجتي الشاهد برقة وقالت، «هذا قبر جميل.» لم يكن القبر في الحقيقة مؤثراً، لكنني اعتقد بأنها اطرته لأنني انا الذي اخترت شاهده في دكان بنّاء القبور. فكرت بالشاهد الجديد وبزوجتي الجديدة وبالعظام البيض المدفونة قريباً تحتنا، وشعرت بأن القدر يهزأ منا جميعاً. ووعدت نفسي، «ابداً.. لن آتي الى هنا مرة ثانية مع زوجتي.»

*

لم أنقطع عن لوم نفسي بخصوص موت (ك). ومن البداية خشيت من العناء الذي سوف يجلبه لي احساسي الخاص بالذنب. قد يقول المرء بأنني كابدت في حفل زواجي، الذي تطلعت اليه بلهفة مدة

طويلة، حالـة من التـزعـزع العصبي. لكن، بما انني لـم اعرف نفسي جيـداً فقـد راودني أمـل غامض بأن الزواج ربما سيمكنني ان ابدأ حياة جديـدة. ولم يكن هذا الامـل اكثر من حلمٍ يقظة زائل سرعان ما فقهته جيـداً. كانت زوجتي هي التي تذكـرني بلا فطنـة بالواقع القاسي كلما التئم جمعنا سوية. كيف استطيع ان اواصل امتلاك هذا الامل، مهما كان بائسـاً، حين بدا منظـر وجههـا دائمـاً يُعيـد الى ذاكـرتي ذكـريات متنـاوبـة عن (ك)؟ احيـانـاً خطـرت لي فكـرةٌ، أنها كانت اشبه بحلقة ربطتني بـ(ك) حتى بقية حياتي. وفي مثل تلك الاوقات كنت اتصرف ببـرود نحـو زوجتي التي كانت لاعيب فيهـا سوى ذلك. وكانت تحس مبـاشـرة بانعـزالي عنها فتسأل، «بماذا تفكر؟ هل اخطأتُ في شيء؟» وكـانت هنـاك اوقـات عنـدمـا افلح في تطييب خاطرها بابتسامة. لكن كانت هنـاك اوقـات عندما تُظهر امارات انفعال وتقول، «هل انت واثق بأنـك لاتكـرهني؟» او «انـك تخفي شيئـاً ما عني.» فكنت انظـر اليها ببؤس غير دارٍ ماذا اقول.

وغـالبـاً ما اوشكت ان اخبـرهـا بكـل شيء: لكن في كل مرة، وفي اللحظة الحاسمة، كان يمنعني شيء ما خارج سيطرتي الواعية. انك تعـرفني جيـداً، واعتقـد أنني في غنى عن أن اشـرح ما هو هذا الشيء الـذي منعني من الاعتـراف لزوجتي. مع ذلـك اشعـر بأنني مدين لك بهـذا الشـرح. ارجـو ان تفهم بأنني لم ارغب لزوجتي بأن تعتقد بأنني افضل مما انا عليه فعلاً. وانني متأكد لو انني كلمتها بقلب نادم حقاً ـ كمـا فعلت دائمـاً بكلامي مع روح صديقي الميت ـ لكانت قد غفرت

لي. انني اعـرف بأنهـا كانت ستبكي من السعادة. اما انني رفضت ان اخبرها بالحقيقة، فليس هذا راجعاً الى حساب اناني من جانبي. في الحقيقـة انني لم اشأ ان الطـخ حيـاتها كلها بذكرى شيء كان قبيحاً. وفكـرت بأنهـا جريمـة لاتغتفر إن انا سمحت لقطرة حبر صغيرة جداً ان تسقط على شيء نقي خال من البقع.

انقضى عام كامـل وظـل قلبي قلقاً. حاولت ان ادفن هذا القلق في الكتب. وبدأت ادرس بجد وانتظرت اليوم الذي سأعلن فيه عن نتيجة جهودي. لكنني وجدت راحة قليلة في الكدح من اجل غاية هيأت لها نفسي تهيئة مصطنعـة. في النهـايـة وجـدت بأنني لااستطيـع ان اجد الطمأنينة في الكتب. اكثر من ذلك جلست صامتاً وحدقت الى العالم من حولي.

ويـدا ان زوجتي قد عزت سأمي الى حقيقـة كوني لااجابه مصاعب مالية. وهذا شيء مفهوم، لا لأن حماتي تملك مالاً كافياً لاعالة نفسها مع ابنتها وحسب، بل لأنني انا كنت املك ما يكفي من المال ايضاً بما يمكنني ان أعيش دون ان اعمل. الى جانب ذلك ليس هناك من شك بأنني تعلمت تقبّلَ ظروفي المريحة على انها اشياء مفروغ منها. لكن راحتي المـاديـة لم تكن مسؤولـة اطـلاقـاً عن جمودي. وعندما غشني عمي شعرت بقوة بعدم الثقة بالناس. وتعلمت ان احكم على الآخرين بقسـوة لا احكم فيهـا على نفسي. وفكـرت بأنني وسـط هذا العـالم المتهـرىء قد افلحت بأن اظـل فاضـلاً. لكن بسبب (ك)، على ايـة حال، اهتـزت ثقتي بنفسي. وبصـدمـةٍ ادركت بأنني لست افضل من

عمي . صرت اشمئز من نفسي كأشمئزازي من بقية العالم . وصار العمل من اي نوع كان مستحيلاً بالنسبة لي .

*

لما اخفقت بدفن نفسي حياً في الكتب، سعيت لفترة قصيرة ان انسى نفسي باغراق روحي في شراب (الساكي) . لا اقول بأنني احببت الشرب . لكنني استطيع ان اشرب عندما اريد ذلك وكنت آمل ان (الساكي) سوف يجلب لي النسيان المؤقت في الاقل . بالطبع، كنت ساذجاً . ان كل ما فعله الشرب لي في حينه هو انه جعلني اكثر كآبة من ذي قبل . احياناً، في منتصف خدر السكر كنت اتذكر نفسي فجأة : فأدرك مقدار الغباء في محاولة المرء ان يخدع نفسه . عند ذاك كانت عيناي وقلبي يهتزان في طريق العودة الى حالة الصحو. واحياناً كنت افشل حتى في بلوغ تلك المرحلة من خداع الذات واجد نفسي قد اصبحت اكثر وعياً بحزني . علاوة على ذلك، عندما كنت افلح في بلوغ حالة من البهجة المصطنعة، كنت لا ألبث بعدها ان اغرق في كآبة عميقة . ودائماً ما كانت حماتي وزوجتي اللتين احبهما جداً، تجدانني في الحالة الاخيرة بعد ان اشرب . وتحت هذه الظروف، كانت الطريقة التي تفسران بها تصرفي هذا، مفهومة تماماً .

ويظهر ان حماتي كانت تشكو احياناً مني الى زوجتي . لم تخبرني زوجتي ابداً بما كانت تقوله امها . لكنها كانت تقرعني من ناحيتها . اعتقد انها لم تطق ان تحتمل رؤيتي عائشاً هكذا دون ان تقول شيئاً .

اقول بأنها «قرعتني» ، لكنني اؤكد لك بأنها لم تستخدم قط كلمات قاسية . وما اندر ما هيأت لي سبباً بأن اكون غاضباً منها . وطلبت مني اكثر من مرة ان اعلمها ان كانت بشكل ما مسؤولة عن سلوكي ، وارادت ان اخبرها عن اخطائها . احياناً تطلب راجيةً ان اقلع عن الشرب من اجل مستقبلي . في احدى المرات صاحت قائلة ، «لقد تغيرتَ» . وكانت الكلمات التي اعقبت ذلك اكثر ايلاماً ، اذ قالت ، «ما كان لك ان تتغير هكذا لو ان (ك) مازال حياً . » اجبت ، «ربما انت مصيبة . » وفي سري حزنت من اجل زوجتي التي لم تعرف كم كانت مصيبة .

احياناً كنت اعتذر لها ـ وعادة في الصباح التالي بعد عودتي الى البيت متأخراً في حالة سكر شديد ـ كانت تصغي الى اعتذاري ثم تضحك ، او تظل صامته ، او تبدأ بالبكاء . وايما شيء فعلتْ ، كنت دائماً اشمئز من نفسي في مثل تلك الاوقات . اعتقد بأنني كنت اعتذر لنفسي ، بمعنى ما ، اكثر منها . في الاخير ، اقلعت عن الشرب : قد يقول قائل بأن الاشمئزاز من النفس ، وليست تقريعات زوجتي ، هو الذي جعلني اقلع عن ذلك .

صحيح انني لم اقرب (الساكي) بعد ذاك ، لكنني كنت في حيرة ، ماذا افعل عوضاً عنه . وفي حالة قنوط بدأت اطالع من جديد . على اية حال ، قرأت بلا هدف في الذهن . كنت انتهي من كتاب والقيه جانباً وافتح كتاباً آخر . وفي اكثر من مناسبة سألتني زوجتي عن الغاية من دراستي الجادة . واحزنتني الفكرة بأنها هي التي احببتها ووثقت بها اكثر من اي شخص آخر في العالم ، لم تستطع ان تفهمني . وان

تفكيري بأنني لاامتلك الشجاعة في الافصاح عن ذاتي قد زادني حزناً على حزن. كنت وحيداً تماماً. في الحقيقة كانت هناك اوقات شعرت فيهـا بأنني اقف وحيـداً تمـامـاً في هذا العـالم وأنني منقطـع عن كل شخص حي آخر.

بين حين وآخـر تسـاءلت عن السبب الـذي جعل (ك) ينتحر. لاول وهلة، ملت الى التفكيـر بأن السبب هو الاخفـاق في الحب. حينذاك لم أستطع ان افكر بشيء سوى الحب، ومن الطبيعي تماماً انني قبلت بلا نقـاش التفسيـر الاول البسيط والواضح الذي خطر في ذهني. فيما بعد، عندما استطعت ان افكر بمزيد من الموضوعية بدأت اتساءل فيما اذا كان تفسيري على درجة كبيرة من البساطة. سألت نفسي، «هل من المحتمـل انـه قتـل نفسه لأن افكاره المثالية تعارضت مع الواقع؟» بيد انني لم أستطع ان اقنع نفسي بأن (ك) قد اختار الموت لسبب كهذا. في الاخيـر انتبهتُ الى ان (ك) ربمـا عانى مثلي معـانـاة سيئـة من الـوحـدة، ورغبـةً منه بالهروب منها بسرعة، فقد قتل نفسه. مرة أخرى امسـك الخـوف بقلبي. ومنـذ ذاك الحين فصـاعـداً، ومثـل هبـة ريح شتـائيـة، كان الهـاجس بأنني امشي على الـدرب الذي مشى فيه (ك) يهاجمني بين حين وآخر فأشعر بالبرد حتى العظم.

*

ثم مرضت حمـاتي. أبلغنـا الطبيب بأنهـا لن تشفى. كرست كل جهـدي للعنـايـة بها. فعلت ذلك من اجل المريضة ومن اجل زوجتي العـزيـزة ايضـاً، لكنني شعرت ايضاً بأنني اساعد البشرية كلها بصورة

ما. لاريب انني كنت، بمعنى ما، أنتظر مثل هذه الفرصة لاثبت لنفسي بأنني لست عديم الجدوى تماماً. لاول مرة منذ انقطاعي عن العالم كنت قادراً ان اشعر بأنني مازلت استطيع ان اكون نافعاً للآخرين. ليست هناك من طريقة اشرح فيها حالتي الذهنية سوى القول بأنني كنت افتش عن وسيلة اكفر بها عما ارتكبت من خطأ.

ماتت حماتي. لم يبق غيري وزوجتي فقط. قالت زوجتي لي، «في العالم كله لااملك الآن من ألوذ به سواك.» نظرت اليها، فأمتلات عيناي بالدموع فجأة. كيف استطيع انا الذي لااملك ثقة بنفسي ان امنحها الراحة التي تحتاج اليها؟ ظننتها امرأة محظوظة جداً. في احد الايام قلت لها هذا. سألت، «لماذا تقول ذلك؟» لم تستطع ان تفهم ما اعني. ولم استطع اخبارها. بدأت تبكي. قالت مؤنبة، «لانك دائماً تنظر الي بطريقتك الملتوية، لذلك تستطيع ان تقول مثل هذه الاشياء.»

بعد وفاة امها، حاولت ان اعامل زوجتي بأرق ما استطيع. طبعاً انا احبها. لكن من ناحية ثانية، لم اكن رقيقاً من اجلها فقط. اعتقد ان قلبي انفعل بالطريقة عينها مثلما حصل عندما مرضت حماتي. وظهر ان زوجتي كانت راضية. لكن في رضاها بدا ان قلقاً غامضاً قد تسلل نابعاً من عدم قدرتها على فهمي. تذكرْ بأنني لااعتقد لحظة واحدة بأن قلقها سوف يتضاءل لو انني تركت لها ان تفهم طبيعة رقتي نحوها. في الحقيقة اعتقد بأن قلقها يتفاقم اكثر. فالمرأة عندما تكون هي هدف العطف الوحيد ـ ويبدو ان ليس من المهم جداً إن كان هذا العطف

يشتمـل على ظلم أو لا يشتمـل في مسـائـل أخرى.تكون اسعد من ان تحب لاسبـاب تفـوق بهـا على اشخـاص معينين. في الاقل لاحظت هذا الميل في النساء اكثر منه في الرجال.

مرة سألتني زوجتي، «ألا يمكن لقلب المرأة وقلب الرجل ان يصبح احدهما جزءاً من الاخر لكي يكونا كلاً واحداً؟» لم أعطها جواباً ملزماً: «ربما عندما يكون الرجل والمرأة شابين.» جلست صامتة فترة قصيرة. من المحتمـل انهـا كانت تفكـر بالوقت الذي كانت فيه هي نفسها فتاة صغيـرة. ثم أطلقت تنهـدة قصيـرة. منـذ ذلـك الحين فصاعداً، كان يهاجمني خوف مجهول من وقت لآخر. في البداية بدا انه يركبني دون انذار مقبلاً من الظلال حولي وكنت أنشغ من مفاجأته. فيما بعد، على اية حال، عندما صارت التجربة مألوفة لي اكثر من ذي قبل، كان قلبي يستسلم له حالاً - او ربما يستجيب له - وابدأ بالتساؤل فيما اذا لم يكن هذا الخوف موجوداً دائماً في زاوية خفية في قلبي منذ ان ولدت. عند ذاك كنت اتسـاءل إن كنت لم افقـد صوابي. لكنني لم املك الـرغبـة بالذهاب الى طبيب أو أي شخص آخر ابتغاء للنصيحة.

شعـرت بقـوة بخطيئـة الانسـان. كان هذا الشعور الذي دفعني الى زيـارة قبـر (ك) في كل شهـر هو الذي جعلني أعنى بحماتي في مرضها وان اتصرف برقة نحو زوجتي. وكان هذا الاحساس بالخطيئة هو الذي قادني الى ان اشعـر احيـاناً بأنني سوف ارحب بضرب السياط حتى من أيـدي الغـربـاء. وعنـدمـا أصبحت هذه الـرغبـة بالعقاب قوية بصورة خاصـة، بدأت اشعـر بأن هذا العقـاب يجب ان يصدر عني وليس عن

الآخـرين . ثم صرت افكـر بالموت . وبدا ان قتلي لنفسي عقوبة عادلة لخطاياي . واخيراً قررت ان استمر في الحياة كما لو انني كنت ميتاً .

انني لاتساءل كم من السنوات مضت منذ ان اتخذت ذلك القرار . وواصلت انـا وزوجتي الحيـاة بانسجـام . اؤكـد لك اننـا كنـا زوجين سعيدين تماماً . لكن كان يوجد دائماً ذلك الظل الذي يفصل بيننا . لم استطـع ابـداً ان ادفعـه بعيداً ، وقد ترك اثراً داكناً على سعادة زوجتي . وعندما افكر به الآن لااستطيع الا ان اشعر بالاسى من اجلها .

*

مع انـني قررت ان اعـيش كمـا لو انـني ميـت ، الا ان قلبي كان يستجيب احيـانـاً الى حيـويـة العـالم الخارجي ويبدو انه يرقص تقريباً بطـاقـة حبيسـة . لكن حالمـا حاولت ان اتخـذ سبيلي عنـوة في الغيم المحيط بي . كانت قوة هائلة على نحو مخيف تندفع نحوي من مكان لااعـرف مصـدره وتقبض على قلبي بشـدة فلا استطيـع حراكـاً . وكان صوت يقـول لي ، «ليس لك الحق في ان تفعـل اي شيء . ابق حيث انت . » ومهمـا كنت املك من رغبـة للفعـل فانهـا سرعـان ما كانت تبـارحني . بعـد لحظـة كانت ترجـع تلك الرغبة فأحاول مرة أخرى ان اشق طريقي . ومـرة ثانيـة أُكْبح . وبغضب وحزن اصرخ عالياً ، «من ذا يمنعني ؟ » وبضحكـة قاسيـة يرد الصـوت : «انت تعـرف جيداً لماذا . » عند ذاك انحني باستسلام يائس .

ارجوك ان تفهم ، مع انني ابدو قد سلكت حياة رتيبة غير معقدة ، الا ان صراعاً مؤلماً لانهاية له كان يدور في داخلي . لابد ان زوجتي

قد شعرت بنفاد الصبر معي احياناً، لكن ليست لديك فكرة كم كنت انا نافـد الصبـر مع نفسي. في الاخيـر عنـدمـا اتضـح لي أنني لااستطيع البقاء ساكنا في السجن فترة أطول وانني لااستطيع الهروب منه، كانت النتيجة المفروضة عليَّ هي ان اسهل شيء استطيع فعله هو ان انتحر. قد تتساءل لماذا توصلت الى تلك النتيجة. لكنك ترى أن القوة الغريبة والمفزعة التي قبضت على قلبي كلما رغبت في ان اجد مهرباً لي في الحياة، بدت تتركني في الاقل طليقاً لأن اجد مهربي في الموت. واذا رغبتُ بان اتحرك على اية حال، فقد استطعت التحرك فقط صوب نهايتي.

حاولت مرتين اوثلاث مرات ان اتـابـع هذا المسـرى الـوحيد الذي تركـه لي القـدر مفتـوحاً. لكن في كل مرة كانت مشاعري نحو زوجتي تقيـدني. لاحـاجـة بي للقـول، كانت تنقصني الشجاعة لكي آخذها معي. وكمـا تعلم، لـم استطـع حتى ان احمـل نفسي على الاعتـراف بكل شيء لها: كيف استطيع اذاً ان اسرق منها حياتها المقدرة لها وان اقسـرهـا على أن تشـاركني في مصيـري؟ ان مجرد التفكير بفعل شيء قاس كهـذا كان مريعـاً. لـم يكن قدرهـا قد قضي بقضـاء وقدر اقل مما قُضي به قدري. ان الالقـاء بهـا في النـار التي أعدت لي سيكون فعلاً غير طبيعي وموجعاً جداً.

في الوقت نفسه، ان التفكير بزوجتي وهي تعيش وحيدة بعد رحيلي اثار عاطفتي. كيف اطيق ان انسى كلمات زوجتي بعد ان ماتت امها؟ ـ «في العالم كله، لااملك احداً سواك ألوذ به.» وهكذا ترددت. فيما

بعـد كنت انظـر الى زوجتي واقول لنفسي ، «شيء جيد انني ترددت . » ومرة أخرى ابدأ الحياة بيأس وقنوط ، شاعراً بعيني زوجتي المحزونتين بخيبة الامل وهما تنظران اليّ .

ارجع بذاكرتك الى تلك الايام الخوالي عندما تعرفت عليّ : آنذاك كانت حيـاتي مثلمـا وصفتهالك تماماً . كانت حالتي الذهنية هي هي - في كامـاكـورا حيث التقينـا أوفي الضواحي حيث مشينا . وبدا ان ظلاً داكناً كان يتابعني دائماً . ليس لي غير ان انوء بعبء الحياة . . لم تكن حالتي النفسيــة في تلك الليلة التي تخـرجتَ فيهـا مختلفـة . صدقني انني لم اكـذب عنـدمـا قلت بأننا سوف نلتقي مرة ثانية في ايلول . حقاً انني قصدت فعلاً ان اراك حتى بعد انقضاء الخريف وحتى بعد اقبال الشتاء وادباره .

بعـد ذاك وفي عز الصيف رحـل الامبـراطور (ميجي) . وشعرت كأن روح عصــر ميجي قد بدأت بالامبــراطـور وانتهت معـه . وتغلب عليّ الشعـور بأنني مع الآخـرين الـذين ترعـرعوا في ذلك العصر قد تخلفنا لكي نعيش في زمـان غيـر زمـاننـا الصحيـح . اخبـرت زوجتي بهـذا . ضحكتْ ورفضتْ ان تحملني على محمل الجد . ثم قالت شيئاً غريباً ولو انه كان هزلاً ، «حسن اذاً . ان (الجنشي)[1] هو الحل لمشكلتك . » كنت قد نسيت تقريباً كلمة (الجنشي) هذه . انها كلمة لايستخدمها

١ ـ كلمة قديمة تعني ، «اللحاق بسيد المرء الى قبره» .

المـرء عادة، واعتقـد بأنها أُبعدتْ الى ركن بعيد في ذاكرتي . استدرت نحـو زوجتي التي ذكـرتني بوجـود هذه الكلمـة وقلت، «سـوف اقترف الـجنشي ان شئت، لكن في حالتي، سيكـون من خلال اخـلاصي لروح العصـر الميجي . » كان المقصود بملاحظتي ان تكون نكتة، الا انني شعـرت بأن تلك الكلمـة القـديمة قد وردت لتحمل معنى جديداً بالنسبة لي .

ومضى شهـر. وفي ليلة العظمـة الجنائزية الامبراطورية جلست في مكتبتي وأصغيت الى دوي المـدفـع . بالنسبـة لي بدا الـدوي النـدب الاخيـر لعصـر راحـل. فيمـا بعـد ادركت بأنـه قد يكون تحية للجنرال (نـوغي). وبينمـا انـا ممسـك بطبعـة الجـريـدة الاضـافية بيدي قلت لزوجتي من غير تفكير: «جونشي . جونشي . »

قرأت في الصحيفــة الكلمـات التي كتبهـا الجنـرال (نـوغي) قبـل انتحـاره. عرفت بأنـه منـذ تمـرد (سـاتسـوما) الذي خسر فيه رايته امام العـدو، كان يريـد استـرداد شرفـه عن طريق المـوت. ووجدت نفسي احسب تلقـائيـاً السنوات التي عاشها الجنرال والموت دائماً في ذهنه . وكمـا تعلم، حدث هذا التمـرد في السنة العاشرة من حكم (ميجي). وعليـه، لابـد انـه عاش خمسة وثلاثين عاماً وهو ينتظر الوقت المناسب لكي يموت . سألت نفسي : «متى عانى عذاباً اكبر، هل خلال الاعوام الخمسة والثلاثين ام خلال اللحظة التي اخترق فيها السيف احشاءه؟»

بعـد ذلـك بيـومين اوثلاثـة ايـام قررت الانتحار. ربما انك لاتفهم بوضوح لماذا انا على وشك ان اموت مثلما لااستطيع انا ان افهم تماماً

لمـــاذا قتـــل الجنـــرال (نـــوغي) نفســـه. انت وانـــا ننتمي الى عهـــدين مختلفين، لذلك نفكر تفكيراً مختلفاً. وما من شيء نستطيع به ان نردم الهـوة بيننـا. بالطبـع قد يكون من الصحيح القول بأننا مختلفان لسبب بسيط هو اننا انسانان منفصلان. على اية حال، لقد فعلت في سردي الســابق اقصى ما استطيـع لاجعلك تفهـم هذا الشخص الغريب الذي هو انا.

انني تارك زوجتي من بعدي. لحسن الحظ سيكون لديها ما يكفي لتـواصـل العيش بعـد رحيلي. وليست لدي رغبة بأن أسبب لها صدمة تتجـاوز الحـد. انني انـوي ان امـوت بطـريقـة تجنبهـا مشـاهدة دمي المسفوح. سوف ارحل عن هذا العالم بهدوء فيما هي خارج البيت. اريـد لهـا ان تفكر بأنني مت فجأة بلا سبب. ربما ستفكر بأنني فقدت صوابي: وهذا شيء حسن.

لقد مضت عشرة ايام منذ ان قررت الموت. اريدك ان تعرف بأنني قضيت معظم الوقت في كتابة هذه الرسالة لك عن نفسي. في البداية اردت ان اتحـدث اليـك عن حيـاتي، امـا الآن وقـد اوشكت ان انهي الكتـابـة، اشعر بأنني ما كنت بقادر ان اقدم لك شفهياً وصفاً بمثل هذا الـوضـوح، وانني لسعيد. ارجوك ان تفهم بأنني لم اكتب هذه الرسالة لمجـرد تزجيـة الوقت. ان حياتي الماضية التي جعلتني ما انا عليه هي جزء من التجـربـة البشـريـة. الفـرق الوحيد هو انني استطيع سردها. لا اعتقـد بأن الجهـد الـذي صرفتـه باخلاص كان بلا هدف كلياً. فاذا ساعدتك قصتي وساعدت الآخرين في فهم حتى جزء هين من ماهيتنا

فسوف اكون راضياً. منذ عهد قريب بلغني بأن (واتانابي كازان) اجّل موته اسبوعاً لكي ينهي لوحته (كانتان)[1] . قد يقول البعض بأن فعلَ شيء من هذا القبيل انما هوعبث. لكن من نحن حتى نحكم على متطلبات انسان آخر؟ انني لم اكتب الا لأحافظ على عهدي لك. واكثر الزاماً من العهد هو الضرورة التي شعرت بها بداخلي لأن اكتب هذه القصة.

الآن قد لبيت هذه الحاجة. لم يبق لي شيء افعله. وفي الوقت الذي تصلك فيه هذه الرسالة، يحتمل ان اكون قد غادرت هذا العالم وانني سأكون ميتاً في كل الاحتمالات. قبل حوالي عشرة ايام ذهبت زوجتي لتمكث مع خالتها في (ايشيغايا). لقد مرضت الخالة، وعندما سمعت بحاجتها للمساعدة بعثت بزوجتي الى هناك. لقد كتبت معظم هذه الوثيقة الطويلة في اثناء غيابها. وفي كل مرة تعود كنت اخفيها عنها.

اريد ان تنفع الاشياء الجيدة والسيئة في حياتي الماضية كمثال للآخرين. اما زوجتي فهي الاستثناء الوحيد . . . لااريد لها ان تعرف اي شيء من هذا. وامنيتي الوحيدة ان تكون ذكراها عني مصانة وغير مدنسة ما امكن. وما دامت زوجتي حيّة اريد منك ان تكتم كل شيء اخبرتك به في السر . . . حتى بعد ان اكون ميتاً.

١ـ الوهم.

دار المأمون للترجمة والنشر

تأسست في منتصف عام ١٩٨٠ لتتولى مسؤولية الترجمة ونشر المطبوعات الدورية الناطقة باللغات الاجنبية والمطبوعات المترجمة من والى اللغة العربية وبما يؤمن الاسهام الفعال في عملية التواصل والتفاعل الحضاريين بين العراق والعالم .

تصدر دار المامون الصحف التالية : ـ

١ ـ جريدة بغداد او بزرفر ـ يومية سياسية ناطقة باللغة الانكليزية .

٢ ـ مجلة بغداد ـ شهرية سياسية عامة ناطقة باللغة الفرنسية .

٣ ـ مجلة كلكامش ـ مجلة الثقافة العراقية الحديثة ـ فصلية ثقافية ناطقة باللغة الانكليزية .

وتترجم الدار كتبا من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية واخرى من اللغات العربية الى اللغات الاجنبية وتصدرها .

كما تقدم خدمات الترجمة الفورية والتحريرية للمؤتمرات والندوات الدولية داخل العراق وخارجه .

ـ صدر عن دار المأمون الكتب الآتية المترجمة الى العربية ـ حسب تأريخ نشرها

العنوان	السنة	تأليف	ترجمة
١ ـ دليل مترجم المؤتمرات	١٩٨١	جان هيربرت	سمير عبدالرحيم الجلبي
٢ ـ رباعية الحرب (قصص الادب الانكليزي)	١٩٨٥	جورج ماكبث	ياسين طه حافظ
٣ ـ فن الرواية (دراسة نقدية)	١٩٨٦	كولن ولسن	محمد درويش
٤ ـ العاصفة (مسرحية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	وليم شكسبير	جبرا ابراهيم جبرا
٥ ـ كلب الصيد الابيض ذو الاذن السوداء (رواية من الادب الروسي)	١٩٨٦	جافرييل تروبيولسكي	عبدالواحد محمد
٦ ـ مكبث (مسرحية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	وليم شكسبير	جبرا ابراهيم جبرا
٧ ـ الملك لير (مسرحية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	وليم شكسبير	جبرا ابراهيم جبرا
٨ ـ بين الفن والعلم (دراسة نقدية)	١٩٨٦	دولف رايسر	د . سلمان الواسطي
٩ ـ بلاد الثلوج (رواية من الادب الياباني)	١٩٨٦	يوسوناري كاواباتا	لطفية الدليمي
١٠ ـ مدن لا مرئية (رواية من الادب الايطالي)	١٩٨٦	ايتالو كالفينو	ياسين طه حافظ
١١ ـ السيدة دالاواي (رواية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	فرجينيا وولف	عطا عبدالوهاب

١٢ ـ جن (رواية من الادب الفرنسي)	١٩٨٦	الان روب غرييه	د . سعيد علوش وخديجة بناني
١٣ ـ عطيل (مسرحية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	وليم شكسبير	جبرا ابراهيم جبرا
١٤ ـ هاملت (مسرحية من الادب الانكليزي)	١٩٨٦	وليم شكسبير	جبرا ابراهيم جبرا
١٥ ـ شكسبير والانسان المستوحد (دراسة نقدية)	١٩٨٧	جانيت ديلون	جبرا ابراهيم جبرا
١٦ ـ الحداثة (الجزء الاول) (دراسة نقدية)	١٩٨٧	مالكم برادبري وجيمس ماكفرلن	مؤيد حسن فوزي
١٧ ـ صناعة المسرحية (دراسة نقدية)	١٩٨٧	ستيوارت غريفثتش	عبدالله الدباغ
١٨ ـ القطار السريع (رواية من الادب الالماني)	١٩٨٧	ارمكارد كوين	اقبال ايوب
١٩ ـ الازهار البرية (مجموعة قصص قصيرة من الادب الامريكي)	١٩٨٧	ارسكين كالدويل	علي الحلي
٢٠ ـ حبة قمح (رواية من الادب الافريقي)	١٩٨٧	نغوغي واثيونغو	سلمان حسن ابراهيم
٢١ ـ قبو البصل (قصص قصيرة من الادب الالماني)	١٩٨٧		د . سامي حسين الاحمدي
٢٢ ـ معجم التعابير الاجنبية في اللغة الانكليزية	١٩٨٧	ب . ا.فشيان	سمير عبدالرحيم الجلبي
٢٣ ـ مصطلحات المؤتمرات	١٩٨٧	جان هيربرت	سمير عبدالرحيم الجلبي
٢٤ ـ الثعلب (رواية من الادب الانكليزي)	١٩٨٧	د.هـ لورنس	نمير عباس مظفر

٢٥ ـ مذكرات مالوان (عالم الاثار وزوج اجاثا كريستي)	١٩٨٧	ماكس مالوان	سمير عبدالرحيم الچلبي
٢٦ ـ الرجل العاشر (رواية من الادب الانكليزي)	١٩٨٧	غريم غرين	هادي عبدالله الطائي
٢٧ ـ النفق (رواية من الادب الاسباني)	١٩٨٧	ارنستو ساباتو	مروان ابراهيم صديق
٢٨ ـ حوار الرؤية (دراسة فنية)	١٩٨٧	ناثان نوبلر	فخري خليل
٢٩ ـ ملحمة رامايانا (من الادب الهندي)	١٩٨٧	ر. ك. نارايان	د. جوزيف نادر بولس
٣٠ ـ جويس (دراسة نقدية)	١٩٨٧	جون كروس	عبدالوهاب الوكيل
٣١ ـ الورقة الخضراء (مختارات شعرية من الادب السوفيتي المعاصر)	١٩٨٨	ايغور يرماكوف	د. عباس خلف
٣٢ ـ الخطوات الضائعة (رواية من ادب امريكا اللاتينية)	١٩٨٨	اليخو كاربنتير	سالم شمعون
٣٣ ـ الانطباعية (دراسة فنية)	١٩٨٨	جان ليماري	فخري خليل عزيز
٣٤ ـ ايلول بلا مطر (قصص قصيرة من الادبين الانكليزي والامريكي)	١٩٨٨		جبرا ابراهيم جبرا
٣٥ ـ اللغة في الادب الحديث (الحداثة والتجريب) (دراسة فنية)	١٩٨٨	جاكوب كورغ	ليون يوسف وعزيز عمانوئيل
٣٦ ـ بحر ساركاسو الواسع	١٩٨٨	جين ريز	فلاح رحيم
٣٧ ـ المعنى الادبي	١٩٨٨	وليم راي	د. يوئيل يوسف عزيز

٣٨ ـ الاوهام البصرية	١٩٨٨	نيكولاس ويد	في مظفر
٣٩ ـ الحلو المر	١٩٨٨	موريس بونس	رعد اسكندر
٤٠ ـ جاك بريفير	١٩٨٨	سامي مهدي	
٤١ ـ موسوعة المصطلح النقدي	١٩٨٨	د. سي ميويك	د. عبدالواحد لؤلؤة
٤٢ ـ فن الشرف الادنى القديم	١٩٨٨	سيتن لويد	محمد درويش
٤٣ ـ طريق فلاندرا	١٩٨٨	كلود سيمون	باسيل قوزي

«إن حياتي الماضية التي جعلتني ما أنا عليه هي جزء من التجربة البشرية. الفرق الوحيد هو أنني أستطيع سردها.

لا أعتقد بأن الجهد الذي بذلته بإخلاص كان بلا هدف كليا. فإذا ساعدتك قصتي وساعدت الآخرين في فهم حتى جزء هين من ماهيتنا، فسوف أكون راضيا...»

كوكورو

بطل الرواية

عالم المعرفة
كوكورو
C2 رواية
S.P250
1 4 7 3 1 8

دار المأمون للترجمة والنشر